مَعْرِفَةُ
الإِمَامِ عَلِيّ
عِصْمَةٌ
لِكُلِّ مَحْسُوبٍ ووَلِيّ
د. سَعِيد أبو الأسعاد

مَعْـــرِفَةُ

الإِمَـامِ عَلِـيّ

عِصْــمَةٌ

لِكُلِّ مَحْسُـوبٍ ووَلِـيّ

د. سَعِيد أبو الأسعاد

إِذَا مَا صُغْتُ فِي الْمَحْبُوبِ نَظْمًا ۞ يُسَاعِدُنِي عَلَى النَّسَقِ الرَّوِيُّ

جَنَاحَانِ ارْتَقَفْتُ إِلَى الْمَعَالِي ۞ بِعَـزْمِهِمَا ، وَلِـي شَـوْطٌ عَلِـيُّ

عَلَى قِمَمِ الْعُلَا بِهِمَا ارْتِقَائِي ۞ عَلِيٌّ ذُو الْمَعَارِجِ وَالنَّبِيُّ (ﷺ)

بطاقة فهرسة أثناء النشر
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

أبو الأسعاد / سعيد
معرفة الإمام علي عصمة كل محسوب وولي
سعيد أبو الأسعاد
الجيزة : شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٢٢
تدمك ٩٧٨٩٧٧٥٨٤٢٤٣٥
١ - المتصوفون المصريون
٢ - التصوف الاسلامي

زَهْـرَاءُ يَا بِنْـتَ النَّبِـيِّ[1]

زَهْـرَاءُ يَا بِنْـتَ النَّبِـيِّ ۞ إِنِّـي بِبَـابِـكِ كَالصَّـبِـيِّ

وَبِبَابِ سَيِّدِنَا الْحُسَيْنِ ۞ وَبَـابِ سَـيِّدِنَـا عَـلِـيِّ

وَبِبَـابِ سَـيِّدِنَا الْحَسَنْ ۞ السَّـيِّدِ السَّـنَدِ الْقَـوِيِّ

وَبِبَـابِ أَطْهَـرِ زَيْنَـبٍ ۞ ذَاتِ الْمَـقَامِ الزَّيْنَبِـيِّ

وَبِبَـابِ زَيْـنِ الْعَـابِدِيـنَ ۞ الصَّالِحِ الْقُطْبِ الْوَلِـيِّ

وَبِبَـابِ خَـيْرِ نَفِيـسَةٍ ۞ مَـنْ عِلْمُـها بَحْـرٌ رَوِيِّ

وَبِبَـابِ عَـالِمِ أُمَّتِـي ۞ ذَاكَ الإِمَـامُ الشَّـافِعِـيِّ

وَبِبَـابِ سَـاكِنِ طَنْـتِدَا ۞ عِـنْدَ الْمَقَامِ الأَحْـمَدِيِّ

السَّـيِّدِ البَـدَوِيِّ مَـنْ ۞ حَـازَ الْفَـخَارَ الْهَـاشِـمِيِّ

وَبِبَـابِ سَـيِّدِنَا ابْراهِيمَ ۞ هُـوَ الدُّسُـوقِيُّ النَّقِـيِّ

وَبِبَـابِ نَاظِـمِ عِـقْدِنَـا ۞ ذَاكَ الْهُـمَامُ الشَّـاذِلِـيِّ

وَبِـظِـلِّ عِـرْقٍ طَاهِـرٍ ۞ مِنْ نَسْـلِ سَـيِّدِنَا النَّبِيِّ

مِـنْ شَـرْقِـهَا أَوْ غَـرْبِـهَا ۞ مِـنْ كُلِّ دَانٍ أَوْ قَـصِـيِّ

إِنِّـي وَقَـفْـتُ بِبَـابِكُـمْ ۞ أَرْجُـوكُـمْ عَـطْـفًا عَلَـيِّ

---

(١) مُنْشِدُ السَّادَةِ الكِرام : د. عَبْدُ العَزيز سَلَّام ، مِنْ شِعْرِ د. مُحَمَّد العَشْماوِي بِتَصَرُّف .

بسم الله الرحمن الرحيم

تَرْنِيمَةُ أَوَّاب ، لائذٍ بالباب ، عَلَى ضِفافِ الكِتاب

الحَمْدُ للهِ المُخْتَصِّ بِكُلِّ كَمال ، والمُخَصِّص لِمَنْ يَشاءُ بِخَصائِص التَّفْضِيلِ والإفْضال ، والصَّلاةُ والسَّلامُ عَلَى مَنْ خُتِمَتْ بِهِ سِلْسِلَةُ الإرْسال ، وعَلَى آلِهِ التَّابِعِينَ لَهُ فِي الأَقْوالِ والأَفْعال ، وصَحابَتِهِ المُتَأَسِّينَ بِهِ فِي سائِرِ الخِصالِ والأَحْوال ، ثُمَّ أَمَّا بَعْدُ :

فَلَمَّا كانَ لأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الأُمَّةِ كُلُّ المِنَّة ، وأَنَّ مَعْرِفَتَهُمْ لازِمَةٌ لِصَحِيحِ الاقْتِداءِ بِهِمْ ومُوَصِّلَةٌ إِلَى الجَنَّة ، جاءَ هَذا الكِتابُ المُسْتَقْصِي لِسِيرَةِ الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه عَلَى نَهْجِ أَهْلِ الكِتابِ والسُّنَّة ، وهِيَ الجَماعَةُ النَّاجِيَةُ بِفَضْلِ اللهِ ورَسُولِهِ مِنْ كُلِّ عَثْرَةٍ ومِحْنَة ، راجِيًا مِنَ اللهِ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مُتَحَقِّقٍ بِهِ زادًا ومِنْحَة .

تُحْـفَةٌ تُهْدَى لِمَنْ يَهْـوَى عَلِيًّا ۞ مَنْ رَقَى شَأْوًا مِنَ الْمَجْدِ عَلِيًّا

والحَمْدُ للهِ الَّذي نَشَّأَنِي وقَلَّبَنِي بَيْنَ وُجُوهٍ لَها فِي التَّعَلُّقِ والتَّحَقُّقِ بِأَهْلِ البَيْتِ حِسْبَةٌ ونِسْبَة .

لا عَذَّبَ اللهُ أُمِّي إِنَّها شَرِبَتْ ۞ حُبًّا لِحَيْدَرَ أَسقَتْنِيهِ فِي اللَّبَنِ

وَإِنَّ لِي وَالِدًا يَهْوَى أَبا حَسَنٍ ۞ وَإِنَّنِـي مِثْلُهُ أَهْـوَى أَبا حَسَنِ

واعْلَمْ أَخِي المُتَعَرِّضِ لِفَضْلِ اللهِ الهامِي ، أَنَّ دَواعِيَ المَحَبَّةِ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ سَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طَبْعِيَّةٌ وشَرْعِيَّة ؛ فَلأَنَّها جُبِلَتِ الطِّباعُ عَلَى المَيْلِ والمَحَبَّةِ إِلَى مَنِ اشْتَهَرَ واتَّصَفَ بِخَصْلَةٍ مِنْ خِصالِ الكَمالِ مِنْ عِلْمٍ أَوْ شَجاعَةٍ أَوْ كَرَمٍ أَوْ زَهادَةٍ أَوْ حِلْمٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ عَدْلٍ وإِحْسانٍ وما لا يُعَدُّ ، فَإِنَّ مَنِ اتَّصَفَ واشْتَهَرَ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مالَتِ الطِّباعُ إِلَى مَحَبَّتِهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ ، وامْتَلأَ الصَّدْرُ بِعَظَمَتِهِ ، وطَفَحَت اللِّسانُ بِذِكْرِهِ ؛ وإِنْ كانَ لا يَعْرِفُهُ ولا يَجْمَعُ بَيْنَهُما زَمانٌ ولا مَكانٌ ؛ أَلا تَرَى أَنَّهُ إِذا بَلَغَ أَنَّ فِي أَقْصَى البِلادِ رَجُلًا فاضِلًا أَوْ عالِمًا أَوْ مَلِكًا عادِلًا مالَ الطَّبْعُ إِلَيْهِ وانْجَذَبَتِ النَّفْسُ إِلَى مَحَبَّتِهِ والثَّناءِ عَلَيْهِ ، وانْظُرْ أَهْلَ المَذاهِبِ تَجِدْ كُلًّا مِنْهُمْ قَدْ مَلأَ صَدْرَهُ عَظَمَةُ إِمامِهِ حَتَّى يُجادِلَ ويُدافِعَ عَنْهُ ويُخاصِمَ دُونَهُ ويَفْتَخِرَ بِهِ وبِالاعْتِزاءِ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ إِحْسانٍ سابِقٍ سِوَى ما وَقَرَ فِي قَلْبِهِ مِنْ عِلْمِهِ وإِمامَتِهِ وتَقَدُّمِهِ ، فَكَيْفَ لا تَمِيلُ الطِّباعُ إِلَى مَنْ جَمَعَ مِنَ الفَضائِلِ أُمَّهاتِها ، واشْتَمَلَ مِنْ شَرِيفِ الصِّفاتِ عَلَى مُعْظَمِها ، وسارَتْ تَحْتَ كُلِّ نَجْمٍ بِصِفاتِهِ الرُّكْبان ، وهَبَّتْ هُبُوبَ الرِّياحِ فِي القِفارِ والعُمْران ، مِنَ الشَّجاعَةِ والزَّهادَةِ ، والعُلُومِ والكَرَمِ والعِبادَةِ والعَدْلِ والفَصاحَة ، وسائِرِ صِفاتِ الكَمال ، مِمَّا يَقُصُّ عَلَيْكَ

بَعْضَهُ ما يَأْتِي فِي هَذِهِ الأَوْراقِ بِما يَزِيدُكَ يَقِينًا ؛ فَقَدْ تَحَلَّى - كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ - مِنْ صِفاتِ الكَمالِ بِكُلِّ صِفَةٍ يَبْلُغُ المُتَّصِفُ بِها غايَةَ الفَخْرِ وتَبْقَى جَدِيدَةً لا يُخْلِقُها مُرُورُ الدَّهْرِ ، لِذَلِكَ قِيلَ :

يَــدُلُّ بِمَعْنًــى وَاحِــدٍ كُلَّ فَاخِــرٍ ❁ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمٰنُ فِيهِ الْمَعَانِيَا

رَوَى الإِمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل فِي «كِتابِ المَناقِب» أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : (الصِّدِّيقُونَ ثَلاثَةٌ : حَبِيبٌ النَّجَّارُ مُؤْمِنُ آلِ ياسِينَ الَّذِي قالَ : ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ ، وحَزْقِيلُ مُؤْمِنُ آلِ فِرْعَوْنَ الَّذي قالَ : ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ ، وعَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ وهُوَ أَفْضَلُهُمْ) .

وكَنَّاهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِأَبي الرَّيْحانَتَيْن .

ورَوَى الإِمامُ أَحْمَدُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ لِعَلِيِّ بنِ أَبي طالِب : (سَلامٌ عَلَيْكَ يا أَبا الرَّيْحانَتَيْنِ فَعَنْ قَلِيلٍ يَذْهَبُ رُكْناكَ واللّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْك) ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ : هَذا أَحَدُ الرُّكْنَيْن ، فَلَمَّا ماتَتْ فاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَ : هَذا الرُّكْنُ الآخَر .

وكَنَّاهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِأَبي تُراب ؛ عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ قالَ : أَتَى النَّبِيُّ ﷺ فاطِمَةَ ، قالَ : (أَيْنَ ابنُ عَمِّكِ ؟) فَقالَتْ : هُوَ ذا مُضْطَجِعٌ فِي

المَسْجِد ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فَوَجَدَ رِداءَهُ قَدْ سَقَطَ عَنْ ظَهْرِهِ ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَمْسَحُ التُّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ ويَقُولُ : (اجْلِسْ أَبا تُراب) .

واللهِ ما كانَ اسْمٌ أَحَبَّ إِلَى عَلِيٍّ مِنْهُ ما سَمَّاهُ إِيَّاهُ إِلاَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ .

سَأَلُوا سَيِّدَنا عَلِيًّا رضي الله عنه : كَيْفَ عَرَفْتَ رَبَّكَ ؟

قالَ : عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي ، ولَوْلا رَبِّي ما عَرَفْتُ رَبِّي .

فالمَعارِفُ القَلْبِيَّةُ لَدَى أَهْلِ الخُصُوصِ تَسْبِقُ الدَّلائِلَ العَقْلِيَّة ، والمَعْرِفَةُ القَلْبِيَّةُ هِيَ الَّتي عَلَيْها المُعَوَّلُ والمَدار ، وعَلَيْها حُسْنُ الخاتِمَةِ والقَرار .

هَذِهِ المَعْرِفَةُ هِيَ الَّتي أَوْرَثَتِ الإِمامَ عَلِيًّا رضي الله عنه أَعْلَى مَراتِبِ اليَقِين ؛ والَّتي ظَهَرَتْ ثَمَرَتُهُ لَيْلَةَ مَبِيتِهِ فِي فِراشِ الحَبِيبِ الأَعْظَم ﷺ ، لَيْلَةَ الهِجْرَة ، وفِي ذَلِكَ يَقُولُ سَيِّدُنا عَلِيٌّ :

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الْحَصَىٰ
وَمَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ وَبِالْحِجْرِ

مُحَمَّدُ لَمَّا خَافَ أَنْ يَمْكُرُوا بِهِ
فَنَجَّاهُ ذُو الطَّوْلِ الإِلَهُ مِنَ الْمَكْرِ

وَبَاتَ رَسُولُ اللهِ فِي الْغَارِ آمِنًا
مُوَقًّى وَفِي حِفْظِ الإِلَهِ وَفِي سِتْرِ

نَعَمْ يا مَوْلايَ يا عَلِيُّ ، جَزاكَ المَوْلَى عَنْ كُلِّ مُسْلِمٍ ومُسْلِمَةٍ بِما يَلِيقُ بِصَنِيعِكَ وقَدْرِكَ العَلِيّ .

بَاتَ فِي مَضْجَعِهِ حِينَ سَرَى ۞ يَا بِرُوحِي سَارِيًا كَانَ سَرِيًّا

خَابَ مَا رَامُوا وَهَبَّ الْمُرْتَضَى ۞ وَنَجَا الْمُخْتَارُ يَطْوِي الْبِيدَ طَيًّا

وَالأَمَانَاتُ إِلَى أَرْبَابِهَا ۞ عَنْهُ أَدَّاهَا وَوَافَاهُ بَرِيًّا

وأَقامَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّمَ ثَلاثَ لَيالٍ وأَيَّامَها حَتَّى أَدَّى عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الوَدائِعَ الَّتي كانَتْ عِنْدَهُ للنَّاس، حَتَّى إذا فَرَغَ مِنْها هَبَّ مُهاجِرًا فَلَحِقَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَزَلَ مَعَهُ عَلَى كُلْثُوم بنِ هَدْم ، ولَمْ يُقِمْ بِقُبا إِلَّا لَيْلَةً أَوْ لَيْلَتَيْن .

وتَأْدِيَتُهُ الوَدائِعَ عَنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ مِنْ جُمْلَةِ ما أَقامَهُ فِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقامَ نَفْسِهِ مِثْلَ نَحْرِهِ بَقِيَّةَ بُدْنِه ؛ فَإِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الوَداعِ أَهْدَى مِئَةَ بَدَنَةً فَنَحَرَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ثَلاثًا وسِتِّينَ ، ونَحَرَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ باقِيَها كَما فِي حَدِيثِ سَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ :

بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِ اليَمَنِ لأَقْضِيَ بَيْنَهُمْ ، فَقُلْتُ يا رَسُولَ اللهِ بَعَثْتَنِي وأَنا شابٌّ لا عِلْمَ لِي بِالقَضاء ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى صَدْرِي وقالَ : (اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وسَدِّدْ لِسانَهُ) ، فَما شَكَكْتُ فِي قَضاءٍ بَيْنَ

اثْنَيْنِ حَتَّى جَلَسْتُ مَجْلِسِي هَذا .

لَمَّا قَدِمَ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ بِفَتْحِ خَيْبَر ، قالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (يا عَلِيُّ لَوْلا أَنْ تَقُولَ طائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي فِيكَ ما قالَتِ النَّصارَى فِي عِيسَى بنِ مَرْيَم ، لَقُلْتُ فِيكَ مَقالاً لا تَمُرُّ بِمَلأٍ مِنَ المُسْلِمِينَ إلَّا أَخَذُوا التُّرابَ مِنْ تَحْتِ رِجْلَيْكَ وفَضْلِ طَهُورِكَ يَسْتَشْفُونَ بِهِما ولَكِنْ حَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي ، وأَنْتَ تُبْرِئُ ذِمَّتِي ، وتَسْتُرُ عَوْرَتِي ، وتُقاتِلُ عَلَى سُنَّتِي ، وأَنْتَ غَدًا فِي الآخِرَةِ أَقْرَبُ الخَلْقِ مِنِّي ، وأَنْتَ عَلَى الحَوْضِ خَلِيفَتِي ، وأَنَّ وَلَدَكَ وَلَدِي ، وأَنْتَ تَقْضِي دَيْنِي ، وأَنْتَ تُنْجِزُ وَعْدِي ، وإِنَّ الحَقَّ عَلَى لِسانِكَ وفِي قَلْبِكَ ، ومَعَكَ ، وبَيْنَ يَدَيْكَ ، ونُصْبَ عَيْنَيْكَ ، الإيمانُ مُخالِطٌ لَحْمَكَ ودَمَكَ كَما خالَطَ لَحْمِي ودَمِي ، لا يَرِدُ عَلَيَّ الحَوْضَ مُبْغِضٌ لَكَ ، ولا يَغِيبُ عَنْهُ مُحِبٌّ لَكَ) ، فَخَرَّ عَلِيٌّ ساجِدًا وقالَ : الحَمْدُ للهِ الَّذي مَنَّ عَلَيَّ بِالإِسْلام ، وعَلَّمَنِي القُرْآنَ وحَبَّبَنِي إِلَى خَيْرِ البَرِيَّة ، وأَعَزِّ الخَلِيقَة ، وأَكْرَمِ أَهْلِ السَّمَواتِ والأَرْضِ عَلَى رَبِّهِ خاتَمِ النَّبِيِّينَ وسَيِّدِ المُرْسَلِينَ وصَفْوَةِ اللهِ فِي جَمِيعِ العالَمِين ، إِحْسانًا مِنَ اللهِ تَعالَى وتَفَضُّلاً مِنْهُ عَلَيَّ .

وَيَجْدُرُ بِنا أَنْ نُنَوِّهَ بِأَنَّ المُوَفَّقَ السَّعِيدَ هُوَ الحَصِيفُ المُتَحَرِّي ، فَيَتَجَنَّبُ الإِفْراطَ والتَّفْرِيطَ ، ويَسْلُكُ الاعْتِدالَ فِي مُوالاةِ ومَحَبَّةِ الإِمامِ عَلِيٍّ والآل .

ومِمَّا يَجِبُ تَوْضِيحُهُ أَنَّهُ لَيْسَ المُرادُ بِالتَّشَيُّعِ مُجَرَّدَ حُبِّ الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وشِيعَتِهِ ، ومَعْرِفَةَ فَضْلِ آلِ البَيْتِ ، فَهَذا جُزْءٌ صَمِيمٌ مِنَ الدِّين (وهُوَ عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَة) ، ولَكِنَّ المُرادَ التَّشَيُّعُ المَرْفُوضُ والمَذْمُومُ الَّذي يُغالِي فِي حُبِّ الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وآلِ البَيْتِ عَلَى غَيْرِ هُدًى ، ويَتَطَرَّفُ فِي ذَلِكَ ، ويَصِلُ بِهِ إِلَى الطَّعْنِ بِبَقِيَّةِ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم ، وازْدِراءِ مَواقِفِهِمْ ، وسَبِّهِمْ سِرًّا وعَلَنًا ، وهَذا ما يَبْرَأُ مِنْهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ حَقًّا .

حُبُّ النَّبِيِّ وآلِـهِ مَعَ صَحْبِهِ ۞ بُرْءُ السَّقِيمِ وَعُنْفُوانُ التَّالِفِ

ولَيْسَ هَذا فَقَطْ مِمَّا عَمَّتْ بِهِ البَلْوَى ، وقَدْ ظَهَرَ الفَسادُ وآتَى أُكُلَهُ فِي البِلادِ والعِباد ، إِلَّا مَنْ تَدارَكَتْهُ رَحْمَةُ رَبِّ العالَمِين .

فَكَيْفَ بِنا ونَحْنُ نَرَى ونَسْمَعُ مَنْ صُنِعَ عَلَى عَيْنِ الدَّجَّالِ عَبْرَ السَّمَواتِ المَفْتُوحَةِ المَعْرُوفَةِ بِالفَضائِيَّاتِ وهُوَ يَهْرِفُ بِاسْمِ المَلاحِدَةِ والمُسْتَهْزِئِينَ بِلُغَةِ القُرْآنِ وثَوابِتِ الدِّينِ وإِنْكارِ سُنَّةِ النَّبِيِّ

العَدْنانِ ﷺ ، وتَدْعَمُهُ شِلَّتُهُ مِنَ المارِقِينَ والمَوْتُورِينَ والحانِقِينَ والحاقِدِين .

آلَ بَيْتِ النَّبِيِّ أَنْتُمْ لَعَمْرِي ۞ رَحْمَةُ اللهِ وَالْهُدَىٰ لِلأَنَام

قَدْ نَظَمْتُمْ سِلْكَ الْمَفَاخِرِ يَزْهُو ۞ بِنَبِيٍّ وَوَارِثٍ وَإِمَام

فَعَلَى رُوحِ جَدِّكُمْ وَعَلَيْكُمْ ۞ صَلَوَاتُ الْمَوْلَى وَأَزْكَى السَّلام

وفِي نَظَرِي لا نَجاةَ مِنْ مَغَبَّةِ الإِفْراطِ أَوِ التَّفْرِيطِ إِلَّا بِتَقْدِيسِ الإِيمانِ بِاللهِ ، والعَمَلِ بِكِتابِهِ العَزِيزِ وسُنَّةِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام ، وجَعْلِ العَمَلِ والسُّلُوكِ هُوَ المِيزانُ بِالنِّسْبَةِ لِلمَناقِبِ والمَثالِبِ والتَّعْظِيمِ والمُوالاةِ والمُعاداةِ ؛ فالأَتْقَى والأَبَرُّ والأَعْلَمُ والمُلْتَزِمُ قَوْلًا وعَمَلًا بِشَرِيعَةِ اللهِ هُوَ الأَكْرَم ، وكُلُّ ذَلِكَ فِي القَرابَةِ والصَّحابَةِ فَضْلًا مِنَ اللهِ ونِعْمَة ؛ فَهُمْ رضي الله عنهم لِلمُتَرَسِّمِينَ الأُسْوَةُ والإِمْداد ، ولِلمُسْلِمِينَ خَيْرُ الزَّاد .

يَا رَبِّ بِالْمُصْطَفَى وَالآلِ خُذْ بِيَدِي ۞ وَاحْلُلْ بِلُطْفِكَ أَرْبَاطِي وَأَعْقَادِي

سائِلًا المَوْلَى الغَنِيَّ الجَوَّاد : أَنْ يُسْبِغَ عَلَيْنا نِعَمَهُ الظَّاهِرَةَ والباطِنَةَ مَعَ اللُّطْفِ والعافِيَةِ فِي الحَياةِ الدُّنْيا ويَوْمَ التَّناد .

سعيد أبو الأسعاد

بابٌ للدُّخُولِ عَلَى أَسَدِ اللهِ الغالِب

سَيِّدِنا الإِمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب

(حِيازَةُ المَراتِب .. بِمَعْرِفَةِ المَناقِب)

تَضافَرَتْ نُصُوصُ الكِتابِ والسُّنَّةِ ، وأَقْوالُ وأَفْعالُ العُلَماءِ الأَئِمَّةِ ، عَلَى التَّذْكِيرِ بِفَضائِلِ وخَصائِصِ ومَناقِبِ العِتْرَةِ (أَهْلِ بَيْتِ النُّبُوَّةِ) ، لِتَكُونَ نِبْراسَ هِدايَةٍ للأُمَّةِ :

فَمِنْ أَوْصافِهِم الفاخِرَةِ ، قَوْلُ مالِكِ الدُّنْيا والآخِرَةِ :

- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (1) .
- ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ (2) .
- ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (3) .

ومِنْ أَوْصافِهِم العَلِيَّةِ ، ما أَخْبَرَ بِهِ رَبُّ البَرِيَّةِ :

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (4) .

---

(1) سُورَةُ الأَحْزاب : مِنَ الآيَة ٣٣ .
(2) سُورَةُ هُود : مِنَ الآيَة ٧٣ .
(3) سُورَةُ الشُّورَى : مِنَ الآيَة ٢٣ .
(4) سُورَةُ مَرْيَم : الآيَة ٩٦ .

• ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (١) .

• ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ (٢) .

• ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ (٣) .

ومِنَ السُّنَّةِ العامِرَةِ ، أَقْوالُ سَيِّدِ أَهْلِ الدُّنْيا والآخِرَة :

والَّذي زَكَّاهُ مَوْلاهُ ، آمِرًا أُمَّتَهُ ﷺ بِقَوْلِه جَلَّ في عُلاه : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ ، فَمِنْ ذَلِكَ :

• إِنَّ أَهْلَ البَيْتِ مَعَ كَوْنِهِمْ أَوْلادَ سَيِّدَتِنا فاطِمَةَ الزَّهْراء رضي الله عنها بِنْتِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللَّه ﷺ يُسَمَّوْنَ أَبْناءَهُ ويُنْسَبُونَ إِلَيْه نِسْبَةً صَحِيحَةً : قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ ، وإِنَّ اللَّهَ تَعالَى جَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بن أَبِي طالِب) (٤) ، وقالَ ﷺ :

---

(١) سُورَةُ يُونُس : الآيات ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ .
(٢) سُورَةُ إبْراهيم : مِنَ الآيَة ٣٧ .
(٣) سُورَةُ الحَشْر : الآيَة ١٠ .
(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَراني .

(إِنَّ لِكُلِّ بَنِي أَبٍ عَصَبَةً يَنْتَمُونَ إِلَيْها إِلَّا وَلَدَ فاطِمَةَ أَنا وَلِيُّهُمْ وأَنا عَصَبَتُهُمْ وهُمْ عِتْرَتِي خُلِقُوا مِنْ طِينَتِي ، وَيْلٌ لِلْمُكَذِّبِينَ بِفَضْلِهِمْ ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللّٰهُ ، ومَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللّٰهُ تَعالَى)[1] .

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ بَعْلُهَا عَلِيٌّ ۞ وَابْنَاهُمَا السِّبْطَانِ فَضْلُهُمْ جَلِيُّ

كانَ الشَّعْبِيُّ يَمِيلُ إِلَى آلِ الرَّسُولِ ﷺ ، وكانَ لا يَذْكُرُهُمْ إِلَّا وهُوَ يَقُولُ : هُمْ أَبْناءُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وذُرِّيَّتُهُ ، فَنُقِلَ عَنْهُ ذَلِكَ إِلَى الحَجَّاجِ ابنِ يُوسُفَ الثَّقَفِي ، وتَكَرَّرَ ذَلِكَ عَنْهُ ، وكَثُرَ نَقْلُهُ عَنْهُ فَأَغْضَبَهُ ذَلِكَ مِنَ الشَّعْبِيِّ ونَقِمَ عَلَيْهِ ، فاسْتَدْعاهُ الحَجَّاجُ يَوْمًا ، وقَدِ اجْتَمَعَ لَدَيْهِ أَعْيانُ المِصْرَيْنِ (الكُوفَةِ والبَصْرَةِ) ، وعُلَماؤُهُما وقُرَّاؤُهُما ، فَلَمَّا دَخَلَ الشَّعْبِيُّ لَمْ يَهِشَّ لَهُ ، ولا وَفَّاهُ حَقَّهُ مِنَ الرَّدِّ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا جَلَسَ قالَ لَهُ : يا شَعْبِيُّ ما أَمْرٌ بَلَغَنِي عَنْكَ ، فَيَشْهَدُ عَلَيْكَ بِجَهْلِكَ ، قالَ ما هُوَ يا أَمِيرُ ؟! قالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ أَبْناءَ الرَّجُلِ لا يُنْسَبُونَ إِلَّا إِلَيْهِ ، والأَنْسابُ لا تَكُونُ إِلَّا بِالآباءِ ، فَما بالُكَ تَقُولُ عَنْ أَبْناءِ عَلِيٍّ إِنَّهُمْ أَبْناءُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وذُرِّيَّتُهُ وهَلْ لَهُمُ اتِّصالٌ بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ إِلَّا بِأُمِّهِمْ فاطِمَةَ ، والنَّسَبُ لا يَكُونُ بِالبَناتِ ، وإِنَّما يَكُونُ بِالأَبْناءِ ؟

---

(١) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك ، وابنُ عَساكِر فِي تارِيخ دِمَشْق .

فَأَطْرَقَ الشَّعْبِيُّ ساعَةً ، حَتَّى بَلَغَ الحَجَّاجُ فِي الإِنْكارِ عَلَيْهِ ، ووَقَعَ إِنْكارُهُ فِي مَسامِعِهِ والشَّعْبِيُّ ساكِتٌ ، فَقالَ : يا أَمِيرُ ما أَراكَ إِلَّا تُكَلِّمُنا بِكَلامِ مَنْ يَجْهَلُ كَلامَ اللهِ وسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ أَوْ يُعْرِضُ عَنْهُما ، فازْدادَ الحَجَّاجُ غَضَبًا مِنْهُ وقالَ : أَلِمِثْلِي تَقُولُ هَذا يا وَيْلَكَ ؟ قالَ نَعَمْ هَؤُلاءِ قُرَّاءُ المِصْرَيْنِ ، حَمَلَةُ الكِتابِ العَزِيزِ أَلَيْسَ قَدْ قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ، ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ وعَنْ إِبْراهِيمَ عليه السلام : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ وهَلْ كانَ اتِّصالُ عِيسَى عليه السلام بِالثَّلاثَةِ إِلَّا بِأُمِّهِ ، وقَدْ صَحَّ النَّقْلُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ : (هَذا ابْنِي سَيِّدُ شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ) ، فَخَجِلَ الحَجَّاجُ ، وعادَ يَتَلَطَّفُ الشَّعْبِيَّ .

أَخْرَجَ البُخارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه ، قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ ، والحَسَنُ إِلَى جَنْبِهِ ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ مَرَّةً وإِلَيْهِ مَرَّةً ، ويَقُولُ : (إِنَّ ابْنِي هَذا سَيِّدٌ ولَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ) .

• ومِنْ فَضائِلِ أَهْلِ البَيْتِ تَخْصِيصُهُمْ بِالصَّلاةِ والسَّلامِ فِي آخِرِ

صَلاةِ كُلِّ عَبْدٍ مُسْلِم ، والصَّلاةُ عَلَيْهِمْ طَلَبُ الرِّفْعَةِ ، وعُلُوِّ الدَّرَجَةِ لَهُمْ ، والرَّحْمَةِ والمَغْفِرَةِ .

قالَ عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ أَبي لَيْلَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَقِيتُ كَعْبَ بنَ عَجْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقالَ : أَلا أُهْدِيكَ هَدِيَّةً ؟ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنا ، فَقُلْنا : قَدْ عَرَفْنا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ فَقالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّد ، كَما صَلَّيْتَ عَلَى إِبْراهِيمَ وعَلَى آلِ إِبْراهِيم إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد ، اللَّهُمَّ بارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّد ، كَما بارَكْتَ عَلَى إِبْراهِيمَ وعَلَى آلِ إِبْراهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد)[1] .

ولِلهِ دَرُّ الإمامِ الشَّافِعِيِّ فِي نَظْمِهِ :

يا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ ۞ فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي القُرْآنِ أَنْزَلَهُ

يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ القَدْرِ أَنَّكُمُ ۞ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لا صَلاةَ لَهُ

• قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (ما بالُ أَقْوامٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ قَرابَتِي لا تَنْفَعُ ، إِنَّ كُلَّ سَبَبٍ ونَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ القِيامَةِ إِلَّا سَبَبِي ونَسَبِي ، وإِنَّ رَحِمِي مَوْصُولَةٌ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ)[2] .

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي ، ومُسْلِمٌ ، وأَبُو داوُد ، والتِّرْمِذِي ، وابنُ ماجه .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

• قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِعَمِّهِ العَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (واللّهِ لا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلّهِ ولِقَرابَتِي) .

• أَخْرَجَ الإمامُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ يَزِيدَ بنِ حَيَّانَ ، قالَ : انْطَلَقْتُ أَنا وحُصَيْنُ بنُ سَبْرَةَ ، وعُمَرُ بنُ مُسْلِمٍ إِلَى زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَلَمَّا جَلَسْنا إِلَيْهِ قالَ حُصَيْنٌ : لَقَدْ لَقِيتَ يا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا ، رَأَيْتَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وسَمِعْتَ حَدِيثَهُ ، وغَزَوْتَ مَعَهُ ، وصَلَّيْتَ خَلْفَهُ لَقَدْ أُوتِيتَ خَيْرًا كَثِيرًا ، حَدِّثْنا يا زَيْدُ بِما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، فَقالَ زَيْدٌ : قامَ رَسُولُ اللّه ﷺ فِينا خَطِيبًا[1] ، فَحَمِدَ اللّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ ووَعَظَ وذَكَّرَ ، ثُمَّ قالَ : أَمَّا بَعْدُ ، أَلا أَيُّها النَّاسُ .. فَإِنَّما أَنا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَهُ ، وأَنا تارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، أَوَّلُهُما كِتابُ اللّه ؛ فِيهِ الهُدَى والنُّور ، فَخُذُوا بِكِتابِ اللّهِ واسْتَمْسِكُوا بِهِ فَحَثَّ عَلَى كِتابِ اللّهِ ورَغَّبَ فِيهِ ، ثُمَّ قالَ : (وأَهْلُ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي) .

قالَ العُلَماء : سُمِّيا ثَقَلَيْنِ ، لأَنَّ الأَخْذَ بِهِما ثَقِيلٌ والعَمَلَ بِهِما ثَقِيلٌ ، وأَصْلُ الثَّقَل : أَنَّ العَرَبَ تَقُولُ لِكُلِّ شَيْءٍ نَفِيسٍ خَطِيرٍ مَصُونٍ ثَقَلٌ ،

---

(١) وكانَ ذَلِكَ بِماءٍ يُدْعَى خُمًّا : وخُمٌّ عَلَى مَسِيرَةِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنَ الجُحْفَة ، وبِها غَدِيرٌ مَشْهُور ، يُقالُ لَهُ خُم .

فَسَمَّاهُما ثَقَلَيْنِ إعْظامًا لِقَدْرِهِما وتَفْخِيمًا لِشَأْنِهِما ، ويُقالُ لِلسَّيِّدِ العَزِيزِ ثَقَلٌ ، وسَمَّى اللّٰهُ تَعالَى الجِنَّ والإنْسَ الثَّقَلَيْن ؛ سُمِّيا ثَقَلَيْنِ لِتَفْضِيلِ اللّٰهِ تَعالَى إيَّاهُما عَلَى سائِرِ الحَيَوانِ المَخْلُوقِ فِي الأَرْضِ بِالتَّمْيِيزِ والعَقْلِ الَّذِي خُصَّا بِهِ .

وقالَ الصَّبَّانُ فِي إسْعافِ الرَّاغِبِينَ : ومَعْنَى أُذَكِّرُكُمُ اللّٰهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي : أُحَذِّرُكُمُ اللّٰهَ فِي شَأْنِ أَهْلِ بَيْتِي .

وقالَ ابنُ عِلّانَ فِي شَرْحِ رِياضِ الصَّالِحِين : وفِي تَكْرِيرِهِ تَأْكِيدُ الوِصايَةِ بِهِمْ ، وطَلَبُ العِنايَةِ بِشَأْنِهِمْ ، فَيَكُونُ مِنْ قَبِيلِ الواجِبِ المُؤَكَّدِ المَطْلُوبِ عَلَى طَرِيقِ الحَثِّ .

• أَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قالَ : (مَنْ أَحَبَّ اللّٰهَ أَحَبَّ القُرْآنَ ، ومَنْ أَحَبَّ القُرْآنَ أَحَبَّنِي ، ومَنْ أَحَبَّنِي أَحَبَّ أَصْحابِي وقَرابَتِي)(١) .

• وأَخْرَجَ ابنُ النَّجَّارِ فِي تارِيخِهِ بِسَنَدِهِ عَنِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (لِكُلِّ شَيْءٍ أَساسٌ ، وأَساسُ الإسْلامِ حُبُّ أَصْحابِي وحُبُّ أَهْلِ بَيْتِي)(٢) .

• وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ قالَ : (أَدِّبُوا أَوْلادَكُمْ عَلَى ثَلاثِ خِصالٍ : حُبِّ

(١) أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الفِرْدَوْس . (٢) وأَخْرَجَهُ السُّيُوطِي فِي الدُّرِّ المَنْثُور .

نَبِيِّكُمْ ، وحُبِّ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وعَلَى قِراءَةِ القُرْآن) .

• وأَخْرَجَ الحافِظُ السِّلَفِي عَنْ مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ أَنَّهُ قالَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (١) : لا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إلَّا وفِي قَلْبِهِ وُدٌّ لِعَلِيٍّ وأَهْلِ بَيْتِهِ .

• قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : (النُّجُومُ أَمانٌ لأَهْلِ السَّماءِ وأَهْلُ بَيْتِي أَمانٌ لأُمَّتِي) (٢) .

فالنُّجُومُ أَمانٌ لِماذا ؟ كَما قالَ تَعالَى : ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٣) ؛ فالنَّاسُ يَعْرِفُونَ طُرُقَهُمْ بِالنَّجْمِ ، ويَعْرِفُونَ أَيَّامَهُمْ وشُهُورَهُمْ ويَحْسِبُونَ حِساباتِهِمْ بِهَذِهِ النُّجُوم ؛ فالنَّجْمُ طَرِيقُ هِدايَةٍ لِلنَّاس ، وأَهْلُ البَيْتِ هُمُ الهِدايَةُ ، وهُمُ السُّنَّةُ العَمَلِيَّةُ الفِعْلِيَّةُ لأَهْلِ الأَرْضِ ، كَما جاءَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ : (تَرَكْتُ فِيكُمْ ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي أَبَدًا ، كِتابَ اللّهِ وعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي) ، وهُناكَ رِوايَةٌ أُخْرَى لِلحَدِيث : (...... كِتابَ اللّهِ وسُنَّتِي) ، وهَذِهِ الرِّوايَةُ هِيَ الرِّوايَةُ المَشْهُورَةُ ، ولَكِنَّ رِوايَةَ العِتْرَةِ هِيَ أَكْثَرُ تَواتُرًا مِنْ رِوايَةِ السُّنَّةِ ، ولِذَلِكَ قالَ سادَتُنا العُلَماءُ شُرَّاحُ الحَدِيث : إِنَّ العِتْرَةَ وأَهْلَ

---

(١) سُورَةُ مَرْيَم : مِنَ الآيَة ٩٦ .
(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .
(٣) سُورَةُ النَّحْل : مِنَ الآيَة ١٦ .

البَيْتِ هُمُ السُّنَّةُ العَمَليَّةُ ؛ لأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَمَرَنا بِحُسْنِ الخُلُقِ والمُناصَحَةِ ، وأَمَرَنا بِحُسْنِ الجِوارِ والسَّماحَةِ ، وأَمَرَنا بِعَدَمِ التَّخاذُلِ عَنْ نُصْرَةِ الحَقِّ ، وأَمَرَنا بالعَمَلِ وعَدَمِ الاتِّكالِ عَلَى النَّسَبِ ، والَّذينَ طَبَّقُوا هَذِهِ الأَوامِرَ عَمَلِيًّا هُمْ أَهْلُ البَيْتِ فَكانُوا بِحَقٍّ السُّنَّةَ العَمَلِيَّةَ لِسَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ ، لِذَلِكَ وَجَبَ عَلَيْنا الاقْتِداءُ بِهِمْ ، ولا سَبيلَ لِذَلِكَ إِلَّا بِدَوامِ تَذَكُّرِهِمْ ومَوَدَّتِهِمْ والتَّعَرُّفِ عَلَى سِيرَتِهِمْ ، وما لا يَتِمُّ الواجِبُ إِلَّا بِهِ ، فَهُوَ واجِبٌ .

- أَخْرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ، قالَ : (ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِه) [١] .

- وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ أَنَّهُ ﷺ قالَ : (مَنْ أَرادَ التَّوَسُّلَ إِلَيَّ وأَنْ يَكُونَ لَهُ عِنْدِي يَدٌ أَشْفَعُ لَهُ بِها يَوْمَ القِيامَةِ ، فَلْيَصِلْ أَهْلَ بَيْتِي ويُدْخِلِ السُّرورَ عَلَيْهِمْ) [٢] .

- وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَرْبَعَةٌ أَنا لَهُمْ شَفيعٌ يَوْمَ القِيامَةِ : المُكْرِمُ لِذُرِّيَّتِي ، والقاضِي لَهُمْ حَوائِجَهُمْ ، والسَّاعِي لَهُمْ فِي أُمُورِهِمْ عِنْدَما اضْطُرُّوا إِلَيْهِ ، والمُحِبُّ لَهُمْ بِقَلْبِهِ ولِسانِهِ) .

---

(١) وأَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِي مِنْ طُرُقٍ مُتَعَدِّدَة . (٢) وأَخْرَجَهُ المُتَّقِي الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .

• وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ أَبي سَعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : (غَضِبَ اللهُ عَلى مَنْ آذاني في عِتْرَتي)[١] ، وصَحَّ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَجَلِهِ ، وأَنْ يُمَتَّعَ بِما خَوَّلَهُ اللهُ تَعالَى ، فَلْيَخْلُفْنِي فِي عِتْرَتِي خِلافَةً حَسَنَةً)[٢] .

• وأَخْرَجَ الحاكِمُ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِي مِنْ بَعْدِي)[٣] .

• وأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ فِي الأَوْسَطِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : (إِنَّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَها نَجا ، ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ ، وإِنَّما مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي فِيكُمْ كَمَثَلِ بابِ حِطَّةٍ فِي بَنِي إِسْرائِيلَ مَنْ دَخَلَهُ غُفِرَ لَهُ)[٤] .

• وأَخْرَجَ ابنُ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : (أَنا وأَهْلُ بَيْتِي شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ وأَغْصانُها فِي الدُّنْيا ، فَمَنْ شاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا)[٥] .

• وأَخْرَجَ الإِمامُ أَحْمَدُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَمَن

---

(١) وأَخْرَجَ بِنَحْوِهِ الإمامُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ ، وابنُ أَبِي عاصِمٍ فِي شَرْحِ السُّنَّة .
(٢) أَخْرَجَهُ المُتَّقِي الهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .
(٣) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .
(٤) وأَخْرَجَهُ الهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوائِد .
(٥) وأَخْرَجَ بِنَحْوِهِ السُّيُوطِي فِي الدُّرِّ المَنْثُور ، والبَيْهَقِيُّ فِي دَلائِلِ النُّبُوَّة .

يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [1] ، قالَ : الحَسَنَةُ مَوَدَّةُ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ .

• وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (أَثْبَتُكُمْ عَلَى الصِّراطِ ، أَشَدُّكُمْ حُبًّا لأَهْلِ بَيْتِي وأَصْحابِي) .

• وأَخْرَجَ ابنُ عَدِيٍّ والبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (مَنْ لَمْ يَعْرِفْ حَقَّ عِتْرَتِي والأَنْصار فَهُوَ لإِحْدَى ثَلاثٍ : إِمَّا مُنافِقٌ ، وإِمَّا لِزَنْيَةٍ ، وإِمَّا لِغَيْرِ طُهُورٍ) ؛ يَعْنِي : حَمَلَتْهُ أُمُّهُ عَلَى غَيْرِ طُهْرٍ .

• عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قالَ : (يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ إِنِّي سَأَلْتُ اللّٰهَ لَكُمْ ثَلاثًا : سَأَلْتُهُ أَنْ يُثَبِّتَ قائِمَكُمْ ، وأَنْ يُعَلِّمَ جاهِلَكُمْ ، وسَأَلْتُهُ أَنْ يَجْعَلَكُمْ جُوَداءَ ، نُجَداءَ ، رُحَماءَ ، فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا صَفَنَ بَيْنَ الرُّكْنِ والمَقامِ ، وصَلَّى وصامَ ، ثُمَّ ماتَ وهُوَ مُبْغِضٌ لأَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ، دَخَلَ النَّارَ) [2] .

فَمَنْ آذَى أَهْلَ البَيْتِ ، فَقَدْ آذَى النَّبِيَّ ﷺ ، ومَنْ آذَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَدْ أَغْضَبَ اللّٰهَ تَعالَى ، ومَنْ أَغْضَبَ اللّٰهَ تَعالَى ، فَقَدْ حاقَ بِهِ العَذابُ ، ولِذا يَحْرُمُ تَحْرِيمًا شَدِيدًا أَذِيَّةُ أَهْلِ البَيْتِ بِالقَوْلِ أَو الفِعْلِ ، أَحْياءً

---

(١) سُورَةُ الشُّورى : مِنَ الآيَة ٢٣ .

(٢) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ وصَحَّحَهُ عَلَى شَرْطِ مُسْلِم ، وأَخْرَجَهُ الطَّبَرانِيُّ فِي الكَبِيرِ .

كانُوا أَمْ مُنْتَقِلِينَ ، فَقَدْ تَوَعَّدَ اللَّهُ المُعْرِضَ المُسْتَكْبِرَ ، القاطِعَ لِما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ : أَشَدَّ الوَعِيدِ ، وذَلِكَ قَوْلُ رَبِّ العالَمِين :

﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ (١) .

• ومِنَ الخَصائِصِ الَّتي اخْتَصَّ اللَّهُ بها آلَ البَيْت : تَحْرِيمُ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِمْ صِغارًا كانُوا أَمْ كِبارًا ؛ فَلا يَحِلُّ لَهُمُ الأَكْلُ مِنَ الصَّدَقَة .

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ أَخَذَ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَها فِي فِيهِ فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كِخْ .. كِخْ (٢) .. ارْمِ بِها ، أَما عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأْكُلُ الصَّدَقَةَ ؟) (٣) .

• قالَ اللَّهُ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ (٤) .

---

(١) سُورَةُ الرَّعْد : الآيَة ٢٥ .

(٢) كِخْ : كَلِمَةٌ تُقالُ لِرَدْعِ الصَّبِيِّ عِنْدَ تَناوُلِه ما يُسْتَقْذَرُ .

(٣) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ومُسْلِمٌ فِي صَحِيحَيْهِما ، وأَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ ، وابنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي مُصَنَّفِهِ ، والبَيْهَقِيُّ فِي سُنَنِهِ الكُبْرَى .

(٤) سُورَةُ آل عِمْران : الآيَة ٦١ .

وتُسَمَّى هَذِهِ الآيَةُ ، آيَةَ المُباهَلَة ، وهِيَ مِنْ آياتِ اللّهِ الباهِراتِ الَّتي أَشادَتْ بِفَضْلِ أَهْلِ البَيْتِ رضي الله عنهم .

وَقَدْ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ الهِجْرَةِ ، ويَأْتي خَبَرُ نُزُولِها عِنْدَ ذِكْرِ وَفْدِ نَجْران .

وَقَدْ رَوَى الجُمْهُورُ بِطُرُقٍ مُسْتَفِيضَة ، أَنَّها نَزَلَتْ فِي أَهْلِ البَيْتِ وأَنَّ ﴿أَبْنَآءَنَا﴾ إِشارَةً إِلَى سَيِّدِنا الحَسَنِ وسَيِّدِنا الحُسَيْنِ رضي الله عنهما ، و﴿نِسَآءَنَا﴾ إِلَى السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ رضي الله عنها ، و﴿أَنفُسَنَا﴾ إِلَى الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه .

ومُوجَزُ قِصَّةِ المُباهَلَة : أَنَّ وَفْدًا مِنْ نَصارَى نَجْرانَ وكانُوا سِتِّينَ راكِبًا ، قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ، لِيُناظِرُوهُ فِي دِينِه ، وبَعْدَ حَديثٍ دارَ بَيْنَهُما اتَّفَقا عَلَى المُباهَلَةِ وهِيَ أَنْ يَبْتَهِلُوا أَمامَ اللّهِ تَعالَى ، فَيَجْعَلُوا لَعْنَتَهُ الخالِدَةَ وعَذابَهُ المُعَجَّلَ عَلَى الكاذِبِينَ ، وعَيَّنُوا زَمَنًا خاصًّا لَها .

وخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فِي اليَوْمِ الَّذي اتَّفَقا عَلَيْهِ ، وقَدِ اخْتارَ لِلمُباهَلَةِ أَعَزَّ النَّاسِ إِلَيْهِ وأَكْرَمَهُمْ عِنْدَ اللّه ، وهُم الحَسَنُ والحُسَيْنُ وسَيِّدَةُ النِّساءِ فاطِمَةُ وأَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ ، واحْتَضَنَ صلى الله عليه وسلم الحُسَيْنَ ، وأَمْسَكَ بِيَدِهِ الأُخْرَى الحَسَنَ ، وسارَتْ خَلْفَهُ الزَّهْراءُ وهِيَ مُغَشَّاةٌ بِمُلاءَةٍ مِنْ

نُورِ اللّهِ ، والإمامُ عَلِيٌّ يَسِيرُ خَلْفَها وهُوَ بادِي الجَلالِ ، وخَرَجَ حَبْرا النَّصارَى (السَّيِّدُ والعاقِبُ) ، ومَعَهُما نَصارَى نَجْرانَ وفُرْسانُ بَنِي الحارِثِ عَلَى خُيُولِهِمْ ، وهُمْ عَلَى أَحْسَنِ هَيْأَةٍ واسْتِعْداد ، وقَدِ اجْتَمَعَتِ الجُمُوعُ الحاشِدَةُ ، وهِيَ تُراقِبُ الحادِثَ الخَطِيرَ ، ويَسْأَلُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا : هَلْ تُباهِلُ النَّصارَى ؟ أَوْ تَكُفُّ عَنْ ذَلِكَ ؟ وبَيْنَما هُمْ عَلَى هَذا الحالِ إذْ تَقَدَّمَ السَّيِّدُ والعاقِبُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، وقَدْ بَدا عَلَيْهِما الذُّهُولُ والارْتِباكُ قائِلَيْنِ : يا أَبا القاسِمِ بِمَنْ تُباهِلُنا ؟ فَأَجابَهُمْ ﷺ : (أُباهِلُكُمْ بِخَيْرِ أَهْلِ الأَرْضِ وأَكْرَمِهِمْ عِنْدَ اللّه) ، وأَشارَ ﷺ إِلَى عَلِيٍّ وفاطِمَةَ والحَسَنِ والحُسَيْنِ رضي الله عنهم ، فَرَجَعا قافِلَيْنِ إِلَى الأُسْقُفِ زَعِيمِهِمْ يَسْتَشِيرانِهِ فِي الأَمْرِ قائِلَيْنِ : يا أَبا حارِثَةَ ماذا تَرَى فِي الأَمْرِ ؟ ، فَأَجابَهُما الأُسْقُفُ وقَدْ غَمَرَتْهُ هَيْبَةُ الرَّسُولِ وآلِهِ ، قائِلًا : أَرَى وُجُوهًا لَوْ سَأَلَ اللّهَ بِها أَحَدٌ أَنْ يُزِيلَ جَبَلًا مِنْ مَكانِهِ لأَزالَهُ ، ورَضُوا بِإِعْطاءِ الجِزْيَةِ وصالَحَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى ذَلِكَ وهِيَ : أَلْفُ حُلَّةٍ فِي شَهْرِ صَفَر ، وأَلْفُ حُلَّةٍ فِي رَجَب ، مَعَ كُلِّ حُلَّةٍ أُوقِيَّةٌ مِنْ فِضَّة ، ثُمَّ قالُوا : أَرْسِلْ مَعَنا أَمِينًا ، فَأَرْسَلَ ﷺ مَعَهُمْ ، أَبا عُبَيْدَةَ عامِرَ بْنَ الجَرَّاحِ رضي الله عنه ، وكانَ لِذَلِكَ يُسَمَّى أَمِينَ هَذِهِ الأُمَّة .

حُبُّ النَّبِيِّ وأَهْلِ الْبَيْتِ مُعْتَمَدِي ۞ إذا الخُطُوبُ أَساءَتْ رَأْيَها فِينَا

يا رَبِّ سَهِّلْ زِياراتِي مَشاهِدَهُمْ ۞ فَإِنَّ رُوحِيَ تَهْوَى ذَلِكَ الطِّينَا

يا رَبِّ صَيِّرْ حَياتِي فِي مَحَبَّتِهِمْ ۞ ومَحْشَرِي مَعَهُمْ آمِينَ آمِينَا

قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنه فِي قَوْلِهِ تعالَى : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ المُؤْمِنِ إِلَيْهِ فِي دَرَجَتِهِ فِي الجَنَّةِ ، وإِنْ كانُوا دُونَهُ فِي العَمَلِ لِتَقَرَّ بِهِمْ عَيْنُهُ ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [1] .

قالَ : وما أَنْقَصْنا الآباءَ بِما أَعْطَيْناهُ الأَبْناءَ .

وإذا كانَ هَذا الفَضْلُ لآحادِ المُؤْمِنِينَ مَعَ ذُرِّيَّتِهِمُ المُقَصِّرِينَ ، فَما بالُنا بِسَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ صلى الله عليه وسلم مَعَ ذُرِّيَّتِهِ المُطَهَّرِينَ .

• إِذا كانَ اللَّهُ تَعالَى حَثَّ المُؤْمِنِينَ عَلَى طَهارَةِ الكَعْبَةِ بَيْتِ اللَّهِ الحَرام ، عَلَى سَبِيلِ التَّعَبُّدِ والامْتِحان ، فَقَدْ تَفَضَّلَ سُبْحانَهُ بِتَطْهِيرِ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام ، بِمَحْضِ الامْتِنانِ والإِحْسان :

فَعَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ :[2] خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم غَداةً ، وعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَجَّلٌ مِنْ شَعْرٍ أَسْوَد ، فَجاءَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ فَأَدْخَلَهُ ،

---

(١) سُورَةُ الطُّور : مِنَ الآيَة ٢١ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ .

ثُمَّ جاءَ الحُسَيْنُ فَدَخَلَ مَعَهُ ثُمَّ جاءَتْ فاطِمَةُ فَأَدْخَلَها ، ثُمَّ جاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ ، ثُمَّ قالَ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (١) .

وفي رِوايَةٍ أُخْرَى عَنِ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا (زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ) ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَلَّلَ عَلَى الحَسَنِ والحُسَيْنِ وعَلِيٍّ وفاطِمَةَ كِساءً ، ثُمَّ قالَ : (اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وخاصَّتِي ، أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا) فَقالَتِ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : وأَنا مَعَهُمْ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قالَ ﷺ : (إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ) (٢) .

وفي رِوايَةٍ أُخْرَى ، عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ يَمُرُّ بِبابِ فاطِمَةَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، إِذا خَرَجَ إِلَى صَلاةِ الفَجْرِ ، يَقُولُ : (الصَّلاةَ يا أَهْلَ البَيْتِ ، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾) (٣) .

وإِذا كانَ حَجُّ البَيْتِ بِمَكَّةَ المُكَرَّمَةِ (وهُوَ رُكْنٌ عَظِيمٌ) يُحَتِّمُ أَداءَ مَشاعِرَ ومَناسِكَ في إِطارِ تَقْوَى الجَوارِحِ الَّتِي ثَمَرَةُ الْتِزامِها تَقْوَى القُلُوبِ : ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ (٤) ، فَإِنَّ

(١) سُورَةُ الأَحْزاب : الآيَة ٣٣ .
(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .
(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .
(٤) سُورَةُ الحَج : الآيَة ٣٢ .

دَوامَ مَودَّةِ أَهْلِ بَيْتِ الحَبِيبِ المُصْطَفَى ﷺ ، باعِثُه تَقْوَى القُلوب ، وزِينَتُه لِباسُ التَّقْوى : ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [1] .

● ما مِنْ مُتَحَدِّثٍ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمورِ الدِّينِ بِصِفَةٍ عامَّةٍ إِلَّا ويُصَلِّي ويُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ مَعَ جَدِّهِمْ ﷺ فِي بِدايَةِ حَدِيثِهِ ، ويَفْعَلُ ذَلِكَ فِي نِهايَةِ حَدِيثِهِ أَيْضًا .

ولِلّهِ دَرُّ الفَرَزْدَقِ فِي قَوْلِهِ :

مُقَدَّمٌ بَعْدَ ذِكْرِ اللهِ ذِكْرُهُمُ ۞ فِي كُلِّ بَدْءٍ ومَخْتُومٌ بِهِ الْكَلِمُ
إِنْ عُدَّ أَهْلُ التُّقَى كانُوا أَئِمَّتَهُمْ ۞ أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ قِيلَ هُمُ

● مِنْ سابِغِ نِعَمِ اللهِ وكَرَمِهِ عَلَى أَهْلِ البَيْتِ الكِرام : أَنْ يُفِيضَ اللهُ هَذا الكَرَمَ عَلَى مَنْ وَفَّقَهُ اللهُ لِمَوَدَّةِ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ وهُمْ أَحْبابُهُمْ وأَنْصارُهُمْ الَّذينَ أُلْحِقُوا بِأَهْلِ البَيْتِ بِطَرِيقِ المُوالاةِ والحُبِّ ، وهَذا البابُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ أَحْبابِهِمْ فِي كُلِّ عَصْرٍ ، وهُمْ يُنْسَبُونَ لأَهْلِ البَيْتِ مِنْ هَذا البابِ لا مِنْ بابِ النَّسَبِ الحَقِيقِيِّ الَّذي يَخُصُّ الذُّرِّيَّةَ وَحْدَهُمْ ، (وبابُ الحُبِّ والمُوالاةِ) مِنْ أَجْمَلِ وأَوْسَعِ الأَبْوابِ ، وهُمْ مَنْ نُسَمِّيهِمْ (مَحاسِيب أَهْلِ البَيْت) الَّذينَ

---

(١) سُورَةُ الأَعْراف : مِنَ الآيَة ٢٦ .

قِيلَ عَنْهُمْ : (المَحْسُوب مَنْسُوب) ، وَمَنْ أَحَبَّ قَوْمًا حُشِرَ مَعَهُمْ مِثْلُ سَيِّدِنا سَلْمانَ الفارِسِيِّ ﷺ ، حَيْثُ قالَ عَنْهُ سَيِّدُنا رَسُولُ اللهِ ﷺ : (سَلْمانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْت) ، وسَيِّدِنا واثِلَةَ بنِ الأَسْقَع ﷺ ؛ حَيْثُ سَأَلَ سَيِّدَنا رَسُولَ اللهِ ﷺ قائِلًا : وأَنا مِنْ أَهْلِ بَيْتِك يا رَسُولَ اللهِ ؟ فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (أَنْتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي) ، وكانَ سَيِّدُنا واثِلَةُ يَقُولُ عَنْ تِلْكَ البُشْرَى : واللهِ إِنَّها لأَرْجَى ما أَرْتَجِي .

ويُؤَيِّدُ ما ذَهَبْنا إِلَيْهِ ما أَجابَ بِهِ سَيِّدُنا الإمامُ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ عِنْدَما سَأَلَهُ أَحَدُ المُحِبِّينَ قائِلًا : أَعْطِنِي - جَعَلَنِي اللهُ فِداكَ - حُجَّةً مِنْ كِتابِ اللهِ ، أَسْتَدِلُّ بِها عَلَى أَنَّ آلَ مُحَمَّدٍ هُمْ أَهْلُ بَيْتِهِ خاصَّةً دُونَ غَيْرِهِمْ فَقالَ ﷺ : نَعَمْ ، قالَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وهُوَ أَصْدَقُ القائِلِين : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (١) ، ثُمَّ بَيَّنَ مَنْ أُولَئِكَ الَّذينَ اصْطَفاهُمْ ، فَقالَ : ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢) ، ولا تَكُونُ ذُرِّيَّةُ القَوْمِ إِلَّا نَسْلَهُمْ ، وعَنْ الانْتِسابِ عَنْ طَرِيقِ الحُبِّ والمُوالاةِ قالَ أَيْضًا : مَنِ اتَّقَى مِنْكُمْ وأَصْلَحَ فَهُوَ مِنَّا أَهْلَ البَيْت ، قِيلَ لَهُ : مِنْكُمْ

---

(١) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيَة ٣٣ . (٢) سُورَةُ آلِ عِمْران : الآيَة ٣٤ .

يا ابْنَ رَسُولِ اللَّه ؟ فَقالَ : نَعَمْ مِنَّا ، أَما سَمِعْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ (١) .

• تَأْتِي مَوَدَّةُ أَهْلِ البَيْتِ مِنْ صَفْوَةِ الخَلْقِ اسْتِجابَةً لِتَوْجِيهِ الحَقِّ سُبْحانَهُ وتَعالَى : ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ (٢) ، بَعْدَ أَنْ غَمَرَهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، ﴿رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ .

• قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ : (الْزَمُوا مَوَدَّتَنا أَهْلَ البَيْتِ فَإِنَّهُ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ وهُوَ يَوَدُّنا دَخَلَ الجَنَّةَ بِشَفاعَتِنا ، والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَنْفَعُ عَبْدًا عَمَلُهُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِّنا) (٣) .

• وقَدْ رُوِيَ فِي الخَبَرِ عَنْ سَيِّدِ البَشَرِ ﷺ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَوْلِياءِ اللَّهِ ، فَقالَ ﷺ : (الَّذينَ يُذْكَرُ اللَّهُ بِرُؤْيَتِهِمْ) (٤) ؛ وهَذا مُتَحَقِّقٌ لِلرَّائِي مَشاهِدَهُمْ ومَقاماتِهِمْ ومَزاراتِهِمْ ، فَيَتَذَكَّرُ اللَّهَ الدَّائِمَ الحَيَّ الباقِي ، الَّذي أَكْرَمَهُمْ ونَعَّمَهُمْ بِالعَطاءِ الوافِي .

• وأَمَّا البُشْرَى الجامِعَةُ : أَنَّ المَرْءَ يُحْشَرُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ؛ فَعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ أَعْرابِيًّا قالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَتَى السَّاعَة ؟ فَقالَ

---

(١) سُورَةُ المائِدَة : مِنَ الآيَة ٥١ .
(٢) سُورَةُ الرُّوم : مِنَ الآيَة ٥٠ .
(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي الأَوْسَط .
(٤) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذي والبَزَّار .

رَسُولُ اللَّه ﷺ : (ما أَعْدَدْتَ لَها ؟) ، قالَ : حُبَّ اللَّهِ ورَسُولِه ، قالَ ﷺ : (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ)[1] .

قالَ سَيِّدُنا أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : فَما فَرِحْنا بِشَيْءٍ بَعْدَ الإِسْلامِ فَرَحَنا بِقَوْلِهِ ﷺ : (أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ) ؛ فَأَنا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وأَبا بَكْرٍ وعُمَرَ ، وأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ .

وهَذا الحَدِيثُ مِنْ دَلائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ لِما فِيهِ مِنَ الإِعْجازِ ، ولا يَصْلُحُ حالُ البَشَرِ ، ولا يَسْتَقِيمُ لَهُمْ شَأْنٌ مِنْ شُؤُونِ الدُّنْيا ما لَمْ يَبْنُوا عَلاقاتِهِمُ الاجْتِماعِيَّةَ عَلَى أَساسِ الحُبِّ المُحَمَّدِي فِي اللَّهِ تَعالَى ؛ فَهُوَ أَساسُ انْشِراحِ الصَّدْرِ لأَداءِ جَمِيعِ الحُقُوقِ والقِيامِ بِالواجِباتِ ، وأَساسُ الفُتُوَّةِ والبَذْلِ والتَّضْحِيَةِ ، ونُصْرَةِ العَدالَةِ ومَحْوِ الظُّلْمِ .

ولَمَّا ضَعُفَ الحُبُّ فِي اللَّهِ تَعالَى احْتاجَ النَّاسُ إِلَى ما يُسَمَّى بِالضَّمانات ؛ كَضماناتِ حُقُوقِ الإِنْسان ، والضَّماناتِ الاجْتِماعِيَّةِ ، وكُلُّها لا تَفِي بِقَطْرَةٍ مِنْ بِحارِ الكَمالاتِ الَّتي يَسْتَلْزِمُها الحُبُّ فِي اللَّهِ تَعالَى ، والَّذي رُوَّادُهُ أَهْلُ الحَقِّ العارِفُونَ بِاللَّهِ ؛ الَّذِينَ اتَّصَلَ سَنَدُهُمْ بِسِلْسِلَةِ مَشايخِ الصُّوفِيَّةِ المُتَّصِلَةِ بِسِلْسِلَةِ أَهْلِ البَيْتِ وصَحابَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ ومُسْلِمٌ .

وبذَلِكَ قَدْ تَبَيَّنَ لأَهْلِ (لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّه) : أَنَّ اللّهَ جَلَّ فِي عُلاه ، قَدِ اخْتَصَّ أَهْلَ بَيْتِ حَبِيبِهِ ومُصْطَفاه ﷺ بِمَزِيدِ فَضْلٍ يَعُودُ بِالنَّفْعِ عَلَى كُلِّ مَنْ والاهُمْ ووَالاه ، فَجَعَلَ المَوْلَى ذِكْرَهُمْ مُرَدَّدًا (مُرَتَّلًا ومُجَوَّدًا) فِي قُرْآنٍ يُتْلَى ، وأَذْهَبَ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرا ، فَلا يَهْوِي إِلَيْهِمْ إِلَّا نَقِيٌّ طاهِر ، ولا يَنْأَى عَنْهُمْ إِلَّا صاحِبُ رِجْسٍ ظاهِر ، وإِذا كانَ أَوْلِياءُ اللّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُون فَلا يُعْرِضُ عَنْهُمْ إِلَّا كُلُّ مَحْرُومٍ مَحْزُون .

نَعَم .. زِيارَةُ أَهْلِ البَيْتِ ومَوَدَّتُهُمْ مِنْ مَوَدَّتِهِ ﷺ وامْتِثالٌ لأَمْرِ اللّهِ تَعالَى ، ويَحْصُدُ جَناها كُلُّ مَنْ أَدَّاها ؛ فَهِيَ سَبِيلٌ مِنْ أَعْظَمِ السُّبُلِ إِلَى اللّهِ ، يَقُولُ تَعالَى فِي سُورَةِ ﴿ الفُرْقان ﴾ فارِقًا بَيْنَ أَهْلِ العِرْفانِ وأَهْلِ النُّكْران : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾ [١] ؛ فَمَنْ أَرادَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا أَيْ طَرِيقًا مِنْ أَسْهَلِ وأَعْظَمِ السُّبُلِ إِلَى اللّه ، فَعَلَيْهِ بِمَوَدَّةِ قُرْبَى سَيِّدِنا رَسُولِ اللّه ﷺ :

---

(١) سُورَةُ الفُرْقان : الآيَة ٥٧ .

فَعِـتْرَةُ طَـهَ لِلْعِـبادِ أَمـانُـهُمْ ۞ وعِصْـمَةُ مُـرْتـادٍ ورِفْـدُ عُـفاةِ

فَيا رَبِّ زِدْنـا فِي هَـواهُمْ مَـوَدَّةً ۞ فَـوُدُّهُـمْ يُدْنِـي مِـنَ الْقُـرُباتِ

وحُبُّـهُـمْ آيُ الْعَقِـيدَةِ والتُّـقَى ۞ وفِيهِ الرِّضا مِنْ بارِئِ النَّسَماتِ

نُصَلِّي وإتْمامُ الصَّلاةِ صَلاتُنا ۞ عَلَى المُصْطَفَى والآلِ فِي الصَّلَواتِ

يَا رَبِّ لا تَسْلُبَنَّا وُدَّهُمْ أَبَدًا ، ويَرْحَمُ اللهُ عَبْدًا قالَ آمِينا

ومِنْ هُنا حُقَّ للإمام عَلِيٍّ أَنْ يَجْمَعَ الكُلَّ فِيه ، ويَنْفَرِدَ عَنِ الكُلِّ بِما فِيه : فَمَنْ نازَعَ فِي رَأْيٍ فَفِي اسْمِ عَلِيٍّ شِفاءٌ لِنَوازِعِ نَفْسِه ، ومَنْ ثارَ عَلَى ضَيْمٍ فَفِي اسْمِ عَلِيٍّ حافِزٌ لِثَوْرَتِه ومَرْضاةٌ لِغَضَبِهِ ، ومَنْ واجَهَ التَّارِيخَ العَرَبِيَّ بِالعَقْلِ أَوْ بِالذَّوْقِ أَوْ بِالخَيالِ أَوْ بِالعاطِفَةِ فَهُناكَ مُلْتَقًى بَيْنَهُ وبَيْنَ عَلِيٍّ فِي وَجْهٍ مِنْ وُجُوهِهِ ، وعَلَى حالَةٍ مِنْ حالاتِه ، وتِلْكَ هِيَ المَزِيَّةُ الَّتِي انْفَرَدَ بِها تارِيخُ الإمامِ بَيْنَ تَوارِيخِ الأَئِمَّةِ الخُلَفاءِ رضي الله عنهم ، فَأَصْبَحَتْ بَيْنَهُ وبَيْنَ قُلُوبِ النَّاسِ وَشائِجُ تُظْهِرُها الطَّبِيعَةُ الآدَمِيَّةُ إِنْ قَصَّرَ فِي إِظْهارِها التَّارِيخُ والمُؤَرِّخُون .

وحُقَّ لِشاعِرٍ كَأَبِي العَلاءِ أَنْ يَقُولَ فِي الشَّهِيدِ أَبِي الشُّهَداءِ :

وَعَلَى الأُفْقِ مِنْ دِمَاءِ الشَّهِيدَيْـ ۞ ـنِ عَلِـيٍّ وَنَجْـلِهِ شَـاهِـدَان

فَهُـمَا فِي أَوَاخِـرِ اللَّيْلِ فَجْـرَا ۞ نِ وَفِـي أُولَـيَاتِـهِ شَـفَـقَان

سَنا البَرْقِ فِي مَوَدَّةِ أَهْلِ الذَّوْقِ

ونَضَّرَ اللهُ وَجْهَ الأُسْتاذ أَحْمَد فَهْمِي جَزاءَ قَوْلِهِ :

يَـا آلَ طَـهَ أَنْتُـمُ ذُخْـرٌ لَـنا ۞ ووَسِـيلَةُ الرِّضْـوانِ يَـوْمَ وَفـاءِ

وَبِكُـمْ ذَرِيعَـتُنا لِيَـوْم مَـعادِنا ۞ ولِيـاذُنـا مِـنْ رَجْـفَةِ الدَّهْـياءِ

وَبِكُمْ أَمانُ الأَرْضِ ما قَدْ أُمِّنَتْ ۞ طُرُقُ السَّما بِنُجُومِها الزَّهْـراءِ

مـا تَـمَّ إِيـمانٌ بِغَـيْرِ وِدادِكُـمْ ۞ وَوَلاؤُكُـمْ فِـي اللهِ خَـيْرُ وَلاءِ

حاشا لِمُبْغِضِكُمْ وَجاحِدِ فَضْلِكُمْ ۞ مِـنْ أَنْ يَفُـوزَ بِمَقْـعَدِ الْعَلْـياءِ

بَلْ كانَ فِي دَرَكِ الْجَحِيمِ مَقامُهُ ۞ وَلَـهُ بِـما يَصْلَـى زَئِـيرُ عُـواءِ

يَتَجَـرَّعُ الحَسَراتِ يَرْجُـو عَـوْدَهُ ۞ لِيَصِيرَ فِي الأَحْبابِ والْخُلَصاءِ

هَيْـهاتَ قَـدْ فـاتَ الأَوانُ وإِنَّـهُ ۞ فِـي الأَخْسَـرِينَ بِذِلَّـةٍ وبَـلاءِ

يـا لائِمِـي فِي حُـبِّ آلِ مُحَـمَّدٍ ۞ إِذْ جَـدَّ بِـي وَجْدِي وعَزَّ عَزائِي

هَلَّا نَهاكَ نُهاكَ عَنْ لَوْمِي بِهِمْ ۞ هَـوِّنْ عَلَـيْكَ وخَلِّـنِي لِـوَلائِي

فَهُـمُ عِـياذِي عِـنْدَ كُلِّ بَلِـيَّةٍ ۞ وَهُـمُ لِـياذِي إِنْ دَهَـتْ أَعْـدائِـي

وَهُـمُ بِقَلْبِي قَدْ تَمَكَّـنَ حُبُّـهُمْ ۞ وَبِهِمْ يَقِينِي فِي الْهَوَى وتُقائِي

هُـمْ رَوْضَـةُ الدُّنْيا وجَنَّةُ أَهْلِها ۞ وَأَمـانُـهُمْ مِـنْ شِـرَّةِ الْبَـأْسَـاءِ

ما إِنْ يُضامُ مَنِ الْتَجا لِرِحابِهِمْ ۞ وَلَـهُ بِـهِمْ أَمْـنٌ مِـنَ النَّكْـراءِ

فَـهُمُ كَواكِـبُنا ومَشْـرِقُ هَـدْيِنا ۞ وَدُعـاتُنـا لِمَـسالِـكِ الحَنْـفاءِ

وَبِـهِمْ حِـراسَتُنا وصَوْنُ بِلادِنا ۞ مِـنْ سـائِـرِ الأَرْزاءِ وَالأَسْـواءِ

وَلَهُـمْ إذا حُشِـرَ العِبادُ شَفاعَةٌ ۞ بِشَفاعَةٍ مِنْ صاحِبِ الإِسْـراءِ

فَـاللّهُ يَنْفَـعُـنا بِـهِـمْ وبِحُـبِّهِمْ ۞ فَنَفُـوزَ بِـالرَّوْضـاتِ فِـي عَلْـياءِ

۞۞۞۞۞

ونَضَّرَ اللّهُ وَجْهَ الدكتور صالِح عَبْدِ العَظِيم الشَّاعِر ؛ جَزاءَ قَوْلِهِ :

يا آلَ بَيْتِ النَّبِي فِي ساحَةٍ صَلُحَتْ

بِالعِلْمِ وَالذِّكْرِ .. أَنْتُمْ سادَةٌ أُصُلُ

أَنْتُمْ فُرُوضِي وَنَفْلِي .. لا أُفارِقُكُمْ

أَنْتُمْ حَدِيثِي وَشُغْلِي .. وَالْوَرَى نَفَلُ

ما خابَ مَنْ جاءَكُمْ يَرْجُو لِحاجَتِهِ

يَغْدُو سَعِيدًا .. لَهُ مِنْ وِرْدِكُمْ نَهَلُ

مَـلائِكُ اللّهِ فِي سـاحـاتِكُـمْ زُمَـرٌ

فِي الذِّكْرِ سَبَّاحَةٌ .. فِيها لَهُمْ عَمَلُ

النُّـورُ طَـهَ بَـراهُ اللّهُ مُعْـجِـزَةً

مِنْ عَهْدِ آدَمَ فِي الأَصْلابِ يَنْتَقِلُ

وَأَنْتُمْ مِنْهُ أَنْوارٌ مُنَوَّرَةٌ

بِكُمْ يَلُوذُ الْمُحِبُّ الْخائِفُ الْوَجِلُ

أَحْبابُكُمْ مِنْكُمُ .. أَنْوارُهُمْ سَطَعَتْ

بِكُلِّ خُلْقٍ عَظِيمٍ مِنْكُمُ اشْتَمَلُوا

وَاللهُ أَكْرَمَكُمْ أَنْ لا يُنافِسَكُمْ

عَلَى مَناقِبِكُمْ شَيْخٌ ولا بَطَلُ

❀❀❀❀❀

ونَضَّرَ اللهُ وَجْهَ الشَّيْخ عَلِي عَقْل جَزاءَ قَوْلِهِ :

بِنَفْسِيَ أَفْدِي الزُّهْرَ مِنْ بَضْعَةِ الزَّهْرا

بِهِمْ نِلْتُ كُلَّ الْخَيْرِ دُنْيايَ والأُخْرَىٰ

لَقَدْ غَرَسُونِي مِنْ زُهُورِ رِياضِهِمْ

فَطابَتْ حَياتِي مِنْ مَكارِمِهِمْ زَهْرَا

إِذا قِيلَ لِي تَهْواهُمُ قُلْتُ مِلْكُهُمْ

وَوَقْفُ يَمِينٍ لا يُباعُ ولا يُشْرَىٰ

وَلَوْ أَنَّ جُودَ الْعالَمِينَ أَقِيسُهُ

عَلَى جُودِهِمْ يَوْمًا لَما مَثَّلَ الْعُشْرَا

تَسامَوْا عَلَى كُلِّ الأَنامِ فَضائِلًا

وقَدْ بَيَّنَ الْقُرْآنُ أَوْصافَهُمْ طُهْرَا

جَـداوِلُ مِـنْ بَحْـرِ النَّبِـيِّ مُحَـمَّدٍ

فَما مِثْلُـها تَلْقَـى جَـداوِلَ أَوْ بَحْـرَا

لَقَدْ شَهِدَتْ رُوحِـي حِماهُمْ ومُتِّعَتْ

بِـأَنْوارِهِـمْ أَنْعِـمْ بِـها مِـنَّةً كُـبْرَىٰ

إِذا عَشِـيَتْ عَيْنِـي فَطَـيٌّ جَوانِحِـي

عُـيُونٌ تُرِينِي سِـرَّ أَنْـوارِهِـمْ جَهْـرَا

وكَـمْ عَـاذِلٍ لِـي قـالَ كَـيْفَ تُحِبُّـهُمْ

وكَيْفَ لَهُـمْ تَسْعَى وقَدْ غُيِّبُوا قَبْرَا

فَـإِنْ كانَ ذَنْـبِي أَنَّ قَلْـبِي يُحِبُّـهُمْ

فَإِنَّ ذُنُـوبِيَ لَـنْ تُلِـمَّ بِـها حَصْـرَا

وعِـنْدِي يَقِـينٌ أَنَّ لِـي بِاتِّبـاعِـهِمْ

حَياةَ مُحِبٍّ بِاسْمِهِمْ كَسَبَ الأَجْـرَا

وما أَحْسَنَ الدُّنْيا عَلَى صِدْقِ وُدِّهِمْ

وما أَحْسَنَ الأُخْرَى لِتابِعِهِمْ ذُخْـرَا

وهَــا أَنــا مُشْـتاقٌ إِلَيْـهِمْ وسَـائِرٌ

عَلَى دَرْبِهِمْ أَنْفَقْتُ سَعْيِيَ والْعُمْـرَا

إِذا اتَّصَلَتْ رُوحِي بِهِمْ فِي مَسِيرِها

تَفُـوزُ بِإِكْـرامٍ وتَسْـعَدُ بِالْبُشْـرَىٰ

أُحِـبُّ وأَسْتَجْدِي وأَهْـوَىٰ وأَهْـتَدِي

وَلِي لَذَّةٌ فِي مَدْحِهِمْ تُثْلِجُ الصَّدْرَا

إِذا نَظَرُونِي زَالَ مِنْ قَلْبِيَ الأَسَىٰ

وَإِنْ مَنَحُونِي عِشْتُ أَغْتَرِفُ الْخَيْرَا

عَلَى بابِهِمْ أَسْمُو سُمُوَّ أُولِي النُّهَىٰ

وإِنْ هُمْ رَضُوا نَفْسِي فَقَدْ عَظُمَتْ قَدْرَا

❀❀❀❀❀

ونَضَّرَ اللَّهُ وَجْهَ العارِفِ الأَزْهَرِي الشَّيْخ صالِح الجَعْفَرِي جَزاءَ قَوْلِهِ :

وَمَـنْ زارَ الْكِـرامَ وَلَـمْ يُشاهِـدْ

مَـآثِـرَهُـمْ فَـإِنَّـا قَـدْ لَقِـينَا

فَـزُرْنـاهُـمْ وَلِلْمَـوْلَـى شَـهِدْنـا

بِتَـوْحِـيدٍ فَكانُـوا شَـاهِـدِينَا

وَيَسْـقُـونَ الأَحِـبَّةَ يَـوْمَ حَـشْـرٍ

مِـنَ الْحَـوْضِ الْمُـبَرَّدِ أَنْ ظَمِـينا

يَقُولُ البَعْضُ مِـنْ حَسَنٍ شَرِبْنَا
وَقَـوْمٌ مِــنْ حُسَيْنٍ قَـدْ رَوِينَـا
كَـذَلِكَ فاطِـمُ الزَّهْـراءُ تَسْـقِي
وَزَيْـنَـبُ لِلأَحِـبَّـةِ أَجْمَـعِينَا
وَفاطِـمَةٌ تُنَـادِي يَـوْمَ حَشْـرٍ
عَلَـى الـزُّوَّارِ جَـاءُوا مُسْـرِعِينَا
مُحَـمَّـدُ يـا رَسُـولَ اللهِ إِنِّـي
أَوَدُّ مِــنَ الأَنَــامِ الزَّائِـرِينَـا
فَـكافِئْـهُمْ فَهَـذا الْيَــوْمُ فِـيهِ
جَــزاءُ أَحِــبَّةٍ لِـلأَقْـرَبِينَـا
لِأَهْـلِ الْبَيْـتِ عِـنْدَ اللهِ قَـدْرٌ
كَمِــثْلِ صَـلاتِـهِ فِي الْمُكْـرَمِينَا
وَقَـدْ قَــالَ النَّبِـيُّ عَلَـى مُحَـمَّدْ
وآلِ مُحَــمَّــدٍ فِــي الْعالَمِــينَا
وَمَــا كُــنَّا بِزَوْرَتِكُــمْ لِنَشْقَـىٰ
ولَكِــنَّا بِهــا فِـي الْمُسْـعَدِينَا

وَنَضَّرَ اللّٰهُ وَجْهَ الأُسْتاذ أَحْمَد خَيْرِي جَزاءَ قَوْلِهِ :

كِـنانَةُ رَبِّـي مِصْـرُ فَاخْـتارَ مُنْعِـمًا
لَها مِنْ بَنِي الْمُخْتارِ وَالْخَيْرُ يُنْجِبُ(١)

فَشُكْـرًا لَـكَ اللَّهُمَّ أَنْ حَلَّ مِصْـرَنا
أَمـانٌ وَنُـورٌ حَيْثُ نَسْـرِي ونَسْـرِبُ(٢)

❁❁❁❁❁

وَنَضَّرَ اللّٰهُ وَجْهَ الإِمام مُحَمَّد مَهْدِي بَهاء الدِّين الصَّيَّادِي الرِّفاعِي الطَّاهِرِ الأَنْفاس الشَّهِير بِالرَّوَّاس ، جَزاءَ قَوْلِهِ :

بِسَادَاتِ سَاحَاتِ الطَّرِيقِ كِبَارِهِ ❁ صُدُورِ الْحِمَى فِي كُلِّ حَلٍّ وَفِي عَقْدِ
بِسَـيِّدِ رُكْـبَانِ الْحَقِـيقَةِ أَحْـمَدٍ ❁ إِمَامِ الْهُدَى مَنْ قَالَ فِي حَالَةِ الْبُعْدِ
رَئِيـسِ كِـبَارِ الأَوْلِـيَاءِ وَتَاجِـهِمْ ❁ وَأَوْحَدِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ وَالرُّشْدِ
بِإِخْوَانِهِ أَهْلِ الْقُلُوبِ جَمِيعِهِمْ ❁ رِجَالِ التُّقَى الْمُوفِينَ لِلْحَقِّ بِالْوَعْدِ
تَكَرَّمْ وَحُفَّ الْمُسْلِمِينَ بِرَحْمَةٍ ❁ إِلَهِيَّةٍ وَاشْمَلْ بِهَا عَبْدَكَ الْمَهْدِي
وَصَلِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ❁ صَلاةً بِحُكْمِ الْفَضْلِ تَعْلُو عَنِ الْعَدِّ

❁❁❁❁❁

(١) بَنِي المُخْتار : هُمْ آلُ البَيْت النَّبَوِي ، ويُنْجِبُ : يَأْتِي بِنَجِيبٍ أَيْ كَرِيم .
(٢) نَسْرِي : نَسِيرُ لَيْلًا ، نَسْرِبُ : كِنايَة عَنْ سَيْر النَّهار .

نَسَبُ ومَناقِبُ عَلِيِّ بن أَبِي طالِب رضي الله عنه وكَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ :

رابِعُ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ ، وأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ الإمامُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب (واسْمُهُ عَبْدُ مَناف) ، ابنِ عَبْدِ المُطَّلِب (واسْمُهُ شَيْبَةُ الحَمْد) ، ابنِ هاشِمِ بنِ قُصَيِّ بنِ كِلابِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غالِبِ بنِ فِهْرِ ابنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنانَةَ بنِ خُزَيْمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِلْياسَ بنِ مُضَرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنان .

وهُوَ رضي الله عنه ابنُ عَمِّ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ، ويُكَنَّى أَبا الحَسَن ، وأَبا تُراب .

وأَمَّا مَوْلِدُهُ رضي الله عنه فَوُلِدَ بِمَكَّةَ المُشَرَّفَةِ داخِلَ الكَعْبَة (بَيْتِ اللّهِ الحَرام) سَنَةَ ثَلاثِينَ مِنْ عامِ الفِيلِ فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ لِثَلاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ اللّهِ الأَصَمِّ رَجَبِ الفَرْدِ الحَرام ، ولَمْ يُولَدْ فِي البَيْتِ الحَرام قَبْلَهُ أَحَدٌ سِواه ؛ وهِيَ فَضِيلَةٌ خَصَّهُ اللّهُ تَعالَى بِها إِجْلالاً لَهُ وتَعْظِيمًا لِقَدْرِهِ وإِعْلاءً لِمَرْتَبَتِهِ بَيْنَ القَوْم ، ولِلّهِ دَرُّ القائِلِ فِي ذَلِكَ :

وَلَدَتْهُ فِي حَرَمِ الإِلَهِ وَأَمْنِهِ ۞ وَالْبَيْتُ حَيْثُ فِنَاؤُهُ وَالْمَسْجِدُ
بَيْضَاءُ طَاهِرَةُ الثِّيَابِ كَرِيمَةٌ ۞ طَابَتْ وَطَابَ وَلِيدُهَا وَالْمَوْلِدُ
فِي لَيْلَةٍ غَابَتْ نُحُوسُ نُجُومِهَا ۞ وَأَضَاءَهَا الْقَمَرُ الْمُنِيرُ الأَسْعَدُ

لا خَيْرَ مِنْهُ مَوْلِدًا وَنَحِيزَةً[1] ۞ إلَّا ابْنُ آمِنَةَ النَّبِيُّ مُحَمَّدُ

واسْمُهُ الشَّرِيفُ عَلِيٌّ مُشْتَقٌّ مِنَ العُلُوِّ مُفِيدٌ للمَدْحِ ، لِذَلِكَ قالَ المُتَنَبِّي فِي مَن اسْمُهُ ذَلِكَ : مُبارَكُ الاسْمِ أَغَرُّ اللَّقَبْ .

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ قالَ :

وَقَالُوا عَلِيٌّ عَلا بِالْعُلَا ۞ فَقُلْتُ الْعُلَا بِعَلِيٍّ عَلا

وكَذَلِكَ مَنْ قالَ :

يَا عَلِيَّ الْعُلَا عَلَوْتَ عَلَى الْخَلْـ ۞ ـقِ فَسَمَّاكَ ذُو الْجَلالِ عَلِيًّا

وَلَقَدْ أَنْصَفَ مَنْ قالَ :

وَنِفاقٌ بُغْضُهُ صَحَّ كَمَا ۞ حُبُّهُ عُنْوانُ مَنْ كَانَ تَقِيًّا

وقَدْ جاءَ فِي الصَّحِيحِ مِنْ شِعْرِهِ[2] :

أَنَا الَّذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَه ..

وحَيْدَرَةُ مِنْ أَسْماءِ الأَسَد ، وكانَتْ أُمُّهُ فاطِمَةُ بِنْتُ أَسَد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا وَلَدَتْهُ سَمَّتْهُ باسْمِ أَبِيها ، فَلَمَّا قَدِمَ أَبُو طالِب لَمْ يَسْتَسِغْ ذَلِكَ وسَمَّاهُ عَلِيًّا .

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُلَقَّبُ بَيْضَةَ البَلَدِ ، وبالأَمِينِ ، وبالشَّرِيفِ ، والهادِي ، والمُهْتَدِي ، وذِي الأُذُنِ الواعِيَة ، وسَيِّدِ العَرَب ، ويَعْسُوبِ المُؤْمِنِين .

وفِي الكَشَّافِ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ أَنَّ النَّبِيَّ

---

(١) النَّحِيزَة : السَّجِيَّة والطَّبِيعَة .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وغَيْرُهُ .

ﷺ قالَ لِعَلِيٍّ عِنْدَ نُزُولِها : (سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَها أُذُنَكَ يا عَلِيُّ) .

قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : فَما نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدُ ، وما كانَ لِي أَنْ أَنْسَى .

ومِثْلُهُ فِي غَيْرِهِ مِنْ كُتُبِ التَّفْسِير .

ومَعْنَى بَيْضَة البَلَد : واحِدُهُ الَّذي يُجْتَمَعُ إِلَيْهِ ويُقْبَلُ قَوْلُهُ .

وقَدْ خَصَّهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِسِيادَةِ العَرَب ؛ قالَ المُحِبُّ الطَّبَري رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى عَنِ الحَسَنِ بن عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (ادْعُوا لِي سَيِّدَ العَرَب) ، يَعْنِي عَلِيًّا - قالَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ : أَلَسْتَ سَيِّدَ العَرَب ، قالَ ﷺ : (أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ، وعَلِيٌّ سَيِّدُ العَرَب) .

عَنْ زَيْنِ العابِدِينَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ : كُنَّا عِنْدَ الحَسَنِ رضي الله عنه فِي بَعْضِ الأَيَّام وإِذا بِنِسْوَةٍ مُجْتَمِعِينَ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَةٌ مِنْهُنَّ عَلَيْنا ، فَقُلْتُ لَها : مَنْ أَنْتِ يَرْحَمُكِ اللهِ ؟

قالَتْ : أَنا زَبِيدَةُ بِنْتُ العَجْلانِ مِنْ بَنِي ساعِدَة .

فَقُلْتُ لَها : هَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ تُحَدِّثِينَنا بِهِ ؟

قالَتْ : إِي واللهِ ، حَدَّثَتْنِي أُمُّ عُمارَةَ بِنْتُ عُبادَةَ بن فُضالَةَ بنِ مالِكِ ابنِ عَجلانَ السَّاعِدِي : أَنَّها كانَتْ ذاتَ يَوْمٍ فِي نِساءٍ مِنَ العَرَبِ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو طالِبٍ كَئِيبًا حَزِينًا فَقُلْتُ لَهُ : ما شَأْنُكَ ؟ قالَ : إِنَّ فاطِمَةَ

بِنْتَ أَسَدٍ فِي شِدَّةِ الطَّلْقِ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَخَذَ بِيَدِهَا وجاءَ بِهَا إِلَى الكَعْبَةِ فَدَخَلَ بِهَا ، وقالَ : اجْلِسِي عَلَى اسْمِ اللَّهِ تَعالَى ، فَطَلَقَتْ طَلْقَةً واحِدَةً فَوَلَدَتْ غُلامًا مُنَظَّفًا لَمْ أَرَ أَحْسَنَ وَجْهًا مِنْهُ قَطُّ ، فَسَمَّاهُ أَبُو طالِبٍ عَلِيًّا ، وقالَ شِعْرًا :

سَمَّيْتُهُ بِعَلِيٍّ كَيْ يَدُومَ لَهُ ❁ عِزُّ الْعُلُوِّ وَفَخْرُ الْعِزِّ أَدْوَمُهُ

وكانَ مَوْلِدُ الإِمامِ عَلِيٍّ ﵁ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِالسَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ بِثَلاثِ سِنِين .

أَبُو الحَسَنَيْنِ كَرِيمُ العُنْصُرَيْنِ :

فَأُمُّهُ : فاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بنِ هاشِمِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ ، وهِيَ ابْنَةُ عَمَّةِ أَبِيهِ ؛ أَسْلَمَتْ وهاجَرَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالمَدِينَةِ وتُوفِّيَتْ فِيها ودَفَنَها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالبَقِيع .

وهِيَ ﵂ أَوَّلُ هاشِمِيَّةٍ وَلَدَتْ هاشِمِيًّا .

وذَكَرَ الطَّائِي فِي الأَرْبَعِين : أَنَّهُ ﷺ نَزَعَ قَمِيصَهُ وأَلْبَسَها إِيَّاهُ وتَوَلَّى دَفْنَها ، واضْطَجَعَ فِي قَبْرِها فَلَمَّا سَوَّى عَلَيْها التُّرابَ سُئِلَ عَنْ ذَلِك فَقالَ ﷺ : (أَلْبَسْتُها لِتَلْبَسَ مِنْ ثِيابِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، واضْطَجَعْتُ فِي قَبْرِها لأُخَفِّفَ عَنْها مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ ، إِنَّها كانَتْ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ

صَنِيعًا إِلَيَّ بَعْدَ أَبِي طالِب) ، وبَكَى ﷺ وقالَ : (جَزاكِ اللّهُ مِنْ أُمٍّ خَيْرًا فَلَقَدْ كُنْتِ خَيْرَ أُمٍّ) .

وأَبُوهُ : أَبو طالِبٍ وهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ ، فَهُوَ عَمُّهُ وكافِلُهُ ومُرَبِّيه .

إِنَّهُ يَعْرِفُهُ إِنْسانًا كامِلًا ، صادِقًا ، لَمْ يَعْهَدْ عَلَيْهِ كَذِبًا قَطُّ ، أَمِينًا ، لَمْ تَشُبْ أَمانَتَهُ شائِبَةٌ ، طاهِرًا لَمْ تَعْلَقْ بِهِ شُبْهَةٌ ، ولَطالَما رَآهُ يَضْطَرِمُ هَمًّا وأَسًى عَلَى أَهْلِهِ وقَوْمِهِ الَّذِينَ أَلْغَوْا عُقُولَهُمْ ووُجُودَهُمْ أَمامَ حِجارَةٍ مَرْكُومَةٍ زَعَمُوها آلِهَةً وأَرْبابًا !

لَقَدْ كانَ أَبُو طالِبٍ عَظِيمًا بِشَخْصِيَّتِهِ ، وبِمَواهِبِهِ ، وبِسَجاياهُ ، ولَقَدْ وَقَفَ إِلَى جانِبِ الرَّسُولِ ﷺ والإِسْلامِ النَّاشِئِ المَوْقِفَ الَّذِي تُمْلِيهِ عَلَيْهِ رُجُولَتُهُ وعَظَمَةُ نَفْسِه .

لَقَدْ صَمَدَ لِقُرَيْشٍ وأَحْبَطَ كُلَّ مَكائِدِها ، حَتَّى لَمْ تَجِدْ آخِرَ الأَمْرِ بُدًّا مِنْ أَنْ تَلْجَأَ إِلَى عَمَلٍ تَأْباهُ تَقالِيدُ العَرَبِ وأَخْلاقُهُمْ ، بَلْ أَسْوِياءُ بَنِي الإِنْسانِ وأَعْرافُهُمْ ؛ وذَلِكَ حِينَ يَئِسَتْ مِنْ ثَنْيِ الرَّسُولِ ﷺ عَنْ دَعْوَتِهِ ، ومِنْ ثَنْيِ أَبِي طالِبٍ عَنْ مُناصَرَتِهِ ، فَقَرَّرَ زُعَماؤُها مُقاطَعَةَ بَنِي هاشِمٍ وبَنِي المُطَّلِب .

وفِعْلًا انْحازَ بَنُو هاشِم وبَنُو المُطَّلِب إلَى أَبِي طالِب ، وأَقامُوا مَعَهُ فِي شِعْبِهِ ولَبِثُوا داخِلَ هَذا الحِصارِ الرَّهِيبِ قُرابَةَ أَعْوامٍ ثَلاثَة ، حَتَّى أَكَلُوا وَرَقَ الشَّجَرِ اليابِسِ لِيَدْرَؤُوا بِهِ غَوائِلَ الجُوع .

وأَبو طالِب كالطَّوْدِ شُمُوخًا ورُسُوخًا ، يَرْفُضُ كُلَّ مُساوَمَةٍ تُحاوِلُها قُرَيْش ويُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ مَوْهِبَتَهُ الشِّعْرِيَّةَ فَيَلْفَحُهُمْ بِالقَصِيدِ تِلْوَ القَصِيد :

أَفِيقُوا أَفِيقُوا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَىٰ ۞ وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِي ذَنْبِ

وَلا تَتْبَعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا ۞ أَواصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ

فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَدًا ۞ لِضَرَّاءَ مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلا كَرْبِ

وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفٌ ۞ وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالقُسَاسِيَّةِ الشُّهْبِ

إِنَّ أَبا طالِب إِذا آمَنَ بِشَيْءٍ كانَ إِيمانُهُ قَوِيًّا صَلْبًا ؛ عَيْنَ الصَّلابَةِ والقُوَّةِ اللَّتَيْنِ وَرِثَهُما عَنْهُ وَلَدُهُ عَلِيٌّ بَلْ بَنُوهُ أَجْمَعُون .

ولَقَدْ آمَنَ أَبو طالِب بِحَقِّ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ ، ويُبَلِّغَ دَعْوَتَهُ ، فَإِنْ كانَتْ حَقًّا فَمِنْ حَقِّ الحَقِّ أَنْ يَنْتَصِرَ ويَسُودَ ، وإِنْ كانَتْ باطِلًا فَإِنَّ الباطِلَ سَيَذْهَبُ جُفاءً .

مِنْ أَجْلِ هَذا قاوَمَ قُرَيْشًا عِنْدَما رَآها تَفْرِضُ الصَّمْتَ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ ، أَجَلْ ، إِنَّهُ لا يَقِفُ مَعَ مُحَمَّدٍ ابنِ أَخِيه ، وإِنَّما يَقِفُ مَعَ مُحَمَّدٍ

الدَّاعِي إِلَى الحَقِّ وإِلَى الخَيْر ، مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ الأَمِين .

ولَوْ شَكَّ أَبو طالِب فِي صِدْقِ ابنِ أَخِيهِ ما ناصَرَهُ ولا ظاهَرَهُ ، فَهُوَ إِنَّما يُناصِرُ فِيهِ الحَقَّ ، لا القَرابَةَ !!

ولا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَوْقِفِهِ يَوْمَ أَنْبَأَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِأَنَّ اللّهَ قَدْ سَلَّطَ الأَرَضَةَ عَلَى الصَّحِيفَةِ الَّتِي كانَتْ قُرَيْشٌ قَدْ سَطَّرَتْ فِيها عَهْدَها بِمُقاطَعَةِ بَنِي هاشِم وبَنِي عَبْدِ المُطَّلِب ، وعَلَّقَتْها فِي جَوْفِ الكَعْبَة .

أَنْبَأَهُ الحَبِيبُ الأَعْظَم ﷺ أَنَّ اللّهَ قَدْ سَلَّطَ عَلَيْها الأَرَضَةَ فَأَكَلَتْها ، ولَمْ تُبْقِ مِنْها إِلَّا اسْمَ اللّه .

هُنالِكَ ذَهَبَ أَبو طالِب إِلَى قُرَيْشٍ فِي نادِيهِمْ ، وقالَ لَهُمْ : (يا مَعْشَرَ قُرَيْش، إِنَّ ابنَ أَخِي أَخْبَرَنِي بِكَذا وكَذا، فَهَلُمَّ إِلَى صَحِيفَتِكُمْ ، فَإِنْ تَكُ كَما قالَ مُحَمَّدٌ ، فانْتَهُوا عَنْ قَطِيعَتِنا ، وانْزِلُوا عَمَّا فِيها ، وإِنْ يَكُ كاذِبًا دَفَعْتُهُ إِلَيْكُمْ) ، ورَضِيَ زُعَماءُ قُرَيْشٍ بِهَذا .

وقامُوا عَلَى الكَعْبَة ، وجاءُوا بِالصَّحِيفَةِ مِنْ مَكانِها ، فَإِذا الأَمْرُ كَما قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ، فَخَرَجَ النَّاسُ مِنْ عَهْدِ المُقاطَعَةِ ، وباءَتِ المُؤامَرَةُ بِالهَزِيمَةِ والفَشَل .

إِنَّ أَبا طالِب هُنا يَحْتَكِمُ إِلَى حَقِّ الصِّدْقِ فِي أَنْ يُحْمَى ، لا إِلَى حَقِّ

القَرابَةِ فِي أَنْ تُشايَع !!

فَهُوَ يَقُولُ لِقُرَيْش : إذا تَبَيَّنَ صِدْقُ مُحَمَّدٍ فِي هَذِهِ الواقِعَةِ الَّتي يُمْكِنُ التَّثَبُّتُ مِنْها فِي يُسْرٍ ، فَلَهُ عَلَيْكُمُ الحُجَّة ، وإِذا تَبَيَّنَ كَذِبُهُ فَأَنا لا أَحْمِي الكاذِبين .

وحاشا رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَلَّا يَكُونَ صادِقًا !

ومِنْ قَبْلِ هَذا ، عِنْدَما وَفَدَ وَفْدُ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِي طالِبٍ قائِلِينَ لَهُ : إِنَّ لَكَ فِينا سِنًّا وشَرَفًا ومَنْزِلَةً ، وإِنَّا قَدِ اسْتَنْهَيْناكَ مِنِ ابنِ أَخِيكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا ، وإِنَّا لا نَصْبِرُ عَلَى هَذا ؛ مِنْ شَتْمِ آبائِنا ، وعَيْبِ آلِهَتِنا ، وتَسْفِيهِ أَحْلامِنا ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا ، أَوْ نُنازِلَهُ وإِيَّاكَ حَتَّى يَهْلِكَ مِنَّا أَحَدُ الفَرِيقَيْن ، حِينَ قالُوا لَهُ ذَلِكَ ، وحِينَ جاءَهُ رَدُّ الرَّسُولِ ﷺ : (واللّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، والقَمَرَ فِي يَسارِي ، عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذا الأَمْرَ ما فَعَلْتُ ، حَتَّى يُظْهِرَهُ اللّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ) .

ازْدادَ الطَّوْدُ شُمُوخًا ، والعَزْمُ مَضاءً ، وراحَ البَطَلُ أَبُو طالِبٍ يَلْفَحُ قُرَيْشًا بِصَلابَتِهِ وإِصْرارِهِ ، ويَقُولُ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ ۞ مِنْ خَيْرِ أَدْيانِ الْبَرِيَّةِ دِينَا

وَاللّهِ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ ۞ حَتَّى أُوَسَّدَ فِي التُّرَابِ دَفِينَا

إِخْوَةُ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

مِنَ الذُّكُور :

١) طالِب : لَمْ يُؤْمِنْ بِالرِّسالَة ، وماتَ بَعْدَ مُشارَكَتِهِ فِي غَزْوَةِ بَدْر ، عِلْمًا أَنَّهُ شارَكَ فِيها مُكْرَهًا .

٢) عَقِيل : أُسِرَ بِيَدِ المُسْلِمِينَ بَعْدَ مُشارَكَتِهِ فِي غَزْوَةِ بَدْر ، فَفَداهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِب ، ثُمَّ أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ الهِجْرَة ، وقِيلَ يَوْمَ الحُدَيْبِيَةِ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلهِجْرَة ، وشارَكَ بَعْدَ ذَلِكَ مَعَ صَحابَةِ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ مُؤْتَةَ وحُنَيْن .

٣) جَعْفَر : كانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الصَّحابَةِ الأَجِلَّاءِ السَّابِقِينَ فِي الإِسْلام حَيْثُ هاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ مَرَّتَيْن ، وتَزامَنَتْ عَوْدَتُهُ فِي المَرَّةِ الثَّانِيَةِ هُوَ وزَوْجَتُهُ السَّيِّدَةُ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما مَعَ انْتِصارِ المُسْلِمِينَ وفَتْحِهِمْ خَيْبَر ، واسْتَقْبَلَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرِحًا مَسْرُورًا قائِلًا : (بِأَيِّهِما أُسَرُّ ، بِفَتْحِ خَيْبَر ، أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَر) ، وبَشَّرَهُ الحَبِيبُ الأَعْظَم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ أَشْبَهَ خَلْقَهُ وخُلُقَهُ .

وقَدْ أَمَّرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَيْشِ غَزْوَةِ مُؤْتَة[1] ، فَأَبْلَى فِيها بَلاءً حَسَنًا ،

---

(١) مُؤْتَة : بَلْدَةٌ بِالأُرْدُن إِلَى الجَنُوبِ مِنَ الكَرْك .

وقُطِعَتْ يَداهُ ، واسْتُشْهِدَ رضي الله عنه عَنْ عُمْرٍ يُناهِزُ الثَّالِثَةَ والثَّلاثِين ، وأَبْدَلَهُ اللهُ عِوَضًا عَنْ يَدَيْهِ جَناحَيْنِ يَطِيرُ بِهِما فِي الجَنَّةِ حَيْثُ يَشاء .

ومِنَ البَنات :

١) أُمُّ هانِئ (واسْمُها فاخِتَة) : كانَ إسْلامُها رضي الله عنها يَوْمَ فَتْحِ مَكَّة ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْتَها ، وصَلَّى صَلاةَ الضُّحَى أَرْبَعَ رَكَعات .

٢) جُمانَة : أَسْلَمَتْ وتَزَوَّجَتْ مِنْ أَبِي سُفْيانَ بنِ الحارِثِ بن عَبْدِ المُطَّلِب .

وكانَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رضي الله عنه أَصْغَرَ وَلَدِ أَبِي طالِبٍ سِنًّا .

❁❁❁❁❁

عَلَى عَتَبَاتِ وَضَّاحِ الْمُحَيَّا ❁ عَمِيدِ الأُسْرَةِ الْعُلْيَا عَلِيَّا

وَقَفْتُ بِبَابِهِ الْعَالِي أُحَيِّي ❁ فَلَمْ يَبْخَلْ وَرَحَّبَ بِي وَحَيَّا

كَرِيمٌ وَارِثُ الْقَدَمِ الْمُعَلَّى ❁ تَرَاهُ نَدًى ثَرِيًّا هَاشِمِيَّا

أَبُو الْحَسَنَيْنِ فَارِسُ كُلِّ عَصْرٍ ❁ وَوَارِثُ أَحْمَدٍ إِلَّا نَبِيَّا

فَمِيثَاقُ النُّبُوَّةِ مِنْ عَلِيٍّ ❁ كَمَا كَانَتْ لِهَارُونَ النَّبِيَّا

وَلَوْلا أَنَّهَا خُتِمَتْ بِطَهَ ❁ لَكَانَ الشَّأْنُ شَأْنًا مُوسَوِيَّا

سَعِيدٌ رَامَ وَصْلَكُمُ بِحُبٍّ ❁ بِفَضْلِ اللهِ يَبْقَى سَرْمَدِيَّا

وَمَحْرُوسُ الْمَدِينَةِ قَرَّ عَيْنًا ❁ عَلَى أَبْوابِكُمْ يَرْقَى رُقِيَّا

يَدُومُ عَلَيْهِ فَضْلُكُمُ تِبَاعًا ❁ وَيَنْشُرُ طِيبَكُمْ عَرْفًا زَكِيَّا

جُمْلَةٌ مِنْ مَناقِبِ أَسَدِ اللهِ الغالِب

الإمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحَدُ العَشَرَةِ المُبَشَّرِينَ والمَشْهُودِ لَهُمْ بِالجَنَّة ، وأَخُو رَسُولِ اللهِ ﷺ بالمُؤاخاةِ ، وصِهْرُهُ عَلَى فاطِمَةَ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وأَحَدُ السَّابِقِينَ الأَوائِلِ إِلَى الإِسْلام ، وأَحَدُ العُلَماءِ الرَّبَّانِيِّين ، والشُّجْعانِ المَشْهُورِين ، والزُّهَّادِ المَذْكُورِين ، والخُطَباءِ المَعْرُوفِين ، ورابِعُ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِين ، وهُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ مِنْ بَنِي هاشِم ، وأَبُو السِّبْطَيْن (الحَسَن والحُسَيْن) ، ولَمَّا هاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ أَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ بَعْدَهُ بِمَكَّةَ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْهُ أَمانَتَهُ والوَدائِعَ والوَصايا الَّتي كانَتْ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَلْحَقَهُ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وشَهِدَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سائِرَ المَشاهِدِ إِلَّا تَبُوكَ فَإِنَّهُ ﷺ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى المَدِينَة ، وقالَ لَهُ حِينَئِذٍ : (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى) ، وسَيَأْتِي بَيانُ المُرادِ مِنْ ذَلِكَ لاحِقًا .

ولَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي جَمِيعِ المَشاهِدِ الآثارُ المَشْهُورَة ، وأَصابَتْهُ يَوْمَ أُحُدٍ سِتَّ عَشْرَةَ ضَرْبَةً ، وأَعْطاهُ ﷺ اللِّواءَ فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ سِيَّما فِي يَوْمِ خَيْبَر ، وأَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ الفَتْحَ يَكُونُ عَلَى يَدَيْهِ وبِحُبِّ اللهِ ورَسُولِهِ لَهُ ، وحَمَلَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ بابَ حِصْنِها وإِنَّ ذَلِكَ

البابَ لا يَحْمِلُهُ إلَّا أَرْبَعُونَ رَجُلًا ، وناب ﷺ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فِي قِراءَةِ أَوائِلِ سُورَةِ التَّوْبَةِ فِي مَوْسِمِ الحَجِّ إيذانًا بِبَراءَةِ اللّٰهِ ورَسُولِهِ مِنَ المُشْرِكِين ، ورُوِيَ لَهُ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ خَمْسُمِئَةٍ وسِتَّةٌ وثَمانُونَ حَدِيثًا .

رَوَى عَنْهُ بَنُوهُ الثَّلاثَةُ (الحَسَنُ والحُسَيْنُ ومُحَمَّدُ بنُ الحَنَفِيَّة) ، وعَبْدُ اللّٰهِ بنُ عُمَر ، وعَبْدُ اللّٰهِ بنُ عَبَّاس ، وعَبْدُ اللّٰهِ بنُ الزُّبَيْر ، وأَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي ، وأَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ ، وزَيْدُ بنُ أَرْقَم ، وجابِرُ بنُ عَبْدِ اللّٰه ، وأَبُو أُمامَة ، وأَبُو هُرَيْرَة ، وخَلائِقُ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابِعين - رِضوانُ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِين .

وعَلَى الجُمْلَةِ كَفَى الإمامَ عَلِيًّا شَرَفًا وفَخْرًا أَنَّهُ يُذْكَرُ ثانِيًا وتالِيًا لِذِكْرِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وسَلَّم ؛ فَكُلُّ مَنْ يُصَلِّي عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ يُصَلِّي عَلَى الآل ، وسَيِّدُنا عَلِيٌّ رَأْسُ الآل ؛ فَيَبْقَى ذِكْرُهُ الشَّرِيفُ عَلَى أَلْسِنَةِ العالَمِ مِنْ صَبِيٍّ ، ومُكَلَّفٍ ، وحُرٍّ ، ذَكَرٍ ، وأُنْثَى ؛ فَإِنَّهُمْ إِذا ذَكَرُوا رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ ذَكَرُوهُ :

وَكَفاهُ كَوْنُهُ لِلْمُصْطَفَىٰ ❁ ثَانِيًا فِي كُلِّ ذِكْرٍ وَصَفِيًّا

(وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ أَوَّلُ السَّابِقِينَ إِلَى الإِسْلام ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ

أَوَّلُ مَنْ صَلَّى ، وأَنَّهُ الَّذي رَقَى جَنْبَ أَبي القاسِمِ ﷺ لِكَسْرِ الأَصْنامِ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ الَّذي فَداهُ بِنَفْسِهِ لَيْلَةَ مَكْرِ الَّذينَ مَكَرُوا بِهِ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ الَّذي أَدَّى عَنْهُ الأَماناتِ إِلَى أَهْلِها ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ البَدَن ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ورَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ سَلَّمَتْ عَلَيْهِ الأَمْلاكُ يَوْمَ بَدْر ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّه الَّذي قَطَرَ أَبْطالَ المُشْرِكِينَ فِي كُلِّ مَعْرَكَة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ قاتِلُ عَمْرِو بنِ عَبْدِ وُدٍّ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ فاتِحُ خَيْبَر ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مُبَلِّغُ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ إِلَى المُشْرِكِين ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ اللّهَ تَعالَى زَوَّجَهُ البَتُولَ ابْنَةَ الرَّسُول ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ أَوْلادَ الرَّسُولِ ﷺ أَوْلادُهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ خَلِيفَتُهُ يَوْمَ غَزْوَةِ تَبُوكَ وأَنَّهُ مِنْهُ بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى إِلاَّ فِي النُّبُوَّة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ أَحَبُّ الخَلْقِ إِلَى اللّهِ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ اللّهَ باهَى بِهِ مَلائِكَتَهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ نُودِيَ مِنَ السَّماء : لا سَيْفَ إِلاَّ ذُو الفِقار ولا فَتَى إِلاَّ عَلِيّ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ أَخُو رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مَنْ آذاهُ فَقَدْ آذَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِهِ عِبادَة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ لا

يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنافِق ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ فِيهِ مَثَلًا مِنْ عِيسَى بنِ مَرْيَمَ عليه السلام ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ سَيِّدُ العَرَب ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ سَيِّدُ المُسْلِمِين ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ يُحْشَرُ راكِبًا ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ يَسْقِي مِنْ حَوْضِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ المُؤْمِنِينَ ويَرُدُّ المُنافِقِين ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ لا يَجُوزُ أَحَدٌ الصِّراطَ إِلَّا بِجَوازٍ مِنْهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ يُكْسَى حُلَّةً خَضْراءَ مِنْ حُلَلِ الجَنَّة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي قَصْرِهِ ومَعَ ابْنَتِهِ سَيِّدَةِ نِساءِ العالَمِين ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ حامِلُ لِواءِ الحَمْد ، آدَمُ ومَنْ وَلَدَهُ يَمْشُونَ فِي ظِلِّهِ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ يَقُولُ أَهْلُ المَحْشَرِ حِينَ يَرَوْنَهُ : ما هَذا إِلَّا مَلَكٌ مُقَرَّبٌ أَوْ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، فَيُنادِي مُنادٍ : لَيْسَ هذا مَلَكًا مُقَرَّبًا ولا نَبِيًّا مُرْسَلًا ولَكِنَّهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب أَخُو رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّها تَشْتاقُ الجَنَّةُ إِلَيْهِ كَما فِي حَدِيثِ سَيِّدِنا أَنَسٍ رضي الله عنه : تَشْتاقُ الجَنَّةُ إِلَى ثَلاثَةٍ : عَلِيٍّ ، وعَمَّارٍ ، وسَلْمان ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ بابُ مَدِينَةِ عِلْمِهِ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّها سُدَّتِ الأَبْوابُ[1] إِلَّا بابَه ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ لَمْ يَرْمَدْ

---

(١) أي الشَّارِعَةَ إِلَى المَسْجِد .

بَعْدَ الدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّةِ ولا أَصابَهُ حَرٌّ ولا بَرْدٌ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الجَنَّة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ قَصْرَهُ فِي الجَنَّةِ بَيْنَ قَصْرَي خَلِيلِ الرَّحْمٰنِ وسَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) نُزُولُ آيَةِ الوِلايَةِ فِيهِ[1] ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ اللّٰهَ سَمَّاهُ مُؤْمِنًا فِي عَشْرِ آيات ، (وكَفاهُ شَرَفًا) بَيْعَةُ الرِّضْوان ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ رَأْسُ أَهْلِ بَدْر ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ وَزِيرُهُ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ أَعْلَمُ أُمَّتِهِ ﷺ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ حامِلُ لِوائِهِ ﷺ فِي كُلِّ مَعْرَكَةٍ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ الَّذي غَسَّلَ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ وتَوَلَّى دَفْنَهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) ما أَعْطاهُ اللّٰهُ تَعالَى مِنَ الزَّهادَةِ والعِبادَةِ والبَسالَة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) ما فازَ بِهِ مِنَ الشَّهادَةِ والزُّلْفَى ، (وكَفاهُ شَرَفًا) شَهادَةُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ بِأَنَّهُ يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) تَهَدُّدُهُ ﷺ لِقُرَيْشٍ بِأَنْ يَبْعَثَهُ عَلَيْهِمْ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) شَهادَةُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ بِأَنَّ اللّٰهَ امْتَحَنَ قَلْبَهُ لِلتَّقْوَى ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الكِساء ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ ثانٍ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي سُؤالِهِ مِنَ اللّٰهِ كُلَّما سَأَلَ لِنَفْسِهِ واسْتِعاذَتِهِ لَهُ مِنْ كُلِّ ما اسْتَعاذَ مِنْهُ لِنَفْسِهِ كَما أَخْرَجَهُ المُحامِلِي عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بنِ الحَرْثِ قالَ : قُلْتُ

---

(١) ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ .

لِعَلِيِّ بنِ أَبي طالِب : أَخْبِرْني بِأَفْضَلِ مَنْزِلَتِكَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قالَ : نَعَم ، بَيْنا أَنا نائِمٌ عِنْدَهُ وهُوَ يُصَلِّي فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ قالَ : يا عَلِيُّ ما سَأَلْتُ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ شَيْئًا إِلَّا سَأَلْتُ لَكَ مِثْلَهُ ، ولا اسْتَعَذْتُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا اسْتَعَذْتُ لَكَ مِثْلَهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَدْخَلَهُ فِي ثَوْبِهِ يَوْمَ تُوُفِّيَ واحْتَضَنَهُ إِلَى أَنْ قُبِضَ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ بِالسُّنَّة ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ أَكْثَرُ النَّاسِ وأَعْظَمُهُمْ حِلْمًا ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ الصَّحابَةَ رضي الله عنهم أَحالَتِ السُّؤالاتِ لَمَّا سُئِلُوا عَلَيْه ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّحابَةِ رضي الله عنهم مَنْ يَقُولُ سَلُونِي قَبْلَ فَقْدِي غَيْرُهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) دُعاءُ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ وَلَّاهُ القَضاءَ بِأَنْ يُثَبِّتَ اللّهُ لِسانَهُ ويَهْدِيَ قَلْبَهُ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) قَوْلُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِأَنَّهُ أَقْضَى أُمَّتِه ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَرَّرَ قَضاءَهُ وأُعْجِبَ بِهِ ، وقالَ : الحَمْدُ للّهِ الَذي جَعَلَ فِينا أَهْلَ البَيْتِ الحِكْمَةَ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مِنْ ساداتِ أَهْلِ الجَنَّة ، كَما أَخْرَجَهُ ابنُ السَّرِيِّ عَنْ أَنَسٍ قالَ : قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : نَحْنُ بَنُو عَبْدِ المُطَّلِب ساداتُ أَهْلِ الجَنَّة ؛ أَنا ، وحَمْزَةُ ، وعَلِيٌّ ، وجَعْفَرٌ ، والحَسَنُ ، والحُسَيْنُ ، والمَهْدِيُّ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) لَعْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ أَبْغَضَهُ كَما أَخْرَجَهُ أَبو

سَعِيدٍ فِي شَرَفِ النُّبُوَّة : عَنْ أَنَس بن مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ المِنْبَرَ فَذَكَرَ قَوْلًا كَثِيرًا ثُمَّ قالَ : أَيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب ؟ فَوَثَبَ إِلَيْهِ فَقالَ : ها أَنَذَا يا رَسُولَ اللّٰه ، فَضَمَّهُ إِلَى صَدْرِهِ وقَبَّلَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وقالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ : مَعاشِرَ المُسْلِمِينَ هَذا أَخِي وابنُ عَمِّي وخَتَنِي ، هَذا لَحْمِي ودَمِي وشَعْرِي ، هَذا أَبُو السِّبْطَيْنِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّة ، هَذا مُفَرِّجُ الكَرْبِ عَنِّي ، هَذا أَسَدُ اللّٰهِ وسَيْفُهُ فِي أَرْضِهِ عَلَى أَعْدائِه ، عَلَى مُبْغِضِهِ لَعْنَةُ اللّٰهِ ولَعْنَةُ اللاعِنِينَ ، واللّٰهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وأَنا مِنْهُ بَرِيءٌ ، ولْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائِبَ ، ثُمَّ قالَ : اجْلِسْ يا عَلِيُّ قَدْ عَرَفَ اللّٰهُ لَكَ ذَلِك ، (وكَفاهُ شَرَفًا) اشْتِياقُ أَهْلِ السَّمَواتِ والأَنْبِياءِ فِي الجَنَّةِ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَما أَخْرَجَهُ المُلَّا فِي سِيرَتِهِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : ما مَرَرْتُ بِسَماءٍ ولا أَرْضٍ إِلَّا وأَهْلُها مُشْتاقُونَ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب ، وما فِي الجَنَّةِ نَبِيٌّ إِلَّا وهُوَ مُشْتاقٌ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ مَنِ اقْتَدَى بِهِ اهْتَدَى لِقَوْلِهِ ﷺ : أَصْحابِي كالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ ، (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّ اللّٰهَ باهَى بِهِ حَمَلَةَ العَرْشِ كَما أَخْرَجَهُ أَبُو القاسِمِ فِي فَضائِلِ العَبَّاسِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما قالَ : إِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ

صَفَّ المُهاجِرِينَ والأَنْصارَ وقالَ : هَبَطَ جِبْرِيلُ عليه السلام وقالَ : إِنَّ اللّٰهَ باهَى بِالمُهاجِرِينَ والأَنْصارِ أَهْلَ السَّمَواتِ العُلا ، وباهَى بِي وبِكَ يا عَلِيُّ وبِكَ يا عَبَّاسُ حَمَلَةَ العَرْشِ ؛ فَهَذِهِ الرُّتَبُ الَّتي لا يَبْلُغُها أَحَدٌ مِنَ العَجَمِ ولا العَرَب .

رُتَبٌ تَرْجِعُ الأَمَانِيُّ حَسْرَى ۞ دُونَـهَا مَـا وَرَاءَهُـنَّ وَرَاءُ

(وكَفاهُ شَرَفًا) أَنْ خَصَّهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِكِتابَةِ عَقْدِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ وكِتابَةِ بُنُودِهِ ؛ لأَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه كانَ مِنَ الصَّحابَةِ القَلائِلِ الَّذِينَ يُجِيدُونَ الكِتابَةَ والقِراءَة .

وأَعُودُ مُكَرِّرًا (وكَفاهُ شَرَفًا) أَنَّهُ ثانٍ لِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فِي أَشْرَفِ الذِّكْرِ وأَحْلاه ، وأَطْيَبِهِ وأَدْوَمِهِ وأَبْقاه ، وذَلِكَ فِي صَلاتِهِ ومَلائِكَتِهِ والخَلائِقِ عَلَيْهِ ﷺ وعَلَى الآل ، وأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رَأْسُ الآل .

وقَدْ ثَبَتَ ثُبُوتًا لا رَيْبَةَ فِيهِ أَنَّ الصَّحابَةَ قالُوا يا رَسُولَ اللّٰهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قال ﷺ : (قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَما صَلَّيْتَ عَلَى إِبْراهِيمَ وعَلَى آلِ إِبْراهِيمَ وبارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَما بارَكْتَ عَلَى إِبْراهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيد) .

صَلَـوَاتُ اللّٰهِ تَتْـرَى لَهُـمَا ۞ وَعَلَى الآلِ صَبَاحًا وَعَشِيًّا

اللهُمَّ فاجْعَلْ صَلاتَكَ ، وسَلامَكَ وتَرَحُّمَكَ ، وبَرَكَتَكَ وتَحَنُّنَكَ عَلَى سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِهِ ما ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ ، وغَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الغافِلُونَ ، ما تَعاقَبَ مَساءٌ وصَباح ، وما هَبَّتْ فِي بَحْرِكَ وبَرِّكَ الرِّياح ، واعْفُ وتَقَبَّلْ وسامِحْ فِيما رَقَمَهُ اليَراعُ وكَتَبَ ، واحْشُرْنا مَعَ المُحِبِّينَ لِمَنْ يُحِبُّهُ فَإِنَّ المَرْءَ يُحْشَرُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ ، وتَقَبَّلْ ما كَتَبْتُهُ بِمِدادِ المَوَدَّةِ لأَهْلِ البَيْتِ بِمِصْرَ فِي مَراقِدِهِمُ المَشْهُورَة ، سَرْدًا لِهَذِهِ الفَضائِلِ المَنْشُورَة ، والمَزايا الَّتي هِيَ عَلَى صَفَحاتِ الدَّهْرِ مَسْطُورَة ، واجْعَلِ اللهُمَّ ذَلِكَ مِمَّا يُطَرَّزُ بِهِ صَحائِفُ حَسَناتِنا ، ومِمَّا يُمْحَى بِهِ ما كَتَبَهُ كاتِبُ الشِّمالِ مِنْ عَظِيمِ سَيِّئاتِنا .

بَنِي النَّبِيِّ لَكُمْ فِي الْمَجْدِ مَرْتَبَةٌ
مِنْ دُونِها فِي مَنَصَّاتِ الْعُلا الرُّتَبُ

إِنْ ثَمَّ مِنْ حَسَبٍ يُرْوَى وَمِنْ نَسَبٍ
فَبَعْدَكُمْ حَسَبُ الْكُبَّارِ وَالنَّسَبُ

فَالنَّاسُ جِسْمٌ وَأَنْتُمْ رُوحُهُ وَهُمُ
لَفْظٌ وَأَنْتُمْ بِهِ الْمَعْنَى الَّذِي يَجِبُ

الفَتَى عَلِيٌّ يُصْنَعُ عَلَى عَيْنِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ

وذِكْرُ أَوَّلِيَّةِ مَنِ اسْتَجابَ للنُّورِ البَهِيِّ

لَمَّا بُعِثَ ﷺ أَخْفَى أَمْرَهُ ، وجَعَلَ يَدْعُو أَهْلَ مَكَّةَ ومَنْ أَتَى إِلَيْها سِرًّا وذَلِكَ لِمُدَّةِ ثَلاثِ سَنَوات .

وكانَ أَوَّلَ مَنْ سَطَعَ عَلَيْهِ نُورُ الإِسْلامِ وآمَنَ بِاللّٰهِ وصَدَّقَ صِدِّيقَةُ النِّساءِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد (زَوْجُهُ ﷺ) ، فَقامَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِأَعْباءِ الصِّدِّيقِيَّة .

وكانَ أَوَّلَ صَبِيٍّ آمَنَ ابنُ عَمِّهِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ ، وسِنُّهُ ثَمانِي سِنِين ، وكانَ مُقِيمًا عِنْدَهُ يُطْعِمُهُ ويَسْقِيهِ ويَقُومُ بِأَمْرِهِ ؛ لأَنَّ قُرَيْشًا كانُوا قَدْ أَصابَتْهُمْ مَجاعَةٌ وكانَ أَبو طالِب مُقِلًّا كَثِيرَ الأَوْلاد ، فَقالَ ﷺ لِعَمِّهِ العَبَّاسِ بن عَبْدِ المُطَّلِب : إِنَّ أَخاكَ أَبا طالِب كَثِيرُ العِيال ، والنَّاسُ فِيما تَرَى مِنَ الشِّدَّة ، فانْطَلِقْ بِنا لِنُخَفِّفَ مِنْ عِيالِه ؛ تَأْخُذُ واحِدًا وأَنا واحِدًا ، فانْطَلَقا وعَرَضا عَلَيْهِ الأَمْرَ ، فَأَخَذَ العَبَّاسُ جَعْفَرَ بنَ أَبِي طالِب ، وأَخَذَ ﷺ عَلِيًّا ، فَكانَ فِي كَفالَتِهِ كَأَحَدِ أَوْلادِه ، فَكانَ تابِعًا للنَّبِيِّ ﷺ فِي كُلِّ أَعْمالِهِ ، ولَمْ يَتَدَنَّسْ بِدَنَسِ الجاهِلِيَّةِ مِنَ اتِّباعِ الهَوَى وعِبادَةِ الأَوْثان .

وكانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ المَوالِي زَيْدُ بنُ حارِثَةَ بنِ شُرَحْبِيل الكَلْبِي ؛

والَّذي كانَ قَدْ أُسِرَ ورُقَّ ، فَمَلَكَتْهُ السَّيِّدَةُ خَدِيجَة ، ووَهَبَتْهُ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ ، وجاءَهُ أَبُوهُ وعَمُّهُ لِيَذْهَبا بِهِ إِلَى قَوْمِهِ وعَشِيرَتِهِ ، فاخْتَارَ عَلَيْهِما رَسُولَ اللّه ، فَتَبَنَّاهُ ﷺ حَسَبَ قَواعِدِ العَرَب ، وكانَ لِذَلِكَ يُقالُ لَهُ : زَيْدُ بنُ مُحَمَّد ، حَتَّى جاءَ الإِسْلامُ وأَبْطَلَ التَّبَنِّي .

أَجابَتْ أَيْضًا أُمُّ أَيْمَن (حاضِنَتُهُ) الَّتي زَوَّجَها ﷺ لِمَوْلاهُ زَيْد .

وكانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ العَبِيد : بِلالُ بنُ رَباح الحَبَشِي .

وكانَ أَوَّلَ مَنْ أَجابَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَيْتِهِ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق (واسْمُهُ عَبْدُ اللّهِ بنُ أَبِي قُحافَةَ بنِ عامِرِ بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ بنِ تَيْم ابنِ مُرَّةَ التَّيْمِيُّ القُرَشِيُّ) ، ولَقَبُهُ عَتِيق ، وكانَ صَدِيقًا لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّة ، يَعْلَمُ ما اتَّصَفَ بِهِ ﷺ مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاق ، ولَمْ يَعْهَدْ عَلَيْهِ كَذِبًا مُنْذُ اصْطَحَبا ، فَأَوَّلُ ما أَخْبَرَهُ بِرسالَةِ اللّهِ أَسْرَعَ بِالتَّصْدِيق ، وقالَ : بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أَهْلُ الصِّدْقِ أَنْتَ ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللّهُ وأَنَّكَ رَسُولُ اللّه .

كانَ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَدْرًا مُعَظَّمًا فِي قُرَيْشٍ عَلَى سَعَةٍ مِنَ المالِ وكَرَمِ الأَخْلاق ، وكانَ مِنْ أَعَفِّ النَّاس ، سَخِيًّا يَبْذُلُ المال ، مُحَبَّبًا فِي قَوْمِهِ حَسَنَ المُجالَسَةِ ، وكانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْش ، وأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِها وبِما

كانَ فِيها مِنْ خَيْرٍ وشَرٍّ .

ولِذَلِكَ كُلِّهِ كانَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِمَنْزِلَةِ الوَزِير ، فَكانَ ﷺ يَسْتَشِيرُهُ فِي أُمُورِهِ كُلِّها ، وقالَ ﷺ فِي حَقِّهِ : (ما دَعَوْتُ أَحَدًا إِلَى الإِسْلامِ إِلَّا كانَتْ لَهُ كَبْوَةٌ[1] غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ ما عَكَمَ[2] حِينَ دَعَوْتُه ، ولا تَرَدَّدَ فِيه) .

وكانَتِ الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسْلامِ سِرًّا حَذَرًا مِنْ مُفاجَأَةِ العَرَبِ بِأَمْرٍ شَدِيدٍ كَهَذا فَيَصْعُبُ اسْتِسْلامُهُمْ ، فَكانَ ﷺ لا يَدْعُو إِلَّا مَنْ يَثِقُ به ، ودَعا أَبو بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الإِسْلامِ مَنْ يَثِقُ بِهِ مِنْ رِجالِ قُرَيْش ، فَأَجابَهُ جَمْعٌ : مِنْهُمْ : عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ بن أَبِي العاصِ بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ بنِ عَبْدِ مَنافٍ الأُمَوِيُّ القُرَشِيُّ ، ولَمَّا عَلِمَ عَمُّهُ الحَكَمُ بِإِسْلامِهِ أَوْثَقَهُ كِتافًا ، وقالَ : تَرْغَبُ عَنْ دِينِ آبائِكَ إِلَى دِينٍ مُسْتَحْدَث ؟! واللّهِ لا أَحُلُّكَ حَتَّى تَدَعَ ما أَنْتَ عَلَيْه ، فَقالَ عُثْمانُ : واللّهِ لا أَدَعُهُ ولا أُفارِقُهُ ؟ فَلَمَّا رَأَى الحَكَمُ صَلابَتَهُ فِي الحَقِّ تَرَكَهُ ، وكانَ سَيِّدُنا عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَهْلًا [3] يُناهِزُ الثَّلاثِينَ مِنْ عُمْرِه .

---

(١) كَبْوَةٌ : تَوَقُّفٌ وتَرَدُّد .　　(٢) ما عَكَمَ : ما تَلَبَّثَ بَلْ سارَعَ .

(٢) وُلِدَ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ عامِ الفِيلِ بِسِتِّ سِنِينَ ، فَيَكُونُ سِنُّهُ حِينَ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْبَعًا وثَلاثِينَ سَنَةً فَهُوَ كَهْلٌ ؛ لأَنَّ الكَهْلَ مَنْ يَنُوفُ عُمْرُهُ عَنِ الثَّلاثِين .

ومِنهُمْ : الزُّبَيْرُ بنُ العَوَّام بنِ خُوَيْلِدِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِ العُزَّى بنِ قُصَيٍّ القُرَشِي ، وأُمُّهُ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِب (عَمَّةُ رَسُولِ اللَّه ﷺ) ، وكانَ عَمُّ الزُّبَيْرِ يُرْسِلُ الدُّخانَ عَلَيْهِ وهُوَ مُقَيَّدٌ لِيَرْجِعَ إِلَى دِينِ آبائِهِ ، فَقَوَّاهُ اللَّهُ بِالثَّبات ، وكانَ شابًّا لا يَتَجاوَزُ سِنَّ الاحْتِلام .

ومِنْهُمْ : عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَوْفِ بنِ عَبْدِ عَوْفِ بنِ عَبْدِ بنِ الحارِثِ ابنِ زُهْرَةَ بنِ كِلابٍ القُرَشِيُّ الهاشِمِيُّ ، وكانَ اسْمُهُ فِي الجاهِلِيَّةِ عَبْدَ عَمْرٍو فَسَمَّاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَ الرَّحْمٰن .

ومِنْهُمْ : سَعْدُ بنُ أَبِي وَقَّاص مالِكِ بنِ أُهَيْب بن عَبْدِ مَنافِ بنِ زُهْرَةَ ابنِ كِلابٍ الزُّهْرِيُّ القُرَشِي ، ولَمَّا عَلِمَتْ أُمُّهُ حَمْنَةُ بِنْتُ سُفْيانَ بنِ أُمَيَّةَ بِإِسْلامِهِ ، قالَتْ لَهُ : يا سَعْدُ بَلَغَنِي أَنَّكَ قَدْ صَبَأْتَ ! فَوَاللَّهِ لا يُظِلُّنِي سَقْفٌ مِنَ الحَرِّ والبَرْدِ وإِنَّ الطَّعامَ والشَّرابَ عَلَيَّ حَرامٌ حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، وبَقِيَتْ كَذَلِكَ ثَلاثَةَ أَيَّام ، فَجاءَ سَعْدٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وشَكا إِلَيْهِ أَمْرَ أُمِّهِ فَنَزَلَ فِي ذَلِكَ تَعْلِيمًا قَوْلُ اللَّهِ تَعالَى :

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (١) .

---

(١) **سُورَةُ العَنْكَبُوت : الآيَة ٨ .**

وَصَّاهُ جَلَّ فِي عُلاهُ بِوالِدَيْهِ وأَمَرَهُ بالإِحْسانِ إِلَيْهِما مُؤْمِنَيْنِ كانا أَوْ كافِرَيْنِ ، أَمَّا إِذا دَعَواهُ للإِشْراكِ فالمَعْصِيَةُ مُتَحَتِّمَةٌ ؛ لأَنَّ كُلَّ حَقٍّ (وإِنْ عَظُمَ) ساقِطٌ هُنا ، فَلا طاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الخالِق ، ثُمَّ قالَ سُبْحانَهُ : ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ : مَنْ آمَنَ مِنْكُمْ ومَنْ أَشْرَكَ فَأُجازِيكُمْ حَقَّ جَزائِكُمْ .

وفِي خِتامِ هَذِهِ الآيَةِ فائِدَتان : التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الجَزاءَ إِلَى اللهِ ، فَلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِجَفْوَتِهِما لإِشْراكِهِما ، والحَضُّ عَلَى الثَّباتِ فِي الدِّينِ لِئَلَّا يَنالَ شَرَّ جَزاءٍ فِي الأُخْرَى .

ومِنْهُمْ : طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ بنِ عُثْمان بنِ عَمْرِو بنِ كَعْبِ بنِ سَعْدِ ابنِ تَيْمِ بنِ مُرَّةَ التَّيْمِيُّ القُرَشِيُّ ، وقَدْ كانَ عَرَفَ مِنَ الرُّهْبانِ ذِكْرَ الرَّسُولِ وصِفَتَهُ ، فَلَمَّا دَعاهُ أَبو بَكْرٍ وسَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ما نَفَعَهُ بِهِ ، ورَأَى الدِّينَ مَتِينًا بَعِيدًا عَمَّا عَلَيْهِ العَرَبُ مِنَ المَثالِبِ اسْتَجابَ للإِسْلام .

فَكانَ هَؤُلاءِ النَّفَرُ الثَّمانِيَةُ الَّذِينَ سَبَقُوا النَّاسَ هُمُ الرَّعِيلُ الأَوَّلُ وطَلِيعَةُ الإِسْلام ، ثُمَّ جاءَ سَيِّدُنا أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه بِساداتِنا عُثْمانَ بنِ مَظْعُون وأَبِي عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاح وأَبِي سَلَمَةَ بن عَبْدِ الأَسَد والأَرْقَمِ

ابنِ أَبي الأَرْقَم إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَأَسْلَمُوا رضي الله عنهم .

ومِمَّنْ سَبَقُوا إِلَى الإِسْلامِ : صُهَيْب الرُّومِي[١] وكانَ مِنَ المَوالِي ، وعَمَّارُ ابنُ ياسِر ، وقَدْ قالَ رضي الله عنه : (رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وما مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ وامْرَأَتان وأَبو بَكْر)[٢] ، وكَذَلِكَ أَسْلَمَ أَبُوهُ ياسِر وأُمُّهُ سُمَيَّة .

ومِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ عَبْدُ اللّهِ بنُ مَسْعُود : كانَ يَرْعَى الغَنَمَ لِبَعْضِ مُشْرِكِي قُرَيْش (وهُمْ آلُ عُقْبَةَ بنِ أَبي مُعَيْط) ، فَلَمَّا رَأَى الآياتِ الباهِرَةَ وما يَدْعُو إِلَيْهِ ﷺ مِنْ مَكارِمِ الأَخْلاقِ تَرَكَ عِبادَةَ الأَوْثانِ ولَزِمَ رَسُولَ اللّه ، وكانَ رضي الله عنه كَثِيرَ الدُّخُولِ عَلَى الرَّسُولِ لا يُحْجَبُ ، ويَمْشِي أَمامَهُ ، ويَسْتُرُهُ إِذا اغْتَسَلَ ، ويُوقِظُهُ إِذا نامَ ، ويُلْبِسُهُ نَعْلَيْهِ إِذا قامَ ، فَإِذا جَلَسَ ﷺ أَخَذَ ابنُ مَسْعُودٍ النَّعْلَيْنِ وأَدْخَلَهُما فِي ذِراعَيْه .

وهَكَذا سَعِدَ ابنُ مَسْعُودٍ بِخِدْمَةِ النَّعْلِ الشَّرِيفِ فَكانَ جَدِيرًا بِوَصْفِ الحَبِيبِ الأَعْظَم ﷺ لِساقَيْهِ الدَّقِيقَتَيْنِ أَنَّهُما أَثْقَلُ فِي المِيزانِ عِنْدَ اللّهِ مِنْ جَبَلِ أُحُد .

ومِنَ السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ أَبو ذَرٍّ الغِفارِي : وكانَ مِنْ أَعْرابِ البادِيَةِ فَصِيحًا

---

(١) هُوَ صُهَيْبُ بنُ سِنان ، قِيلَ لَهُ : الرُّومِي ، لأَنَّ الرُّومَ سَبَوْهُ صَغِيرًا ، فَصارَ أَلْكَن ، ثُمَّ اشْتَراهُ رَجُلٌ مِنْ كَلْب فَباعَهُ بِمَكَّة .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخارِي فِي فَضائِلِ الصَّحابَة .

حُلْوَ الحَدِيث ، ولَمَّا بَلَغَهُ مَبْعَثُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قالَ لأَخِيهِ أُنَيْس : ارْكَبْ إِلَى هَذا الوادِي فاعْلَمْ لِي عِلْمَ هَذا الرَّجُلِ الَّذي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ يَأْتِيهِ الخَبَرُ مِنَ السَّماء .

فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَبِي ذَرٍّ ، فَقالَ : رَأَيْتُهُ يَأْمُرُ بِمَكارِمِ الأَخْلاقِ ويَقُولُ كَلامًا ما هُوَ بِالشِّعْرِ ، فَقالَ : ما شَفَيْتَنِي مِمَّا أَرَدْتُ .

فَتَزَوَّدَ أَبو ذَرٍّ وحَمَلَ قِرْبَةً لَهُ فِيها ماءٌ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ ، فَأَتَى المَسْجِدَ فالْتَمَسَ النَّبِيَّ ﷺ ولا يَعْرِفُهُ ، وكَرِهَ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ لِما يَعْرِفُهُ مِنْ كَراهَةِ قُرَيْشٍ لِكُلِّ مَنْ يُخاطِبُ رَسُولَ اللّه ، حَتَّى إِذا أَدْرَكَهُ اللَّيْلُ رَآهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ ، فَعَرَفَ أَنَّهُ غَرِيب ، فَأَضافَهُ عِنْدَهُ ولَمْ يَسْأَلْ أَحَدٌ مِنْهُما صاحِبَهُ عَنْ شَيْءٍ ؛ عَلَى قاعِدَةِ الضِّيافَةِ عِنْدَ العَرَبِ (لا يُسْأَلُ الضَّيْفُ عَنْ سَبَبِ قُدُومِهِ إِلَّا بَعْدَ ثَلاث) .

فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلَ قِرْبَتَهُ وزادَهُ إِلَى المَسْجِد ، وظَلَّ ذَلِكَ اليَوْمَ ولا يَراهُ الرَّسُولُ حَتَّى أَمْسَى ، فَمَرَّ بِهِ عَلِيٌّ ، فَقالَ : أَما آنَ لِلرَّجُلِ أَنْ يَعْرِفَ مَنْزِلَهُ الَّذي أُضِيفَ بِهِ بِالأَمْس ؟

فَأَقامَهُ فَذَهَبَ مَعَهُ لا يَسْأَلُ واحِدٌ مِنْهُما صاحِبَهُ عَنْ شَيْء ، حَتَّى إِذا

كانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ عادَ عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ ، ثُمَّ قالَ لَهُ عَلِيٌّ : ألا تُحَدِّثُنِي ما الَّذي أقْدَمَكَ ؟ قالَ إنْ أعْطَيْتَنِي عَهْدًا وميثاقًا لَتُرْشِدَنِّي فَعَلْتُ ، فَفَعَلَ ، فَأَخْبَرَهُ ، قالَ : فَإِنَّهُ حَقٌّ وهُوَ رَسُولُ اللَّه ، فَإذا أَصْبَحْتَ فاتَّبِعْنِي ، فَإِنِّي إنْ رَأَيْتُ شَيْئًا أَخافُهُ عَلَيْكَ قُمْتُ كَأَنِّي أُرِيقُ الماءَ فَإنْ مَضَيْتُ فاتَّبِعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي ، فَفَعَلَ فانْطَلَقَ يَتْبَعُ أَثَرَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ودَخَلَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ قَوْلِهِ وأَسْلَمَ مَكانَهُ ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (ارْجِعْ إلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي) ، قالَ : والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَصْرُخَنَّ بها بَيْنَ ظَهْرانِيهِمْ ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى المَسْجِدَ فَنادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ : أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلَّا اللَّهُ وأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه ، فَقامَ القَوْمُ فَضَرَبُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ ، وأَتَى العَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ ، وقالَ : وَيْلَكُمْ أَوَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفار ؟ وأَنَّ طَرِيقَ تِجارَتِكُمْ إلَى الشَّام عَلَيْه ! فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ ، ثُمَّ عادَ مِنَ الغَدِ لِمِثْلِها ، فَضَرَبُوهُ وثارُوا إلَيْهِ فَأَكَبَّ العَبَّاسُ عَلَيْهِ[1] .

كانَ أَبو ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ قَوْلًا وأَزْهَدِهِمْ فِي الدُّنْيا .

ومِنَ السَّابِقِينَ سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ العَدَوِيُّ القُرَشِيُّ ، وزَوْجُهُ فاطِمَةُ بِنْتُ

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي فِي مَناقِبِ الأَنْصار .

الخَطَّاب (أُخْتُ عُمَر) ، وأُمُّ **الفَضْل** (لُبابَة بِنْتُ الحارِثِ الهِلالِيَّة زَوْجُ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِب) ، **وعُبَيْدَةُ بنُ الحارِث** بنِ المُطَّلِبِ بنِ عَبْدِ مَناف ، **وأَبُو سَلَمَة** (عَبْدُ اللهِ بنُ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِي القُرَشِي ابنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ) ، وزَوْجُهُ **أُمُّ سَلَمَة** ، **وقُدامَةُ بنُ مَظْعُون** ، **وعَبْدُ اللهِ بنُ مَظْعُون** .

ومِنَ **السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ خالِدُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاص** بنِ أُمَيَّةَ بنِ عَبْدِ شَمْسِ الأُمَوِي القُرَشِي ، كانَ أَبُوهُ سَيِّدَ قُرَيْشٍ إذا اعْتَمَّ (لَبِسَ العِمامَة) لَمْ يَعْتَمَّ قُرَشِيٌّ إجْلالاً لَهُ ، وكانَ خالِدُ بنُ سَعِيدٍ قَدْ رَأَى فِي مَنامِهِ أَنَّهُ سَيَقَعُ فِي هاوِيَةٍ فَأَدْرَكَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ وخَلَّصَهُ مِنْها ، فَجاءَ إلَيْهِ وقالَ : إلامَ تَدْعُو يا مُحَمَّد ؟

قالَ ﷺ : (أَدْعُوكَ إلَى عِبادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وأَنْ تَخْلَعَ ما أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ عِبادَةِ حَجَرٍ لا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يَضُرُّ ولا يَنْفَعُ ، والإحْسانِ إلَى والِدَيْكَ ، وأَلَّا تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ الفَقْرِ ، وأَلَّا تَقْرَبَ مالَ اليَتِيمِ إلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وأَنْ تُوفِيَ الكَيْلَ والمِيزانَ بِالقِسْطِ ، وأَنْ تَعْدِلَ فِي قَوْلِكَ ولَوْ حَكَمْتَ عَلَى ذَوِي قُرْباكَ ، وأَنْ تُوفِيَ لِمَنْ عاهَدْتَ) ، فَأَسْلَمَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وأَسْلَمَ بَعْدَهُ أَخُوهُ **عَمْرُو بنُ سَعِيد** .

وهَكَذا دَخلَ هَؤُلاءِ الأَشْرافُ فِي دِينِ الإِسْلامِ ولَمْ يَكُنْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَيْفٌ يَضْرِبُ بِهِ أَعْناقَهُمْ حَتَّى يُطِيعُوهُ صاغِرِين ، ولَيْسَ مَعَهُ ما يُرْغَبُ فِيهِ حَتَّى يَتْرُكَ هَؤُلاءِ العِظامُ آباءَهُمْ وذَوِي الثَّرْوَةِ مِنْهُمْ ويَتَّبِعُوا الرَّسُولَ لِيَأْكُلُوا مِنْ فَضْلِ مالِهِ ، بَلْ كانَ الكَثِيرُ مِنْهُمْ واسِعَ الثَّرْوَةِ أَكْثَرَ مِنْهُ ﷺ كَأَبِي بَكْرٍ وعُثْمانَ وخالِدِ بنِ سَعِيدٍ وغَيْرِهِمْ ، والَّذِينَ اتَّبَعُوهُ مِنَ المَوالِي اخْتارُوا الأَذَى والجُوعَ والمَشَقَّاتِ مَعَ اتِّباعِ الرَّسُولِ ؛ بِحَيْثُ لَوِ اتَّبَعُوا سادَتَهُمْ لَكانُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيا أَهْدَأَ بالاً وأَنْعَمَ عِيشَةً ، اللهُمَّ لَيْسَ ذَلِكَ إِلاَّ مِنْ هِدايَةِ اللَّهِ وسُطُوعِ أَنْوارِ الدِّينِ عَلَيْهِمْ ، حَتَّى أَدْرَكُوا ما هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الضَّلالَةِ وما عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الهُدَى .

نَعَمْ .. أَسْلَمَ هَؤُلاءِ سِرًّا ، وكانَ الرَّسُولُ ﷺ يَجْتَمِعُ بِهِمْ ويُرْشِدُهُمْ إِلَى الدِّينِ مُتَخَفِّيًا ؛ لأَنَّ الدَّعْوَةَ كانَتْ لا تَزالُ فَرْدِيَّةً وسِرِّيَّةً ، ولِهَذا أَشارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : (إِنَّ هَذا الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا ، وسَيَعُودُ غَرِيبًا كَما بَدَأَ ، فَطُوبَى لِلغُرَباءِ)[١] .

---

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْ سَيِّدِنا أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه .

القَوْلُ الأَسْلَمُ فِي تَعْيِينِ أَوَّلِ مَنْ أَسْلَم

والخِلافُ بَيْنَ العُلَماءِ مَشْهُورٌ فِي أَنَّ عَلِيًّا أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ ، وأَبا بَكْرٍ ، أَوْ خَدِيجَةَ رضي الله عنهم ، واهْتَدَى مُدَقِّقُو المُحَقِّقِينَ لأَقْوالٍ تَحُلُّ الإِشْكالَ : بِأَنَّ أَبا بَكْرٍ رضي الله عنه أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الرِّجالِ البالِغِين ، وعَلِيَّ بنَ أَبِي طالِب رضي الله عنه أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبْيان ، وخَدِيجَةَ أُمَّ المُؤْمِنينَ رضي الله عنها أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ النِّساء ، وزَيْدَ بنَ حارِثَة رضي الله عنه أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ المَوالِي ، وبِلالَ بنَ رَباح رضي الله عنه أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ العَبِيد .

وسابِقُ المُسْلِمِينَ : لَقَبٌ لا يَسْتَحِقُّونَهُ لِمُجَرَّدِ سَبْقِهِمْ إِلَى الإِسْلام ؛ وإِنَّما يَسْتَحِقُّونَهُ لأَنَّهُمْ حازُوا كِلْتا الحُسْنَيَيْنِ ، السَّبْقَ ، والصِّدْقَ ، فَهُمْ رضي الله عنهم الَّذِينَ عَلَّمُوا النَّاسَ فِيما بَعْدُ ، أَنَّهُ : لَيْسَ الطَّرِيقُ لِمَنْ سَبَق ، إِنَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ صَدَق .

ولِلّهِ دَرُّ أَمِيرِ الشُّعَراء (أَحْمَد بك شَوْقِي) فِي نَظْمِه :

نَـاجَـاهُـمُ بِبَـيِّـنَـاتِ رَبِّـهِ ۞ فَآمَـنَتْ بِنْـتُ خُوَيْلِـدٍ بِـهِ
فَقِيلَ فِـيهَا أَسْبَقُ الإِنَـاثِ ۞ وَفِـي عَلِـيٍّ أَسْبَقُ الأَحْـدَاثِ
وَفِي الرِّجَـالِ لِأَبِي بَكْـرٍ يَـدُ ۞ بِالسَّبْقِ لَمْ يَبْلُغْ مَدَاهَا سَيِّدُ

ونَحْنُ (والفَضْلُ لِلّهِ والمِنَّة) إِذْ نَتَذاكَرُ ونُذَكِّرُ بِأَهْلِ السَّبْقِ مِنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم إِنَّما نَسْتَشْرِفُ أَنْ نَكُونَ مِنَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسان

وعَلَى يَقِينٍ مِنْ قَوْلِ رَبِّنا : ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [1] .

ولِلّٰهِ دَرُّ السَّيِّدِ الحِمْيَرِي فِي قَوْلِهِ :

أَهْلِ التُّقَى وَذَوِي النُّهَى وَأُولِي الْعُلَى ۞ وَالنَّاطِقِينَ عَنِ الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ
الصَّائِمِينَ الْقَائِمِينَ الْقَانِتِينَ ۞ الْفَائِقِينَ بَنِي الْحِجَى وَالسُّؤْدَدِ
الرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينَ الْحَامِدِينَ ۞ السَّابِقِينَ إِلَى صَلاةِ الْمَسْجِدِ
الْفَاتِقِينَ الرَّاتِقِينَ السَّائِحِينَ ۞ الْعَابِدِينَ إِلَهَهُمْ بِتَوَدُّدِ

ذِكْرُ صِفَةِ الإمامِ عَلِيٍّ

قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي وابنُ عَبْدِ البَرِّ [2] :

كانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ رَبْعَةً مِنَ الرِّجال ، أَدْعَجَ العَيْنَيْن ، عَظِيمَهُما ، حَسَنَ الوَجْه ، كَأَنَّهُ القَمَرُ لَيْلَةَ البَدْر ، عَظِيمَ البَطْنِ إِلَى السِّمَن ، عَرِيضَ ما بَيْنَ المَنْكِبَيْن ، لِمَنْكِبِهِ مُشاشٌ كَمُشاشِ السَّبْعِ الضَّارِي ، لا يَبِينُ (يَتَبَيَّنُ) عَضُدُهُ مِنْ ساعِدِه ، قَدْ أُدْمِجَ إِدْماجًا ، شَثْنَ الكَفَّيْن ، عَظِيمَ

---

(١) سُورَةُ التَّوْبَة : الآيَة ١٠٠ .
(٢) ابنُ عَبْدِ البَرِّ : الاسْتِيعاب فِي مَعْرِفَةِ الأَصْحاب .

الكَرادِيس ، أَغْيَد ، كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ ، أَصْلَعَ لَيْسَ فِي رَأْسِهِ شَعْرٌ إِلَّا مِنْ خَلْفِه ، كَثِيرَ شَعْرِ اللِّحْيَة ، وكانَ إذا مَشَى تَكَفَّأَ ، شَدِيدَ السَّاعِدِ واليَدِ ، عَتَدًا ، وإذا مَشَى إِلَى الحُرُوبِ هَرْوَلَ ، ثَبْتَ الجَنان ، قَوِيًّا ، ما صارَعَ أَحَدًا إِلَّا صَرَعَهُ ، شُجاعًا ، مَنْصُورًا عَلَى مَنْ لاقاه .

شَرْحُ ذَلِكَ :

رَبْعَة : لا طَويلٌ ولا قَصِير ، والدَّعَجُ : شِدَّةُ سَوادِ العَيْنِ مَعَ سِعْتِها ، والأَغْيَد : المائِلُ العُنُق والغَيَدُ النُّعُومَة وامْرَأَةٌ غَيْداءُ وغادَة ناعِمَة ، والمُشاش : رُؤُوسُ العِظامِ اللَّيِّنَةِ الواحِدَةُ مُشاشَة ، وأَدْمَج : أَدْخَل ؛ يُرِيدُ أَنَّ عَظْمَيْ عَضُدِهِ وساعِدِهِ قَدِ انْدَمَجا وهَكَذا صِفَةُ الأَسَد ، والضَّارِي : المُعَوَّدُ الصَّيْد ، وتَكَفَّأَ : تَمايَلَ فِي مِشْيَتِهِ ، عَتَدًا : العَتَدُ مِنَ الرِّجال : الشَّدِيدُ التَّامُّ الخَلْق .

أَلَذُّ مِنْ ضَرْبٍ وَمِنْ ضَارِبِ
وَمِنْ غَزَالٍ كَاعِبٍ نَادِبِ
وَمِنْ طِرَادِ الْخَيْلِ فِي مَشْعَبِ
وَلاعِبٍ يَلْعَبُ مَعْ لاعِبِ
أَلَذُّ مِنْ هَذَا وَهَذَا وَذَا
حُبُّ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبِ

ذِكْرُ خَصائِصِ الإمام عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

الخَصِيصَةُ الأُولَى : شُهْرَةُ اخْتِصاصِهِ بِلَقَبِ الإمام :

خُصَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ بَيْنَ جَمِيعِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِلَقَبِ الإِمامِ ، وهَذا اللَّقَبُ إِذا أُطْلِقَ لا يَنْصَرِفُ إِلَى أَحَدٍ غَيْرِهِ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ حُكَّامِ المُسْلِمِين .

وما سَبَبُ ذَلِكَ ؟ أَلَمْ يَكُنِ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِمامًا كَعَلِيٍّ ، وأَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِمامًا كَعَلِيٍّ ، وأَلَمْ يَكُنْ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِمامًا كَعَلِيٍّ ، أَلَمْ يَكُونُوا خُلَفاءَ راشِدِينَ إِذا قُصِدَتِ الخِلافَةُ الرَّاشِدَةُ بَعْدَ النُّبُوَّة ؟

نَعَمْ ، كانُوا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَئِمَّةً مِثْلَهُ وسَبَقُوهُ فِي الإِمامَة .

والجَوابُ عَنْ ذَلِكَ : أَنَّ الإِمامَةَ يَوْمَئِذٍ كانَتْ وَحْدَها فِي مَيْدانِ الحُكْمِ بِغَيْرِ مُنازِعٍ ولا شَرِيك ، ولَمْ يُكْتَبْ لأَحَدٍ مِنْهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنْ يَحْمِلَ عَلَمَ الإِمامَةِ لِيُناضِلَ بِهِ عَلَمَ الدَّوْلَةِ الدُّنْيَوِيَّة ، ولا أَنْ يَتَحَيَّزَ بِعَسْكَرٍ يُقابِلُهُ عَسْكَرٌ وصِفَةٌ تُناوِئُها صِفَةٌ ، ولا أَنْ يُصْبِحَ رَمْزًا لِلخِلافَةِ يَقْتَرِنُ بِها ولا يَقْتَرِنُ بِشَيْءٍ غَيْرِها ، وكُلُّهُمْ إِمامٌ حَيْثُ لا اشْتِباهَ ولا الْتِباسَ ، ولَكِنَّ الإِمامَ بِغَيْرِ تَعْقِيبٍ ولا تَذْيِيلٍ هُوَ الإِمامُ كُلَّما وَقَعَ الاشْتِباهُ والالْتِباس ؛

وذَلِكَ هُوَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب كَما لَقَّبَهُ النَّاس ، وجَرَى لَقَبُه عَلَى الأَلْسِنَةِ فَعَرَفَهُ بِهِ الطِّفْلُ وهُوَ يَسْمَعُ أَمادِيحَهُ المَنْغُومَةَ فِي الطُّرُقاتِ بِغَيْرِ حاجَةٍ إِلَى تَسْمِيَةٍ أَوْ تَعْرِيف .

الخَصِيصَةُ الثَّانِيَةُ : الإِمامُ عَلِيٌّ لا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنافِق :

قالَ الإِمامُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : والَّذِي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ إِلَيَّ : أَنْ لا يُحِبَّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنافِق[1] ، وفِي رِوايَةٍ عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالَتْ : كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (لا يُحِبُّ عَلِيًّا مُنافِقٌ ولا يُبْغِضُهُ مُؤْمِنٌ) .

وحُبُّ آلِ بَيْتِ الإمامِ عَلِيٍّ وهُوَ آلُ بَيْتِ النَّبِيِّ ﷺ لازِمَةٌ مِنْ لَوازِمِ الإِيمان ، ومِمَّا قِيلَ واشْتُهِرَ فِي حُبِّ أَهْلِ البَيْتِ عَلَى أَلْسِنَةِ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ البِلاد ، ما قالَهُ عالِمُ قُرَيْشٍ الَّذِي مَلَأَ طِباقَ الأَرْضِ عِلْمًا الإِمامُ الشَّافِعِيُّ رضي الله عنه :

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللهِ حُبُّكُمُ ۞ فَرْضٌ مِنَ اللهِ فِي القُرْآنِ أَنْزَلَهُ
يَكْفِيكُمُ مِنْ عَظِيمِ القَدْرِ أَنَّكُمُ ۞ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لا صَلاةَ لَهُ

وهُوَ إِشارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِم ، وسُنَنُ النَّسائِي وابنِ ماجَه والتِّرْمِذِي ومُسْنَد أَحْمَد وصَحِيحُ ابنِ حِبَّان .

فِي ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ (١) .

الخَصِيصَةُ الثَّالِثَةُ : الإمامُ عَلِيٌّ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَة :

قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ ، اللهُمَّ والِ مَنْ والاهُ ، وعادِ مَنْ عاداهُ وأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ ، وأَبْغِضْ مَنْ أَبْغَضَهُ ، وانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ ، واخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ ، وأَدِرِ الحَقَّ حَيْثُ دارَ) (٢) .

قالَ أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّة : إِنَّ المُرادَ مِنَ الحَدِيثِ التَّنْصِيصُ عَلَى مُوالاةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، واجْتِنابِ بُغْضِهِ ؛ لأَنَّ التَّنْصِيصَ عَلَى ذَلِكَ أَوْفَى بِمَزِيدِ شَرَفِهِ ، فالمُوالاةُ تَكُونُ بِالمَحَبَّةِ والاتِّباعِ والقُرْبِ مِنْهُ ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ (٣) .

وهَذا المَعْنَى هُوَ الَّذي فَهِمَهُ مِنَ الحَدِيثِ أَكابِرُ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم ، مِنْهُمْ سَيِّدُنا أَبو بَكْرٍ وسَيِّدُنا عُمَرُ رضي الله عنهما ، وناهِيكَ بِهِما فَإِنَّهُما لَمَّا سَمِعاهُ قالا لَهُ : (أَمْسَيْتَ يا ابنَ أَبِي طالِب مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَة) كَما رَواهُ الدَّارَقُطْنِي ورُوِيَ أَيْضًا أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ رضي الله عنه : إِنَّكَ تَصْنَعُ بِعَلِيٍّ شَيْئًا

---

(١) سُورَةُ الشُّورَى : الآيَة ٢٣ .

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَد ، والهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِد ، وابنُ كَثِير فِي البِدايَةِ والنِّهايَة .

(٣) سُورَةُ آل عِمْران : مِنَ الآيَة ٦٨ .

(يَعْنِي مِنَ التَّعْظِيم) لا تَصْنَعُهُ بِأَحَدٍ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَقالَ : إِنَّهُ مَوْلايَ .

فَلَيْسَ قَوْلُهُ ﷺ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ) نَصًّا عَلَى الإمامَة ، وكَيْفَ يَكُونُ نَصًّا ولَمْ يَحْتَجَّ بِهِ عَلِيٌّ ولا العَبَّاسُ رضي الله عنهما ولا غَيْرُهُما فِي خِلافَةِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ رضي الله عنهم لانْعِقادِ الإِجْماعِ حَتَّى مِنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَلَى حَقِّيَّةِ خِلافَتِهِمْ ؟

فَسُكُوتُ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ الاحْتِجاجِ بِهِ قاضٍ عَلَى مَنْ عِنْدَهُ أَدْنَى فَهْمٍ وعَقْلٍ بِأَنَّ الحَدِيثَ المَذْكُورَ لَيْسَ نَصًّا عَلَى تَقْدِيمِهِ عَلَيْهِمْ فِي الخِلافَة ، وقاضٍ بِحَقِّيَّةِ الخُلَفاءِ الثَّلاثَةِ مَعَ ما تَواتَرَ عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه مِنَ الاعْتِرافِ بِذَلِكَ كَما تَقَدَّمَ .

ويُؤَيِّدُ ذَلِكَ ما أَخْرَجَهُ أَبو نُعَيْم عَنِ الحَسَنِ المُثَنَّى بن الحَسَنِ السِّبْطِ رضي الله عنهما أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : إِنَّ قَوْلَهُ ﷺ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ) نَصٌّ فِي إِمامَةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه ؟

فَقالَ : أَما واللهِ لَوْ يَعْنِي النَّبِيُّ ﷺ بِذَلِكَ الإِمارَةَ والسُّلْطانَ لأَفْصَحَ لَهُمْ بِهِ ؛ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كانَ أَنْصَحَ النَّاسِ لِلمُسْلِمِينَ ولَقالَ لَهُمْ : يا أَيُّها النَّاسُ هَذا وَلِيُّ أَمْرِي والقائِمُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي فاسْمَعُوا لَهُ

وأَطِيعُوا ، ولَكِنْ ما كانَ مِنْ هَذا شَيْءٌ ، فَواللَّهِ لَئِنْ كانَ اللَّهُ ورَسُولُهُ اخْتارا عَلِيًّا لِهَذا الأَمْرِ والقِيامِ بِهِ للمُسْلِمِينَ مِنْ بَعْدِهِ ، ثُمَّ تَرَكَ عَلِيٌّ أَمْرَ اللَّهِ ورَسُولِهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ أَوْ يُعْذِرَ فِيهِ للمُسْلِمِينَ لَكانَ أَعْظَمَ النَّاسِ خَطِيئَةً إذا تَرَكَ أَمْرَ اللَّهِ ورَسُولِهِ ، وحاشاهُ مِنْ ذَلِك .

• وقَدِ اخْتَلَقَتِ الرَّافِضَةُ أَحادِيثَ وكُلُّها كَذِبٌ وزُورٌ لِيَسْتَدِلُّوا بها عَلَى صِحَّةِ مَذْهَبِهِمْ ؛ مِنْها أَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه : (أَنْتَ أَخِي ووَصِيِّي وخَلِيفَتِي)[1] ، وأَنَّهُ قالَ للصَّحابَةِ : (سَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِإِمْرَةِ النَّاس) ، وأَمْثالُ هَذِهِ الأَلْفاظِ وكُلُّها كَذِبٌ باطِلَةٌ مَوْضُوعَةٌ مُفْتَراةٌ عَلَيْهِ ﷺ .

وأَئِمَّةُ الحَدِيثِ كُلُّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّها مَحْضُ كَذِبٍ وافْتِراء ، فَإِنْ زَعَمَ هَؤُلاءِ الكَذَبَةُ أَنَّ هَذِهِ الأَحادِيثَ صَحَّتْ عِنْدَهُمْ ، قُلْنا لَهُمْ : هَذا مُحالٌ فِي العادَة ؛ إِذْ كَيْفَ تَنْفَرِدُونَ بِعِلْمِ صِحَّةِ ذَلِكَ مَعَ أَنَّكُمْ لَمْ تَتَّصِفُوا قَطُّ بِرِوايَةٍ ولا صُحْبَةِ مُحَدِّثٍ ؟!

فَكَيْفَ تَعْلَمُونَ ذَلِكَ ويَجْهَلُهُ مَهَرَةُ الحَدِيثِ وسُبَّاقُهُ الَّذِينَ أَفْنَوا أَعْمارَهُمْ فِي الأَسْفارِ البَعِيدَةِ لِتَحْصِيلِهِ ، وبَذَلُوا جُهْدَهُمْ فِي طَلَبِهِ حَتَّى جَمَعُوا

---

(١) حَدِيثٌ مَوْضُوعٌ كَما قالَ ابنُ الجَوْزِي فِي العِلَلِ المُتَناهِيَة .

الأَحادِيثَ ، ونَقَّبُوا عَنْها ، وعَلِمُوا صَحِيحَها مِنْ سَقِيمِها ، ودَوَّنُوها فِي كُتُبِهِمْ عَلَى غايَةِ الاسْتِيعابِ ونِهايَةِ التَّحْرِير ، وعَرَفُوا الأَحادِيث المَوْضُوعَةَ وواضِعَ كُلِّ حَدِيث ، وسَبَبَ وَضْعِهِ الحامِلَ لِواضِعِهِ عَلَى الكَذِبِ والافْتِراءِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ، فَجَزاهُمُ اللّهُ خَيْرَ الجَزاءِ وأَكْمَلَهُ ؛ إِذْ لَوْلا حُسْنُ صَنِيعِهِمْ هَذا لاسْتَوْلَى المُبْطِلُونَ والمُتَمَرِّدَةُ المُفْسِدُونَ عَلَى الدِّينِ وغَيَّرُوا مَعالِمَهُ ، وخَلَطُوا الحَقَّ بِكَذِبِهِمْ حَتَّى لَمْ يَتَمَيَّزْ عَنْهُ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا ضَلالًا مُبِينًا ، لَكِنْ لَمَّا حَفِظَ اللّهُ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ شَرِيعَتَهُ مِنَ الزَّيْغِ والتَّبْدِيلِ والتَّحْرِيف ، جَعَلَ مِنْ أَكابِرِ أُمَّتِهِ فِي كُلِّ عَصْرٍ طائِفَةً عَلَى الحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، فَلَمْ يُبالِ الدِّينُ بِهَؤُلاءِ الكَذَبَةِ البَطَلَةِ الجَهَلَة ، ومِنْ ثَمَّ قالَ ﷺ : (تَرَكْتُكُمْ عَلَى الواضِحَةِ البَيْضاءِ لَيْلُها كَنَهارِها ونَهارُها كَلَيْلِها ، لا يَزِيغُ عَنْها إِلَّا هالِك)[1] .

۞ قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ : (أَما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي)[2] .

---

(١) أَخْرَجَهُ الزَّبِيدِي فِي إِتْحافِ السَّادَةِ المُتَّقِين .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ فِي صَحِيحِهِ ، ومُسْلِمٌ فِي صَحِيحِه ، والتِّرْمِذِي فِي سُنَنِه ، وأَحْمَدُ فِي المُسْنَد ، والبَيْهَقِي فِي السُّنَن الكُبْرَى والحاكِم فِي المُسْتَدْرَك .

وسَبَبُ هَذا الحَديثِ أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لَمَّا أَرادَ غَزْوَةَ تَبُوكَ خَلَّفَ عَلِيًّا رضي الله عنه وقالُوا : ما خَلَفَهُ إلَّا اسْتِثْقالًا ، فَأَخَذَ عَلِيٌّ رضي الله عنه سِلاحَهُ ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وهُوَ نازِلٌ بالجُرْفِ (وهُوَ مَوْضِعٌ عَلى ثَلاثَةِ أَمْيالٍ مِنَ المَدِينَةِ) ، فَقالَ : يا نَبِيَّ اللَّه ، زَعِمَ المُنافِقُونَ أَنَّكَ إنَّما خَلَّفْتَنِي لأَنَّكَ اسْتَثْقَلْتَنِي وتَخَفَّفْتَ مِنِّي .

وفِي رِوايَةٍ ، قالَ : أَتُخَلِّفُنِي فِي النِّساءِ والصِّبْيان ؟

فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (كَذَبُوا ولَكِنِّي خَلَّفْتُكَ لِما تَرَكْتُ وَرائِي ، فارْجِعْ فاخْلُفْنِي فِي أَهْلِي وأَهْلِكَ ، أَما تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى إلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي ؟)[1] .

فَقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : رَضِيتُ رَضِيتُ .

فالخِلافَةُ فِي الأَهْلِ فِي الحَياةِ لا تَقْتَضِي الخِلافَةَ فِي الأُمَّةِ بَعْدَ الوَفاةِ ، ولَوْ كانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ لاحْتَجَّ بِهِ الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه ، ولَمْ يَحْصُلْ ذَلِكَ مِنْهُ قَطُّ ، مَعَ أَنَّ القِياسَ يَنْتَقِضُ بِمَوْتِ هارُونَ المَقِيسِ عَلَيْهِ قَبْلَ مَوْتِ مُوسَى عَلَيْهِما السَّلامُ ، وإنَّما كانَ خَلِيفَتَهُ عَلى قَوْمِهِ فِي أَمْرٍ خاصٍّ ؛ لَمَّا ذَهَبَ لِلمُناجاةِ تَرَكَ هارُونَ عليه السلام خَلِيفَةً عَلى قَوْمِهِ ،

---

(١) أَوْرَدَهُ القُرْطُبِي فِي الجامِعِ لأَحْكامِ القُرْآن ، والبَيْهَقِي فِي دَلائِلِ النُّبُوَّة ، وابنُ كَثِير فِي البِدايَة والنِّهايَة ، وابنُ عَساكِر فِي تَهْذِيب تارِيخ دِمَشْق .

وقالَ لَهُ : ﴿ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي﴾ [1] ، فَكَذَلِك هَهُنا وأَمَّا خَلِيفَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعْدَ وَفاتِهِ فإِنَّما هُوَ يُوشَعُ بنُ نُون ، فَلَمَّا كانَ هارُونُ المُشَبَّهُ بِهِ إِنَّما كانَ خَلِيفَةً فِي حَياةِ مُوسَى دَلَّ ذَلِكَ عَلَى تَخْصِيص خِلافَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَياتِهِ فِي مُدَّةِ غَيْبَتِهِ فِي غَزْوَةِ تَبُوك ؛ فالحَدِيثُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ الصَّادِقِ يَدُلُّ لِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ لا كَما تَدَّعِي الشِّيعَة .

ومِمَّا يُعَيِّنُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَعَلَهُ خَلِيفَةً عَلَى أَهْلِهِ أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَخْلَفَ عَلَى المَدِينَةِ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ مُحَمَّدَ بنَ مَسْلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ولَئِنْ سُلِّمَ أَنَّهُ اسْتَخْلَفَهُ عَلَى المَدِينَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ لا يَسْتَلْزِمُ أَوْلَوِيَّتَهُ للخِلافَةِ بَعْدَهُ مِنْ كُلِّ مُعاصِرِيه ، وقَدِ اسْتَخْلَفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى المَدِينَةِ مِرارًا كَثِيرًا مِنْ أَصْحابِهِ مِنْهُمْ ابنُ أُمِّ مَكْتُوم ، فَلَمْ يَلْزَمْ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَنَّهُ أَوْلَى بِالخِلافَةِ بَعْدَهُ .

ومِمَّا يُؤَيِّدُ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي هَذا الحَدِيثِ أَنَّ سِياقَ هَذا القَوْلِ خَبَرٌ ، ولَوْ كانَ المُرادُ بِهِ الإِخْبارَ بِما سَيَقَعُ بَعْدَ الوَفاةِ لَوَقَعَ لا مَحالَةَ كَما وَقَعَ كُلُّ ما أَخْبَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ وُقُوعِهِ ؛ فَإِنَّ خَبَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ وصِدْقٌ : ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [2] ، فَلَمَّا لَمْ يَقَعْ ، عُلِمَ قَطْعًا أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُرِدْ حُصُولَ ذَلِكَ بَعْدَ الوَفاة .

---

(١) سُورَةُ الأَعْراف : مِنَ الآيَة ١٤٢ .

(٢) سُورَةُ النَّجْم : الآيتان ٣ ، ٤ .

أَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي وابنُ عَساكِر والذَّهَبِي وغَيْرُهُمْ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنين عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا وَقَفَ بِالبَصْرَةِ قامَ إِلَيْهِ رَجُلانِ فَقالا لَهُ : أَخْبِرْنا عَنْ مَسِيرِكَ هَذا الَّذي سِرْتَ فِيهِ لِتَتَوَلَّى عَلى هَذا الأَمْرِ أَوْ عَلَى الأُمَّةِ تَضْرِبُ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ، أَعَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهِدَهُ إِلَيْكَ ؟ فَحَدِّثْنا فَأَنْتَ المَوْثُوقُ بِهِ ، والمَأْمُونُ عَلَى ما سَمِعْتَ .

فَقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَمَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدِي عَهْدٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَهِدَهُ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ فَلا ، واللهِ لَئِنْ كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ صَدَّقَهُ فَلا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ ، ولَوْ كانَ عِنْدِي مِنْ عَهْدٍ فِي ذَلِكَ ما تَرَكْتُ أَخا بَنِي تَيْم ابنِ مُرَّة ، وعُمَرَ بنَ الخَطَّابِ يَثِبانِ عَلَى مِنْبَرِهِ ، ولَقاتَلْتُهُما بِيَدَيَّ ولَوْ لَمْ أَجِدْ إِلَّا بُرْدَتِي هَذِهِ ، ولَكِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُقْتَلْ قَتْلًا ، ولَمْ يَمُتْ فَجْأَةً ، مَكَثَ فِي مَرَضِهِ أَيَّامًا ولَيالِيَ يَأْتِيهِ المُؤَذِّنُ (أَوْ قالَ بِلالٌ) يُؤْذِنُهُ بِالصَّلاةِ فَيَأْمُرُ أَبا بَكْرٍ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ وهُوَ يَرَى مَكانِي ، ولَقَدْ أَرادَتِ امْرَأَةٌ مِنْ نِسائِهِ تَصْرِفُهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَأَبَى وغَضِبَ ، وقالَ : (أَنْتُنَّ صَواحِبُ يُوسُفَ ، مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاس)[1] ،

---

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي ، والتِّرْمِذِي .

فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ نَظَرْنا فِي أُمُورِنا فاخْتَرْنا لِدُنْيانا مَنْ رَضِيَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِدِينِنا ، وكانَتِ الصَّلاةُ أَعْظَمَ الإِسْلام وقَوامَ الدِّينِ فَبايَعْنا أَبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكانَ لِذَلِكَ أَهْلًا ، لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنَّا اثْنان ، فَأَدَّيْتُ إِلَى أَبِي بَكْرٍ حَقَّهُ وعَرَفْتُ طاعَتَهُ وغَزَوْتُ مَعَهُ فِي جُنُودِهِ ، وكُنْتُ آخُذُ إِذا أَعْطانِي ، وأَغْزُو إِذا أَغْزانِي ، وأَضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الحُدُودِ بِسَوْطِي ، فَلَمَّا قُبِضَ وَلَّاها عُمَرَ فَأَخَذَها بِسُنَّةِ صاحِبِهِ ، وما يَعْرِفُ مِنْ أَمْرِهِ ، فَبايَعْنا عُمَرَ لَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنَّا اثْنانِ فَأَدَّيْتُ لَهُ حَقَّهُ ، وعَرَفْتُ لَهُ طاعَتَهُ ، وكُنْتُ آخُذُ إِذا أَعْطانِي ، وأَغْزُو إِذا أَغْزانِي ، وأَضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الحُدُودِ بِسَوْطِي ، فَلَمَّا قُبِضَ تَذَكَّرْتُ فِي نَفْسِي قَرابَتِي وفَضْلِي وأَنا أَظُنُّ أَنْ لا يَعْدِلَ بِي ، ولَكِنْ خَشِيَ أَنْ لا يَعْمَلَ الخَلِيفَةُ بَعْدَهُ شَيْئًا إِلَّا لَحِقَهُ فِي قَبْرِهِ فَأَخْرَجَ مِنْها نَفْسَهُ ووَلَدَهُ ، ولَوْ كانَتْ مُحاباةً لآثَرَ وَلَدَهُ بِها ، وبَرِئَ مِنْها لِرَهْطٍ أَنا أَحَدُهُمْ ، وظَنَنْتُ أَنْ لا يُعْدَلَ بِي ، فَأَخَذَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ عَوْفٍ مَواثِيقَنا عَلَى أَنْ نَسْمَعَ ونُطِيعَ لِمَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَنا ثُمَّ بايَعَ عُثْمانَ ، فَنَظَرْتُ فَإِذا طاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي ، وإِذا مِيثاقِي قَدْ أُخِذَ لِغَيْرِي ، فَبايَعْنا عُثْمانَ فَأَدَّيْتُ لَهُ حَقَّهُ ، وعَرَفْتُ لَهُ طاعَتَهُ ، وكُنْتُ آخُذُ إِذا أَعْطانِي ، وأَغْزُو إِذا

أَغْزانِي ، وأَضْرِبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي الحُدُودِ بسَوْطِي ، فَلَمَّا أُصِيبَ عُثْمانُ نَظَرْتُ فَإِذا الخَلِيفَتانِ اللَّذانِ أَخَذاها بعَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إليْهما بالصَّلاةِ قَدْ مَضَيا ، وهَذا الَّذي أُخِذَ لَهُ مِيثاقِي قَدْ أُصِيبَ ، فَبايَعَنِي أَهْلُ الحَرَمَيْنِ وأَهْلُ هَذَيْنِ المِصْرَيْنِ (يَعْنِي الكُوفَةَ والبَصْرَةَ) ، فَوَثَبَ فِيها مَنْ لَيْسَ مِثْلِي ، ولا قَرابَتُهُ كَقَرابَتِي ، ولا عِلْمُهُ كَعِلْمِي ، ولا سابِقَتُهُ كَسابِقَتِي ، وكُنْتُ أَحَقَّ بها مِنْهُ (يَعْنِي مُعاوِيَة) .

الخَصِيصَةُ الرَّابِعَةُ : الإِمامُ عَلِيٌّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِما السَّلام :

لَقَدِ اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ الصَّحابَةِ عَلَى المَدِينَةِ مِثْلَ كُلْثُوم بنِ حُصَيْن وغَيْرِهِ رضي الله عنهم ، إِلَّا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْ لأَحَدٍ مِنْهُمْ غَيْرَ الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه إِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى عَلَيْهِما السَّلام .

الخَصِيصَةُ الخامِسَةُ : الإِمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَخُو النَّبِيِّ ﷺ وصاحِبُهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة :

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ : لَمَّا خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ خَرَجَ عَلِيٌّ بابْنَةِ حَمْزَةَ ، فاخْتَصَمَ فِيها عَلِيٌّ وجَعْفَرٌ وزَيْدٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقالَ عَلِيٌّ : ابْنَةُ عَمِّي وأَنا أَخْرَجْتُها ، وقالَ جَعْفَرٌ : ابْنَةُ عَمِّي وخالَتُها

عِنْدِي ، وقالَ زَيْدٌ : ابْنَةُ أَخِي ، وكانَ زَيْدٌ مُؤاخِيًا لِحَمْزَةَ آخَى بَيْنَهُما رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِزَيْد : (أَنْتَ مَوْلايَ ومَوْلاها) ، وقالَ لِعَلِيٍّ : (أَنْتَ أَخِي وصاحِبِي)[1] .

وعَنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنه قالَ : آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنَ أَصْحابِهِ ، فَجاءَ عَلِيٌّ تَدْمَعُ عَيْناهُ ، فَقالَ : يا رَسُولَ الله ، آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحابِكَ ولَمْ تُؤاخِ بَيْنِي وبَيْنَ أَحَدٍ ، فَقالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ)[2] .

الخَصِيصَةُ السَّادِسَةُ : الإِمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه سَيِّدُ العَرَب :

عَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : (أَنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ وعَلِيٌّ سَيِّدُ العَرَب) .

السِّيادَةُ فِي الدُّنْيا هِيَ الهَيْمَنَةُ والسَّيْطَرَةُ والكَلِمَةُ النَّافِذَةُ وحُرِّيَّةُ التَّصَرُّف ، وفِي الدِّينِ هِيَ قِمَّةُ الإِيمانِ وتَمامُ الرُّسُوخِ فِي العِلْمِ بِاللهِ تَعالَى .

الخَصِيصَةُ السَّابِعَةُ : الإِمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه

يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ ، يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ :

عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا

---

(١) مُسْنَدُ الإِمامِ أَحْمَد ، ودَلائِلُ النُّبُوَّة للبَيْهَقِي . (٢) سُنَنُ التِّرْمِذِي والحاكِمُ فِي المُسْتَدْرَك .

يَفْتَحُ اللّٰهُ عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ اللّٰهَ ورَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللّٰهُ ورَسُولُه) ، قالَ : فَباتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطاها ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطاها فقالَ ﷺ : (أَيْنَ عَلِيُّ ابنُ أَبي طالِب ؟) ، فَقالُوا : يَشْكُو عَيْنَيْهِ يا رَسُولَ اللّٰه ، قالَ ﷺ : (فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ) فَلَمَّا جاءَ بَصَقَ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ ودَعا لَهُ فَبَرِئَ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطاهُ الرَّايَةَ [1].

وذَلِكَ يَوْمُ خَيْبَر ؛ حَيْثُ كانَ الفَتْحُ عَلَى يَدَيْ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وفِيهِ مِنَ الفَضائِلِ الَّتي لا تُحْصَى إِخْبارُ مَنْ لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى أَنَّ عَلِيًّا يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللّٰهُ ورَسُولُهُ ، وهَذِهِ فَضِيلَةٌ تَتَضاءَلُ عَنْها الفَضائِلُ فَإِنَّها جُمْلَةٌ تَحْتَها جُمَلٌ يَعْجَزُ عَنْ تَفاصِيلِها لِسانُ كُلِّ قائِلٍ ؛ فَإِنَّ الإِخْبارَ بِأَنَّهُ رضي الله عنه يُحِبُّ اللّٰهَ أَفادَ أَنَّهُ قَدِ اتَّبَعَ رَسُولَهُ ، فَإِنَّهُ مَنْ أَحَبَّ اللّٰهَ فَقَدِ اتَّبَعَ رَسُولَهُ المُتابَعَةَ الَّتي عَلَّقَ اللّٰهُ مَحَبَّتَهُ عَلَيْها فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ ، ومَنْ أَحَبَّ اللّٰهَ فَقَدْ كَمُلَ إِيمانُهُ لِما فِي حَدِيثِ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه مِنْ قَوْلِهِ ﷺ : (والَّذي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

ووالِده)[١] ، فَإِخْبارُهُ ﷺ بِأَنَّ سَيِّدَنا عَلِيًّا رضي الله عنه يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ قَدْ أَفادَ أَنَّهُ اتَّبَعَ رَسُولَهُ وأَفادَ أَنَّهُ كَمُلَ إِيمانُهُ وأَفادَ أَنَّهُ يُحْشَرُ مَعَ رَسُولِهِ ﷺ لِما ثَبَتَ أَنَّهُ (يُحْشَرُ المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) ، وأَفادَ أَنَّهُ ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ فَإِنَّهُ عَلَّقَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أَطاعَ اللهَ وَرَسُولَهُ ، والاتِّباعُ هُوَ الطَّاعَةُ ، وأَفادَ ما لا يَأْتِي عَلَيْهِ التَّعْدادُ ، كَما إِنَّ الإِخْبارَ بِأَنَّهُ رضي الله عنه يُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ جُمْلَةٌ تَحْتَها أَسْفارٌ مِنَ التَّفْصِيلِ ، وَمَسائِلُ لا يُحِيطُ لِسانُ القَلَمِ لَها بِتَفْصِيلٍ ؛ فَإِنَّها أَفادَتْ أَنَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ وأَفادَتْ أَنَّهُ مِنَ المُحْسِنِينَ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ ، وأَفادَتْ أَنَّهُ مِنَ الصَّابِرِين : ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ ، وأَفادَتْ أَنَّهُ مِنَ التَّوابِينَ : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ ، وأَنَّهُ مِنَ المُتَطَهِّرِينَ : ﴿وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ .

وكُلُّ فَضِيلَةٍ أَخْبَرَنا الرَّبُّ جَلَّ جَلالُهُ أَنَّهُ يُحِبُّ المُتَّصِفَ بِها قَدْ دَخَلَ تَحْتَ الاتِّصافِ بِها دُخُولاً أَوَّلِيًّا ؛ لأَنَّ الصَّادِقَ المَصْدُوقَ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ أَنَّ اللهَ يُحِبُّ عَلِيًّا ، وأَطْلَقَ الفِعْلَ عَنِ التَّقْيِيدِ بِسَبَبِ المَحَبَّةِ فَهُوَ صادِقٌ

(١) أَخْرَجَهُ البُخارِي وأَحْمَدُ وأَبو داوُود ، وعِنْدَ غَيْرِهِمْ : (لا يَكْمُلُ إِيمانُ أَحَدِكُمْ) .

عَلَى مُتَعَلَّقاتِهِ كُلِّها ، كَما أَفادَتْ أَيْضًا نَفْيَ كُلِّ رَذِيلَةٍ لا يُحِبُّ اللّٰهُ المُتَّصِفَ بِها كالظُّلْم ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ ، وكالاخْتِيالِ والفَخْرِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ ، وغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا لا يَأْتِي عَلَيْهِ العَدُّ ، ولَوْ أُفْرِدَتْ هاتانِ الكَلِمَتانِ بِتَأْلِيفٍ لَجاءَ بَسِيطًا نَفِيسًا ، كَما أَفادَتْ أَنَّ المَلائِكَةَ تُحِبُّهُ لِحَدِيث : (إِذا أَحَبَّ اللّٰهُ عَبْدًا قَذَفَ حُبَّهُ فِي قُلُوبِ المَلائِكَةِ)[1] .

كَما أَفادَتْ أَنَّ اللّٰهَ يَحْمِيهِ مِنَ الدُّنْيا لِحَدِيث : (إِذا أَحَبَّ اللّٰهُ عَبْدًا حَماهُ مِنَ الدُّنْيا كَما يَحْمِي أَحَدُكُمْ سَقِيمَهُ الماءَ)[2] ، كَما أَفادَتْ أَنَّهُ يُنادَى فِي السَّماءِ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ فُلانًا فَيُلْقَى لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ كَما أَخْرَجَهُ الشَّيْخانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ سَيِّدِنا رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم : (إِذا أَحَبَّ اللّٰهُ عَبْدًا نادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُنادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّماءِ إِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّماءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ) .

ومِنْ هُنا يَظْهَرُ سِرُّ الإِخْبارِ مِنَ الصَّادِقِ صلى الله عليه وسلم : (إِنَّهُ لا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنافِق) ؛ لأَنَّ المُؤْمِنِينَ هُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ما أَحَبَّ اللّٰهُ

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو نُعَيْم فِي الحِلْيَة مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنا أَنَس رضي الله عنه .
(٢) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيّ ومالِكٌ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنا قَتادَة رضي الله عنه .

ورَسُولُهُ ومَلائِكَتُهُ ، فَيا للهِ تَعالَى هاتانِ الجُمْلَتانِ ما اشْتَمَلَتا علَيْهِ مِنَ الاتِّصافِ بِالفَضائِل ، وما أَفادَتاهُ مِنْ طَهارَتِهِ رضي الله عنه مِنَ الرَّذائِل ، ولا غَرْوَ فَهِيَ مِنْ تَحْتِ شَفَةِ مَنْ لا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى ، ومِنْ لِسانِ مَنْ أُوتِيَ جَوامِعَ الكَلِم صلى الله عليه وسلم .

الخَصِيصَةُ الثَّامِنَةُ : الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه بابُ مَدِينَةِ العِلْم :

عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قالَ : (أَنا مَدِينَةُ العِلْمِ وعَلِيٌّ بابُها ، فَمَنْ أَرادَ العِلْمَ فَلْيَأْتِها مِنْ بابِها)[1] .

ورَحِمَ اللّهُ العَلَّامَةَ مُحَمَّدَ بنَ إِسْماعِيلَ الأَمِير ، فِي قَوْلِهِ :

كُلُّ عِلْـمٍ فَـإِلَـيْهِ مُسْـنَدٌ ❁ سَنَدًا عِنْدَ ذَوِي الْعِلْمِ عَلِيًّا

إِشارَةً إِلَى أَنَّ العُلُومَ كُلَّها إِلَيْهِ تُسْنَدُ ، ومِنْ بَحْرِهِ العَذْبِ تُسْتَمَدُّ ؛ قالَ العَلَّامَةُ عَبْدُ الحَمِيدِ بنُ أَبِي الحَدِيدِ فِي دِيباجِ شَرْحِ النَّهْجِ ما لَفْظُهُ : قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ أَشْرَفَ العُلُومِ هُوَ العِلْمُ الإِلَهِي لأَنَّ شَرَفَ العِلْمِ شَرُفَ بِشَرَفِ المَعْلُومِ ومَعْلُومُهُ أَشْرَفُ المَوْجُوداتِ فَكانَ هُوَ أَشْرَفَ العُلُوم ، ومِنْ كَلامِ عَلِيٍّ عليه السلام اقْتُبِسَ ، وعَنْهُ نُقِلَ ، وإِلَيْهِ انْتَهَى ، ومِنْهُ ابْتَدَأَ فَإِنَّ المُعْتَزِلَةَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ التَّوْحِيدِ وأَرْبابُ النَّظَرِ ومِنْهُمْ تَعَلَّمَ النَّاسُ

---

(١) صَحِيحُ مُسْلِم .

هَذا الفَنَّ مِنْ تَلامِذَتِهِ ؛ لأَنَّ كَبيرَهُمْ واصِلُ بنُ عَطاء تِلْميذُ أَبي هاشِم عَبْدِ اللّهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّة ، وأَبو هاشِم تِلْميذُ أَبيهِ وأَبُوهُ تِلْميذُ عَلِيٍّ عليه السلام ، وأَمَّا الأَشْعَرِيَّةُ فَإِنَّهُمْ يَنْتَهُونَ إِلَى أَبي الحَسَنِ عَلِيِّ بنِ أَبي بِشْرٍ الأَشْعَرِي وهُوَ تِلْميذُ أَبي عَلِي الجبائِي وأَبُو عَلِي أَحَدُ مَشايِخِ المُعْتَزِلَة ، فالأَشْعَرِيَّةُ يَنْتَهُونَ بِالآخِرَةِ إِلَى أُسْتاذِ المُعْتَزِلَةِ ومُعَلِّمِهِمْ عَلِيِّ بنِ أَبي طالِب ، وأَمَّا الإِمامِيَّةُ والزَّيْدِيَّةُ فانْتِهاؤُهُمْ إِلَيْهِ ظاهِر .

ومِنَ العُلُوم عِلْمُ الفِقْهِ وعَلِيٌّ رضي الله عنه أَصْلُهُ وأَساسُهُ ، وكُلُّ فَقيهٍ فِي الإِسْلام فَهُوَ عِيالٌ عَلَيْهِ ومُسْتَفيدٌ مِنْ فِقْهِهِ ؛ أَمَّا أَصْحابُ أَبي حَنيفَةَ رَحِمَهُ اللّهُ كَأَبي يُوسُفَ ومُحَمَّدِ بنِ أَبي الحَسَنِ وغَيْرِهِما فَأَخَذُوا عَلَى أَبي حَنيفَةَ رَحِمَهُ اللّه ، وأَمَّا الإِمامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللّهُ فَقَرَأَ عَلَى مُحَمَّدِ بنِ أَبي الحَسَنِ فَرَجَعَ فِقْهُهُ أَيْضًا إِلَى الإِمام أَبي حَنيفَة ، وأَمَّا الإِمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل رَحِمَهُ اللّهُ فَقَرَأَ عَلَى الإِمام الشَّافِعِيِّ فَرَجَعَ فِقْهُهُ أَيْضًا إِلَى الإِمام أَبي حَنيفَة ، والإِمامُ أَبُو حَنيفَةَ قَرَأَ عَلَى الإِمام جَعْفَر الصَّادِق بنِ مُحَمَّد الباقِر ، وجَعْفَرٌ قَرَأَ عَلَى أَبيهِ ويَنْتَهي الأَمْرُ إِلَى الإِمام عَلِيٍّ عليه السلام ، وأَمَّا الإِمامُ مالِكُ بنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللّهُ فَقَرَأَ عَلَى رَبيعَةِ الرَّأْي وقَرَأَ رَبيعَةُ عَلَى عِكْرِمَةَ وقَرَأَ عِكْرِمَةُ عَلَى عَبْدِ اللّهِ

ابنِ عَبَّاس وقَرَأَ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاس عَلَى الإمام عَلِيِّ بن أَبي طالِب ، وإنْ شِئْتَ رَدَدْتَ إلَيْهِ فِقْهَ الشَّافِعِيِّ ؛ فَقِراءَتُهُ عَلَى الإمامِ مالِك ، كانَ ذَلِكَ لَك ، فَهَؤُلاءِ للفُقَهاءِ الأَرْبَعَة .

وأَيْضًا فَإنَّ فُقَهاءَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم ومِنْهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ وحَبْرُ الأُمَّةِ عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاس وكِلاهُما رضي الله عنهما أَخَذَ عَنِ الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه ، أَمَّا ابنُ عَبَّاسٍ فَظاهِرٌ ، وأَمَّا سَيِّدُنا عُمَرُ فَقَدْ عَرَفَ كُلُّ أَحَدٍ رُجُوعَهُ إلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ المَسائِلِ الَّتي أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ وعَلَى غَيْرِهِ مِنَ الصَّحابَةِ ، وقَوْلُهُ رضي الله عنه غَيْرَ مَرَّةٍ : ((لَوْلا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ)) ، وقَوْلُهُ رضي الله عنه : ((لا بَقِيتُ لِمُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَها أَبُو الحَسَنِ)) ، وقَوْلُهُ رضي الله عنه : ((لا يُفْتِيَنَّ أَحَدٌ فِي المَسْجِدِ وعَلِيٌّ حاضِر)) ؛ فَقَدْ عَرَفْتَ بِهَذا الوَجْهِ انْتِهاءَ الفِقْهِ إلَيْه .

وقَدْ رَوَتِ الخاصَّةُ والعامَّةُ قَوْلَهُ صلى الله عليه وسلم : (أَقْضاكُمْ عَلِيٌّ) ؛ والقَضاءُ هُوَ الفِقْهُ ، فَهُوَ إذَنْ أَفْقَهُهُمْ ، ورَوَى الكُلُّ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قالَ لَهُ وقَدْ بَعَثَهُ إلَى اليَمَنِ قاضِيًا : (اللهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ وثَبِّتْ لِسانَهُ) ، قالَ عَلِيٌّ : فَما شَكَكْتُ بَعْدَها فِي قَضاءٍ بَيْنَ اثْنَيْن .

ومِنَ العُلُوم تَفْسِيرُ القُرْآنِ ، وعَنِ الإمامِ عَلِيٍّ أُخِذَ ومِنْهُ تَفَرَّعَ ، وإذا

رَجَعْتَ إِلَى كُتُبِ التَّفْسِيرِ عَلِمْتَ صِحَّةَ ذَلِكَ لأَنَّ أَكْثَرَهُ عَنْهُ ، ويُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ رضي الله عنه : ((واللهِ ما مِنْ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ أَوْ سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ إِلَّا وأَنا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ وفِي أَيِّ وَقْتٍ وفِي أَيِّ مَكانٍ)) .

وكَذَلِكَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاس رضي الله عنه ، وقَدْ عَلِمَ النَّاسُ حالَ عَبْدِ اللهِ ابنِ عَبَّاسٍ فِي مُلازَمَتِهِ وانقِطاعِهِ إِلَيْهِ وأَنَّهُ تِلْمِيذُهُ وخِرِّيجُهُ ؛ وقَدْ قِيلَ لابنِ عَبَّاسٍ : أَيْنَ عِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ ابنِ عَمِّكَ ؟ فَقالَ : كَنِسْبَةِ قَطْرَةٍ مِنَ المَطَرِ إِلَى البَحْرِ المُحِيط .

ومِنَ العُلُومِ عِلْمُ الطَّرِيقَةِ والحَقِيقَةِ وأَحْوالِ التَّصَوُّف ، وقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ أَرْبابَ هَذا الفَنِّ فِي جَمِيعِ بِلادِ الإِسْلامِ إِلَى الإمامِ عَلِيٍّ يَنْتَهُونَ ، وعِنْدَهُ يَقِفُونَ ؛ وقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ الشِّبْلِي والجُنَيْدُ وسَرِيُّ السَّقَطِي وأَبُو يَزِيد البِسْطامِي وأَبُو مَحْفُوظ مَعْرُوف الكَرْخِي وغَيْرُهُمْ ، ويَكْفِيكَ دَلالَةً عَلَى ذَلِكَ ((الخِرْقَة)) الَّتِي هِيَ شِعارُهُمْ إِلَى اليَوْم ، وكَوْنُهُمْ يُسْنِدُونَها إِلَيْهِ إِسْنادًا مُتَّصِلًا .

ومِنَ العُلُومِ عِلْمُ النَّحْوِ والعَرَبِيَّةِ ، وقَدْ عَلِمَ النَّاسُ كافَّةً أَنَّهُ الَّذِي ابْتَدَعَهُ وأَنْشَأَهُ وأَمْلَى عَلَى أَبِي الأَسْوَدِ أُصُولَهُ وجَوامِعَها ؛ مِنْ جُمْلَتِها : ((الكَلامُ ثَلاثَةُ أَشْياء : اسْمٌ ، وفِعْلٌ ، وحَرْف)) ، ومِنْ جُمْلَتِها تَقْسِيمُ

الكَلِمَةِ إِلَى : ((مَعْرِفَةٍ ونَكِرَة)) ، وتَقْسِيمُ وُجُوهِ الإِعْرابِ إِلَى ((الرَّفْعِ ، والنَّصْبِ ، والجَرِّ ، والجَزْم)) ، وهَذا يَكادُ يَلْحَقُ بِالمُعْجِزاتِ لأَنَّ القُوَّةَ البَشَرِيَّةَ لا تَفِي بِهَذا الحَصْرِ ولا تَنْهَضُ بِهذا الاسْتِنْباط .

مَنْ سِواهُ وَضَعَ النَّحْوَ وَقَدْ ۞ رَاعَهُ لَحْنٌ لِمَنْ قَدْ حارَ عَيًّا

وإِنَّهُ كَما قالَ ابنُ أَبِي الحَدِيدِ يَكادُ يَلْحَقُ بِالمُعْجِزات ؛ ولِعُمُومِ نَفْعِهِ ورَصانَةِ وَضْعِهِ ودِقَّتِهِ أَخْرَجَ أَبُو القاسِمِ الزَّجَّاجِي فِي أَمالِيهِ عَنْ أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِي قالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ فَرَأَيْتُهُ مُطْرِقًا مُفَكِّرًا فَقُلْتُ : فِيمَ تُفَكِّرُ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين ؟ قالَ : إِنِّي سَمِعْتُ بِبَلَدِكُمْ هَذا لَحْنًا فَأَرَدْتُ أَنْ أَصْنَعَ كِتابًا فِي أُصُولِ العَرَبِيَّة ، فَقُلْتُ : إِنْ فَعَلْتَ هَذا أَحْيَيْتَنا وبَقِيَتْ فِينا هَذِهِ اللُّغَةُ ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ بَعْدَ ثَلاثٍ ، فَأَلْقَى إِلَيَّ صَحِيفَةً فِيها :

((بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : الكَلامُ كُلُّهُ اسْمٌ ، وفِعْلٌ ، وحَرْفٌ ؛ فالاسْمُ ما أَنْبَأَ عَنِ المُسَمَّى ، والفِعْلُ ما أَنْبَأَ عَنْ حَرَكَةِ المُسَمَّى ، والحَرْفُ ما أَنْبَأَ عَنْ مَعْنًى لَيْسَ بِاسْمٍ ولا فِعْلٍ)) ، ثُمَّ قالَ لِي : تَتَبَّعْهُ وزِدْ فِيهِ ما وَقَعَ لَكَ ، واعْلَمْ يا أَبا الأَسْوَد : ((أَنَّ الأَشْياءَ ثَلاثَةٌ : ظاهِرٌ ، ومُضْمَرٌ ، وشَيْءٌ لَيْسَ بِظاهِرٍ ولا مُضْمَرٍ ، وإِنَّما تَتَفاضَلُ العُلَماءُ فِي مَعْرِفَةِ ما

لَيْسَ بظاهِرٍ ولا مُضْمَر)) .

قالَ أَبو الأَسْوَد : جَمَعْتُ مِنْهُ أَشْياءَ وعَرَضْتُها عَلَيْهِ ، فَكانَ مِنْ ذَلِكَ حُروفُ النَّصْبِ ، فَذَكَرْتُ مِنْها ((إِنَّ ، وأَنَّ ، ولَيْتَ ، ولَعَلَّ ، وكَأَنَّ)) ولَمْ أَذْكُرْ ((لَكِنَّ)) فَقالَ لِي : لِمَ تَرَكْتَها ؟ فَقُلْتُ : لَمْ أَحْسِبْها ، قالَ : بَلَى هِيَ مِنْهَا فَزِدْها فِيها .

وأَخْرَجَ البَيْهَقِيُّ فِي الشُّعَبِ وابنُ عَساكِر عَنْ صَعْصَعَةَ بنِ صَوْحان قالَ : جاءَ أَعْرابِيٌّ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب ، فَقالَ : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ كَيْفَ تَقْرَأُ هَذا الحَرْفَ ((لا يأكله إلا الخاطون)) فَتَبَسَّمَ الإِمامُ عَلِيٌّ ، وقالَ : (لا يَأْكُلُهُ إِلَّا الخاطِئُون) ، قالَ : صَدَقْتَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ ما كانَ اللّٰهُ لِيُسْلِمَ عَبْدَهُ ، ثُمَّ الْتَفَتَ الإِمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه إِلَى أَبِي الأَسْوَدِ الدُّؤَلِي فَقالَ : ((إِنَّ الأَعاجِمَ قَدْ دَخَلُوا فِي الدِّينِ كافَّةً فاصْنَعْ للنَّاسِ شَيْئًا يَسْتَدِلُّونَ بِهِ عَلَى صَلاحِ أَلْسِنَتِهِمْ)) ، فَرَسَمَ لَهُ الرَّفْعَ والنَّصْبَ والخَفْضَ [1] .

واعْلَمْ أَنَّ اسْتِنْباطَ هَذا العِلْمِ العَجِيبِ الَّذي ضُبِطَتْ بِهِ قَواعِدُ اللُّغَةِ ، وحُفِظَتْ بِهِ قَوانِينُها وعُرِفَ بِهِ شَرَفُها وسِرُّها ، إِنْ كانَ عَنْ تَوْقِيفٍ

(١) أَخْرَجَهُ ابنُ النَّجَّار .

نَبَوِيٍّ فَلا عَجَبَ ولا مَزِيَّةَ إِلَّا فِي خُصُوصِيَّةِ الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه بإيداعِهِ ذَلِك ، وإِنْ كانَ عَنْ فِكْرٍ كَما هُوَ ظاهِرُ الرِّوايَةِ فَهُوَ واللهِ فَخْرٌ يَقْصُرُ عَنْهُ كُلُّ فَخْرٍ ، ومَنْقَبَةٌ للإمام عَلِيٍّ تَبْقَى عَلَى صَفَحاتِ الدَّهْر ، ولا عَجَبَ فَعَنْهُ انْفَجَرَ مِنَ العُلُومِ كُلُّ عُجاب ، وعَلَى أَثَرِهِ مِنْها اقْتَفَى الأَذْكِياءُ مِنْ أُولِي الأَلْباب ، سَلامُ اللهِ عَلَى رَسُولِهِ وعَلَيْهِ وعَلَى عِتْرَتِهِ قُرَناءِ الكِتابِ إِلَى يَوْمِ الحِساب .

الخَصِيصَةُ التَّاسِعَةُ : الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَدُورُ الحَقُّ مَعَهُ حَيْثُما دارَ :

وَيَدُورُ الحَقُّ مَعْهُ حَيْثُمَا ۞ دَارَ فَاعْلَمْهُ حَدِيثًا نَبَوِيًّا

وتِلْكُمُ المَنْقَبَةُ الَّتي تَقاصَرُ عَنْها المَناقِب ، والرُّتْبَةُ الَّتي تَنْحَطُّ لَدَيْها عَلِيَّاتُ المَراتِب ، وهُوَ دَوَرانُ الحَقِّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ ، وذَلِكَ ثابِتٌ مِنْ طُرُقٍ صَحِيحَةٍ فِي بَعْضِها الدُّعاءُ لَهُ بِأَنْ يُدِيرَ اللهُ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ كَما أَخْرَجَهُ إِمامُ المُحَدِّثِينَ مُحَمَّدُ بنُ إِسْماعِيلَ البُخارِي فِي صَحِيحِهِ مِنْ حَدِيثِ الإمامِ عَلِيٍّ قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا ، اللهُمَّ أَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ) ، وفِي بَعْضِها الإِخْبارُ بِأَنَّهُ رضي الله عنه مَعَ القُرْآنِ والقُرْآنَ مَعَهُ كَما أَخْرَجَ الطَّبَرانِي فِي الأَوْسَطِ والإمامُ مالِكٌ فِي المُوَطَّأ مِنْ حَدِيثِ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالَتْ : قالَ رَسُولُ

اللهِ ﷺ : (عَلِيٌّ مَعَ القُرْآنِ والقُرْآنُ مَعَ عَلِيٍّ لَنْ يَفْتَرِقا حَتَّى يَرِدا عَلَيَّ الحَوْضَ) .

وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِي عَنْ عَمَّارِ بنِ ياسِر رضي الله عنه عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (يا عَمَّارُ إِنْ رَأَيْتَ عَلِيًّا قَدْ سَلَكَ وادِيًا والنَّاسَ وادِيًا غَيْرَهُ ، فاسْلُكْ مَعَ عَلِيٍّ ودَعِ النَّاسَ ، إِنَّهُ لَنْ يَدُلَّكَ عَلَى رَدًى ولَنْ يُخْرِجَكَ عَنِ الهُدَى) .

الخَصِيصَةُ العاشِرَةُ : الإِمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه زَوْجُ فاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ :

وَاخْتِصَاصُ اللهِ بِالزَّهْرَا لَهُ ۞ لِسِوَاهُ مِثْلُهُ لَمْ يَتَهَيَّا

الزَّهْراءُ هِيَ المُتَلَأْلِئَةُ مِنْ شِدَّةِ إِنارَتِها وإِضاءَتِها ، ومِنْهُ الحَدِيثُ : (إِنَّ عَلِيًّا يُزْهِرُ فِي الجَنَّةِ كَكَوْكَبِ الصُّبْحِ لأَهْلِ الدُّنْيا)[1] ، والمُرادُ بِالزَّهْراءِ هُنا فاطِمَةُ البَتُولُ بِنْتُ خاتَمِ الأَنْبِياءِ ﷺ مَنْ ثَبَتَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : (أَنَّها سَيِّدَةُ النِّساءِ فِي الجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْران) أَخْرَجَهُ مالِكٌ عَنْ أَبِي سَعِيد ، (وهِيَ بَضْعَةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ) كَما أَخْرَجَهُ البُخارِيُّ عَنِ المِسْوَرِ عَنْهُ ﷺ : (فاطِمَةُ مِنِّي فَمَنْ أَغْضَبَها أَغْضَبَنِي) ، وهِيَ أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ كَما أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي ومالِكٌ مِنْ حَدِيثِ أُسامَةَ بنِ زَيْدٍ رضي الله عنه : (أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ فاطِمَة) .

---

(١) أَخْرَجَهُ البَيْهَقِي عَنْ سَيِّدِنا أَنَس رضي الله عنه .

وسُمِّيَتْ (فاطِمَةَ) لِما أَخْرَجَهُ الحافِظُ الدِّمَشْقِي مِنْ حَديثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِفاطِمَة : (يا فاطِمَةُ ، أَتَدْرِينَ لِمَ سُمِّيتِ فاطِمَة ؟) ، قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يا رَسُولَ اللهِ لِمَ سُمِّيَتْ فاطِمَة ؟ قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِنَّ اللهَ فَطَمَها وبَنِيها عَنِ النَّارِ يَوْمَ القِيامَة) .

أَفادَ المُحِبُّ الطَّبَرِي فِي ((ذَخائِرِه)) أَنَّ تَزْوِيجَ فاطِمَةَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ بِأَمْرِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ ووَحْيٍ مِنْهُ ، ورَوَى عَنْ أَنَسِ بنِ مالِك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : خَطَبَ أَبو بَكْرٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِنْتَهُ فاطِمَةَ ، فَقالَ ﷺ : (لَمْ يَنْزِلِ القَضاءُ بَعْدُ) ، ثُمَّ خَطَبَها عُمَرُ مَعَ عِدَّةٍ مِنْ قُرَيْش ، كُلُّهُمْ يَقُولُ لَهُ ﷺ مِثْلَ قَوْلِهِ لأَبِي بَكْر ، فَقِيلَ لِعَلِيٍّ ، لَوْ خَطَبْتَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَخَلِيقٌ أَنْ يُزَوِّجَك ، قالَ : وكَيْفَ وقَدْ خَطَبَها أَشْرافُ قُرَيْشٍ فَلَمْ يُزَوِّجْها ، قالَ : فَخَطَبْتُها ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَمَرَنِي رَبِّي بِذَلِكَ ، قالَ أَنَسٌ : ثُمَّ دَعانِي بَعْدَ أَيَّامِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ قالَ : يا أَنَسُ اخْرُجْ وادْعُ لِي أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ وعُمَرَ بنَ الخَطَّاب وعُثْمانَ بنَ عَفَّانَ وعَبْدَ الرَّحْمٰنِ ابنَ عَوْفٍ وسَعْدَ بنَ أَبِي وَقَّاص وطَلْحَةَ والزُّبَيْرَ وبِعِدَّةٍ مِنَ الأَنْصار ، قالَ : فَدَعَوْتُهُمْ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا عِنْدَهُ ﷺ كُلُّهُمْ وأَخَذُوا مَجالِسَهُمْ ، وكانَ عَلِيٌّ غائِبًا فِي حاجَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : (الحَمْدُ للهِ

المَحْمُودِ بِنِعْمَتِهِ ، المَعْبُودِ بِقُدْرَتِهِ ، المُطاعِ سُلْطانُهُ ، المَرْهُوبِ مِنْ عَذابِهِ وسَطَواتِهِ ، النَّافِذِ أَمْرُهُ فِي سَمائِهِ وأَرْضِهِ ، الَّذِي خَلَقَ الخَلْقَ بِقُدْرَتِهِ ، ومَيَّزَهُمْ بِأَحْكامِهِ ، وأَعَزَّهُمْ بِدِينِهِ ، وأَكْرَمَهُمْ بِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ اسْمُهُ وتَعالَتْ عَظَمَتُهُ جَعَلَ المُصاهَرَةَ سَبَبًا لاحِقًا وأَمْرًا مُفْتَرَضًا أَوْشَجَ بِهِ الأَرْحامَ[1] وأَلْزَمَ الأَنامَ ، فَقالَ عَزَّ مِنْ قائِلٍ : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ؛ فَأَمْرُ اللَّهِ تَعالَى يَجْرِي إِلَى قَضائِهِ وقَضاؤُهُ يَجْرِي إِلَى قَدَرِهِ ، ولِكُلِّ قَضاءٍ قَدَرٌ ولِكُلِّ قَدَرٍ أَجَلٌ : ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعالَى اسْمُهُ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فاطِمَةَ بِنْتَ خَدِيجَةَ مِنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ ، فاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعِمِئَةِ مِثْقالِ فِضَّةٍ ، إِنْ رَضِيَ بِذَلِكَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ ، ثُمَّ دَعا ﷺ بِطَبَقٍ مِنْ تَمْرٍ فَوُضِعَ بَيْنَ أَيْدِينا ، ثُمَّ قالَ : انْتَهِبُوا ، فانْتَهَبْنا فَبَيْنَما نَحْنُ نَنْتَهِبُ إِذْ دَخَلَ عَلِيٌّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعالَى أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فاطِمَةَ عَلَى أَرْبَعِمِئَةِ مِثْقالِ فِضَّةٍ إِنْ رَضِيتَ بِذَلِكَ ،

---

(١) أَيْ شَبَّكَ بَعْضَها بِبَعْضٍ .

قالَ : قَدْ رَضِيتُ بِذَلِكَ يا رَسُولَ اللّه ، قالَ أَنَسٌ : فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ : (جَمَعَ اللّهُ شَمْلَكُما ، وأَسْعَدَ جَدَّكُما[1] ، وبارَكَ عَلَيْكُما ، وأَخْرَجَ مِنْكُما كَثِيرًا طَيِّبًا) ، قالَ أَنَس : فَوَاللّهِ لَقَدْ خَرَجَ مِنْهُما الكَثِيرُ الطَّيِّب .

وأَمَّا وَلِيمَةُ عُرْسِها : فَلَمَّا كانَ بَعْدَ ما زَوَّجَهُ ﷺ قالَ لَهُ : يا عَلِيُّ ، لا بُدَّ للعُرْسِ مِنْ وَلِيمَة ، فَقالَ سَعْد : عِنْدِي كَبْشٌ ، وجَمَعَ لَهُ رَهْطٌ مِنَ الأَنْصارِ آصُعًا مِنْ ذُرَة ، فَلَمَّا كانَ لَيْلَةُ البِناءِ قالَ : لا تُحْدِثَنَّ شَيْئًا حَتَّى تَلْقانِي ، فَدَعا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِماءٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهُ ثُمَّ أَفْرَغَهُ عَلَى عَلِيٍّ وقالَ : (اللهُمَّ بارِكْ فِيهِما ، وبارِكْ عَلَيْهِما ، وبارِكْ لَهُما فِي شَمْلِهِما) ، قالَ أَبُو الحُسَيْن : الشَّمْلُ : الجِماع .

وعَنْ أَسْماءَ رَضِيَ اللهُ عَنْها قالَتْ : لَقَدْ أَوْلَمَ عَلِيٌّ عَلَى فاطِمَةَ فَما كانَ وَلِيمَةٌ فِي ذَلِكَ الزَّمانِ أَفْضَلَ مِنْ وَلِيمَتِهِ ؛ رَهَنَ دِرْعَهُ عِنْدَ يَهُودِيٍّ بِشَطْرِ شَعِيرٍ وكانَتْ وَلِيمَتُهُ آصُعًا مِنْ شَعِيرٍ وتَمْرٍ وحَيْسٍ .

وأَمَّا سِنُّها حِينَ تَزَوَّجَها عَلِيٌّ : فَهِيَ ابْنَةُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وخَمْسَةِ أَشْهُرٍ أَوْ سِتَّة ، وسِنُّ عَلِيٍّ إِحْدَى وعِشْرُونَ سَنَة .

عَنِ السَّيِّدَةِ أَسْماءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قالَتْ : قَبِلْتُ[2] فاطِمَةَ بِالحَسَنِ فَلَمْ أَرَ

---

(١) **الجَدُّ** : الحَظُّ والبَخْت .

(٢) أَيْ حَضَرْتُ وِلادَتَها ، والقابِلَةُ هِيَ المُوَلِّدَةُ .

لَها دَمًا ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ إنِّي لَمْ أرَ لِفاطِمَةَ دَمًا فِي حَيْضٍ ولا نِفاسٍ ، فَقالَ ﷺ : (أَما عَلِمْتِ أَنَّ ابْنَتِي طاهِرَةٌ مُطَهَّرَةٌ لا يُرَى لَها دَمُ حَيْضٍ ولا وِلادَة) .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (أَفْضَلُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلد ، وفاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّد ، ومَرْيَمُ بِنْتُ عِمْران ، وآسِيَةُ بِنْتُ مُزاحِم امْرَأَةُ فِرْعَوْن) .

ذِكْرُ ما وَرَدَ مِنْ شَبَهِها بِرَسُولِ اللهِ ﷺ ومِنْ إسْرارِهِ ﷺ إلَيْها :

عَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ : كُنَّا أَزْواجَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغادِرْ مِنْهُنَّ واحِدَةٌ فَأَقْبَلَتْ فاطِمَةُ تَمْشِي ما تُخْطِئُ مِشْيَتُها مِنْ مِشْيَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ شَيْئًا ، فَلَمَّا رَآها رَحَّبَ بِها فَقالَ : يا مَرْحَبًا يا بِنْتِي ، ثُمَّ أَجْلَسَها عَنْ يَمِينِهِ ثُمَّ سارَّها فَبَكَتْ بُكاءً شَدِيدًا ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعَها سارَّها الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ ، فَقُلْتُ لَها : خَصَّكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسائِهِ بِالسِّرارِ[1] ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ ، فَلَمَّا قامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ سَأَلْتُها : ما قالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟ قالَتْ : ما كُنْتُ لأُفْشِيَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ سِرَّهُ ، قالَتْ : فَلَمَّا تُوفِّيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قُلْتُ : عَزَمْتُ عَلَيْكِ بِما لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ لَما حَدَّثْتِنِي مِمَّا قالَ لَكِ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قالَتْ :

(١) السِّرارُ : المُسارَرَة .

أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ ؛ أَمَّا حِينَ سارَّنِي فِي المَرَّةِ الأُولَى فَأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كانَ يُعارِضُهُ القُرْآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً وأَنَّهُ عارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ وإِنِّي لا أَرَى إِلَّا الأَجَلَ قَدِ اقْتَرَبَ ، فاتَّقِي اللَّهَ واصْبِرِي فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنا لَكِ ، قالَتْ : فَبَكَيْتُ بُكائِي الَّذي رَأَيْتِ ، فَلَمَّا رَأَى جَزَعِي سارَّنِي الثَّانِيَةَ ، فَقالَ : يا فاطِمَةُ أَما تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِساءِ هَذِهِ الأُمَّةِ وأَنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقًا بِي ، قالَتْ : فَضَحِكْتُ .

ذِكْرُ وَفاتِها وكَمْ عُمْرُها ومَنْ صَلَّى عَلَيْها رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

تُوفِّيَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ عَلَى أَصَحِّ الأَقْوالِ لَيْلَةَ الثُّلاثاءِ لِثَلاثٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضانَ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ وهِيَ بِنْتُ تِسْعٍ وعِشْرِينَ سَنَة ، وصَلَّى عَلَيْها عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقِيلَ العَبَّاس .

وعِنْدَما حَمَلَ عَلِيٌّ جِنازَتَها قالَ : أَعِينُونِي ، وهُوَ الَّذي حَمَلَ بابَ خَيْبَرَ !!

ذِكْرُ أَوْلادِها عَلَيْها وعَلَيْهِمُ السَّلام :

عَنِ اللَّيْثِ بنِ سَعْد قالَ : تَزَوَّجَها عَلِيٌّ فَوَلَدَتْ لَهُ حَسَنًا وحُسَيْنًا ومُحْسِنًا وزَيْنَبَ وأُمَّ كُلْثُوم ، ولَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْها عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى ماتَتْ ، ولَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقِبٌ إِلَّا مِنْ بِنْتِهِ فاطِمَةَ عَلَيْها السَّلام وأَعْظِمْ بِها مُعْجِزَةً .

فَقَدَتْ عِتْرَتُهُ مِنْ أَجْلِهَا ۞ عِتْرَةَ الْمُخْتَارِ نَصًّا نَبَوِيًّا

وَغَدا السِّبْطانِ وَالآلُ إِذا ۞ نَسَبُوهُمْ نَبَوِيًّا عَلَوِيًّا

وفِي هَذا إشارَةٌ إلَى ما ثَبَتَ بلا نِزاعٍ أَنَّ أَوْلادَ فاطِمَةَ عَلَيْها السَّلام أَوْلادُ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَهُوَ أَبُوهُمْ وعَصَبَتُهُمْ ؛ كَما أَخْرَجَ الإمامُ أَحْمَدُ ابنُ حَنْبَل مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (كُلُّ وَلَدِ أَبٍ فَإِنَّ عَصَبَتَهُمْ لأَبِيهِمْ ما خَلا وَلَدَ فاطِمَةَ فَإِنِّي أَنا أَبُوهُمْ وعَصَبَتُهُمْ) .

ذِكْرُ ما لِمَنْ أَحَبَّهُما وأَحَبَّ أَباهُما وأُمَّهُما :

أَخْرَجَ أَحْمَدُ والتِّرْمِذِي عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَخَذَ بيَدِ حَسَنٍ وحُسَيْنٍ وقالَ : (مَنْ أَحَبَّنِي وأَحَبَّ هَذَيْنَ وأَباهُما وأُمَّهُما كانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ القِيامَةِ) ، ولَفْظُ التِّرْمِذِي (كانَ مَعِيَ فِي الجَنَّةِ) .

الخَصِيصَةُ الحادِيَةَ عَشْرَة : تَشْبِيهُ الإمام عَلِيٍّ بِصِفاتِ الأَنْبِياء :

فَقَدْ شُبِّهَ رضي الله عنه بخَمْسَةٍ مِنَ الأَنْبِياءِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ؛ عَنْ أَبِي الحَمْراءِ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (مَنْ أَرادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آدَمَ فِي عِلْمِهِ ، وإِلَى نُوحٍ فِي فَهْمِهِ ، وإِلَى إِبْراهِيمَ فِي حِلْمِهِ ، وإِلَى يَحْيَى بن زَكَرِيَّا فِي زُهْدِهِ ، وإِلَى مُوسَى فِي بَطْشِهِ ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب)[1] .

فَقَدْ شَبَّهَهُ ﷺ بهَؤُلاءِ الخَمْسَةِ الرُّسُلِ لاكْتِسابِهِ رضي الله عنه الخِصالَ الشَّرِيفَةَ مِنْ خِصالِهِمْ ، فَمِنْ آدَمَ (أَبُو البَشَر) عليه السلام العِلْمَ ؛ فَإِنَّ اللهَ تَعالَى

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبو الخَيْرِ الحاكِمِي .

خَصَّهُ بِأَنَّهُ عَلَّمَهُ الأَسْماءَ كُلَّها ثُمَّ أَبانَ فَضْلَهُ بِذَلِكَ عَلَى مَلائِكَتِهِ ، وَنَوَّهَ بِعِلْمِهِ حَيْثُ عَرَضَ عَلَيْهِمْ أَسْماءَ المُسَمَّياتِ فَطَلَبَ مِنْهُمْ تَعالَى إِنْباءَهُ بِأَسْمائِهِمْ فَعَجَزُوا ، فَطَلَبَ مِنْ آدَمَ عليه السلام إِنْباءَهُمْ فَأَنْبَأَهُمْ عليه السلام بِها ؛ فَهَذِهِ فَضِيلَةٌ مِنْ أَشْرَفِ فَضائِلِ آدَمَ عليه السلام الَّتِي شُرِّفَ بِها بَيْنَ المَلأِ الأَعْلَى .

وشَبَّهَهُ بِنُوحٍ عليه السلام فِي فَهْمِهِ لأَنَّهُ أَمَرَهُ اللهُ تَعالَى بِصَنْعَةِ الفُلْكِ وفِيها مِنْ دَقائِقِ الإِحْكامِ والإِتْقانِ ما لا تَحْصُرُهُ الأَقْلام ، ولا تُدْرِكُهُ بِفَهْمِها الأَنام ؛ وكانَتْ لَمْ يَعْرِفْها قَوْمُهُ ولا اهْتَدَى إِلَيْها فِكْرٌ قَبْلَ ذَلِكَ وكانَ فِيها مِنَ الإِتْقانِ والبُيُوتِ الَّتِي فِي جَوْفِها لَهُ ولِمَنْ مَعَهُ وللأَنْعامِ والوُحُوشِ والسِّباعِ والطَّيْرِ واخْتِلافِها طُولًا وعَرْضًا وإِنَّها كَجُؤْجُؤِ الطَّائِرِ ، وقَدْ جَعَلَ اللهُ الحَمْلَ فِيها مِنْ آياتِهِ حَيْثُ قالَ : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ ، وعَدَّدَ الامْتِنانَ بِها فِي الذِّكْرِ فِي عِدَّةٍ مِنَ الآياتِ وناهِيكَ أَنَّهُ سُبْحانَهُ قَرَنَ إِجْراءَهُ تَعالَى لَها مَعَ خَلْقِ السَّمواتِ والأَرْضِ واخْتِلافِ اللَّيْلِ والنَّهار ؛ فالمُرادُ فَهْمُهُ لِما أَلْهَمَهُ اللهُ مِنْ صُنْعِها ، ولِذَلِكَ جَعَلَ صَنْعَتَها مُقَيَّدَةً بِأَعْيُنِنا فِي قَوْلِهِ : ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ ، وقَوْلِهِ فِي الحَدِيثِ : (فِي حُكْمِهِ)

أَيْ فِي إِحْكامِهِ النَّاشِئَ عَنْ عِلْمِهِ وقُوَّتِهِ وصِحَّتِهِ ، ويَحْتَمِلُ أَنَّ المُرادَ فَهْمُهُ العامُّ فِي صَنْعَةِ الفُلْكِ وغَيْرِهِ مِنْ فَهْمِهِ عَنِ اللهِ تَعالَى وأَمْرِهِ .

وشَبَّهَهُ ﷺ بالخَلِيلِ عليه السلام فِي حِلْمِهِ وهُوَ مِنْ أَشْرَفِ الصِّفاتِ ؛ ولِذَلِكَ قِيلَ ما نَعَتَ اللهُ الأَنْبِياءَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ بِأَقَلَّ مِمَّا نَعَتَهُمْ بِالحِلْمِ وذَلِكَ لِعِزَّةِ وُجُودِهِ ، ولَقَدْ نَعَتَ اللهُ بِهِ سَيِّدَنا إِبْراهِيمَ عليه السلام بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ﴾ ، ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ ؛ ومِنْ حِلْمِ الخَلِيلِ عليه السلام مُجادَلَتُهُ عَنْ قَوْمِ لُوطٍ لَمَّا قالَتِ المَلائِكَةُ : ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ ، فَقالَ عليه السلام : إِنَّ فِيها لُوطًا فِي عِدَّةٍ مِنَ الآياتِ ، ومِنْ حِلْمِهِ عليه السلام الَّذي تَخِفُّ عَنْهُ رَواسِي الجِبالِ امْتِثالُهُ لأَمْرِ اللهِ بِذَبْحِ وَلَدِهِ عَلَيْهِما السَّلامُ وإِضْجاعِهِ وكَتْفِهِ لَهُ وإِمْرارِهِ المُدْيَةَ عَلَى حَلْقِهِ لَوْلا مَنْعُ اللهِ لَها أَنْ تَقْطَعَ ، فَلِهَذا وَصَفَهُ اللهُ ووَصَفَ وَلَدَهُ بِالحِلْمِ .

وشَبَّهَهُ ﷺ بِيَحْيَى بنِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِما السَّلامُ فِي زُهْدِهِ ، ويَحْيَى هُوَ عَلَمُ الزَّهادَةِ فِي أَبْناءِ آدَمَ عليه السلام مَنْ تَأَخَّرَ مِنْهُمْ ومَنْ تَقَدَّمَ .

وشَبَّهَهُ بِكَلِيمِ اللهِ عليه السلام فِي بَطْشِهِ ، وقَدْ كانَ سَيِّدُنا مُوسَى عليه السلام شَدِيدَ البَطْشِ ؛ وناهِيكَ أَنَّهُ وَكَزَ القِبْطِيَّ فَقَضَى عَلَيْهِ ، وأَرادَ البَطْشَ

بالآخَرِ وهُوَ فِي بَلَدِ فِرْعَوْنَ وتَحْتَ يَدِهِ وبَنُو إسْرائِيلَ أرِقَّاءُ فِي يَدِ فِرْعَوْنَ وكانَ القِبْطُ أَهْلَ الصَّوْلَةِ والشَّوْكَةِ والدَّوْلَة .

إذا عَرَفْتَ هَذا فَهَذِهِ شَرائِفُ الصِّفات : الحِلْمُ ، والعِلْمُ ، والفَهْمُ ، والزَّهادَةُ ، والبَطْشُ ؛ ثُمَّ إنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حازَ أَكْمَلَ كُلِّ واحِدَةٍ مِنْها فَإنَّ عِلْمَ الرُّسُلِ أَكْمَلُ العُلُوم ، وحِلْمَهُمْ أَكْمَلُ الحِلْم ، وفَهْمَهُمْ أَتَمُّ فَهْم ، وزَهادَتَهُمْ أَبْلَغُ زَهادَة ، وبَطْشَهُمْ أَقْوَى بَطْش ، فَناهِيكَ بِرَجُلٍ كَمَّلَهُ اللهُ بِهَذِهِ الصِّفاتِ ، وأَخْبَرَ نَبِيُّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ أَنَّهُ حازَها وشابَهَ أَكْمَلَ مَنِ اتَّصَفَ بِها ، وإنَّ مَنْ أرادَ أَنْ يَنْظُرَ مَنْ كانَ مُتَّصِفًا بِها (مِنْ أُولَئِكَ الرُّسُلِ الأَعْلَيْنَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ) ويُشاهِدَهُ كَأَنَّهُ حَيٌّ نَظَرَ إلَى هَذا المُتَّصِفِ بِها ، لِذَلِكَ قِيلَ :

يَـدُلُّ بِمَعْـنًـى وَاحِـدٍ كُلَّ فَاخِـرٍ ۞ وَقَدْ جَمَعَ الرَّحْمَنُ فِيهِ المَعَانِيَا

الخَصِيصَةُ الثَّانِيَةَ عَشْرَةَ : إخْبارُ الإمام عَلِيٍّ بالمُغَيَّباتِ وأَخْبارِ المَلاحِمِ :

وأَمَّا المُغَيَّباتُ وأَخْبارُ المَلاحِمِ فَلا مانِعَ مِنْ أَنْ يُخَصَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِها دُونَ غَيْرِهِ إكْرامًا مِنَ اللهِ ورَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولِما عَلِمَهُ اللهُ ورَسُولُهُ مِنَ امْتِحانِهِ بِقِتالِ الخَوارِجِ والفِرَقِ ، وأَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُحْتاجٌ إلَى عِلْم حالِهِمْ وصِفاتِهِمْ وأَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هُوَ الَّذي يُباشِرُ ويُلابِسُ أُمُورَها ويُبْتَلَى بِإقامَةِ الحُجَّةِ

لأَعْدائِهِ ولا غَرْوَ أَنْ يُخَصَّ بذَلِكَ ، ولا أَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ حِلْمِهِ وأَناتِهِ مَعَ الخَوارِجِ وقَدْ دَخَلُوا عَلَيْهِ وجاهَرُوهُ بالسَّبِّ ، وصَبْرِهِ عَلَى أَذاهُمْ حَتَّى تَصايَحُوا مِنْ جَوانِبِ المَسْجِدِ لا حُكْمَ إلَّا للّه ، ومُقابَلَتِهِ لِمَنْ تَلا مُخاطِبًا لَهُ : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ، وتَصْبيرِهِ نَفْسَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِتِلاوَة : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ .

ثُمَّ لَمَّا تَحَقَّقَ مِنْهُمُ الخُرُوجُ راسَلَهُمْ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِم ابنَ عَمِّهِ حَبْرَ الأُمَّةِ عَبْدَ اللّهِ بنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما يُناظِرُهُمْ ، ثُمَّ لَمَّا أَصَرُّوا عَلَى العِصْيانِ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتابِ اللّهِ عَزَّ وجَلَّ ، ثُمَّ لَمَّا سَفَكُوا الدَّمَ الحَرامَ وأَغارُوا عَلَى سَرْحِ النَّاسِ فَتَكَ بِهِمُ الفَتْكَةَ الَّتي طَحَنَهُمْ بِها طَحْنًا وصَيَّرَهُمْ جَزَرَ السِّباع(1) وقِرَى النُّسُور .

فَهَذِهِ واللّهِ هِيَ الصِّفاتُ الَّتي يَرْتَقِي بِها العَبْدُ فِي الدَّارَيْنِ أَرْفَعَ الدَّرَجاتِ وهُوَ الجَدِيرُ بِقَوْلِ مَنْ قالَ :

أَناةٌ فَإِنْ لَمْ تُغْنِ أَعْقَبَ بَعْدَها ❁ وَعِيدًا فَإِنْ لَمْ يُغْنِ أَغْنَتْ عَوامِلُهْ

وقَدْ خَصَّ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُذَيْفَةَ بنَ اليَمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِمَعْرِفَةِ المُنافِقِين ، ويُمْكِنُ أَنَّهُ قَدْ شارَكَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ غَيْرَهُ بِإِعْلامِ كَثِيرٍ مِمَّا أُعْلِمَ بِهِ

---

(1) الجَزَر : بِالتَّحْرِيكِ اللَّحْمُ الَّذي تَأْكُلُهُ السِّباعُ يُقالُ تَرَكُوهُمْ جَزَرَ السِّباعِ أَيْ قَتَلُوهُمْ فِي الفَلا .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لَكِنْ لَمَّا خَصَّهُ اللَّهُ بالأُذُنِ الواعِيَةِ لَمْ يَنْسَ شَيْئًا مِمَّا سَمِعَهُ وما كانَ لَهُ أَنْ يَنْسَى كَما قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وانْظُرْ حِفْظَهُ لِخَبَرِ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ نِسْيانِ الزُّبَيْرِ لَهُ وكانَ الزُّبَيْرُ أَحَقَّ بِحِفْظِهِ .

وقَدْ ثَبَتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ خُطْبَةً لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِمَّا يَحْدُثُ قَبْلَ قِيامِ السَّاعَةِ إلَّا ذَكَرَهُ ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ونَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ ، وثَبَتَ أَنَّهُ ما مِنْ قائِدِ فِتْنَةٍ إلَّا وقَدْ ذَكَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسَمَّاهُ ؛ وقَدْ ثَبَتَ عَنِ الإمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَخْبارٌ كَثِيرَةٌ عَنِ المَلاحِمِ وعَنْ أُمَراءَ بِأَعْيانِهِمْ كَإِخْبارِهِ بِعُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِيما أَخْرَجَهُ عَبْدُ اللهِ بنُ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَل فِي الزُّهْدِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لا تَلْعَنُوا بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّ فِيهِمْ أَمِيرًا صالِحًا» يَعْنِي عُمَرَ بنَ عَبْدِ العَزِيز ، وإِخْبارِهِ بِالحَجَّاج ، وفِي الجامِعِ الكَبِيرِ فِي ذِكْرِ خُطْبَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطَّوِيلَةِ وفِيها فَقالَ : «إِنْ كُنْتَ كاذِبًا فَلا أَماتَكَ اللهُ حَتَّى تُدْرِكَ غُلامَ ثَقِيف» ، فَقالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ : ومَنْ غُلامُ ثَقِيفٍ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ؟ قالَ : «رَجُلٌ لا يَدَعُ حُرْمَةً لِلَّهِ إلَّا انْتَهَكَها» ، قالَ : فَيَمُوتُ أَوْ يُقْتَلُ ؟

قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : بَلْ يَقْصِمُهُ اللهُ قاصِمُ الجَبَّارِينَ قَبْلَهُ بِمَوْتٍ فاحِشٍ يَحْتَرِقُ فِيهِ دُبُرُهُ لِكَثْرَةِ ما يَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ .

وفِي الجامِعِ الكَبيرِ وسائِرِ مُؤَلَّفاتِ النَّاسِ كَثِيرٌ مِمَّا أَخْبَرَ بِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ المَلاحِمِ ، واشْتَهَرَ عَنْهُ الجَفْرُ فِي المُغَيَّباتِ حَتَّى اسْتَعْمَلَهُ الشُّعَراءُ كَما قالَ أَبو العَلاء :

لَقَدْ عَجِبُوا لِأَهْلِ الْبَيْتِ لَمَّا ۞ أَتَاهُمْ عِلْمُهُمْ فِي مِسْكِ جَفْرِ [1]

وكِتابُ الجَفْرِ : جِلْدُ جَفْرٍ كَتَبَ فِيهِ الإِمامُ جَعْفَرُ بنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لآلِ البَيْتِ كُلَّ ما يَحْتاجُونَ إِلَى عِلْمِهِ وكُلَّ ما يَكُونُ إِلَى يَوْمِ القِيامَة .

ومُلَخَّصُهُ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَرِثَ عِلْمَ الحُرُوفِ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحَمَلَ عَلَيْهِ حَدِيث (أَنا مَدِينَةُ العِلْم وعَلِيٌّ بابُها) ، ثُمَّ الحُسَيْنُ وَرِثَ ذَلِك مِنْ أَبِيهِ ، ثُمَّ زَيْنُ العابِدِينَ وَرِثَ ذَلِك مِنْ أَبِيهِ ، ثُمَّ مُحَمَّدٌ الباقِرُ وَرِثَ ذَلِكَ مِنْ أَبِيهِ ، ثُمَّ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ وَرِثَ ذَلِك مِنْ أَبِيهِ وهُوَ الَّذي غاصَ فِي أَعْماقِ أَغْوارِهِ واسْتَخْرَجَ دُرَرَهُ مِنْ أَصْدافِ أَسْرارِهِ ، وصَنَّفَ الخافِيَةَ فِي عِلْمِ الجَفْرِ .

الخَصِيصَةُ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ : هَلاكُ المُبْغِضِ لَهُ والمُغالِي :

وَلِعِيسَى صَحَّ فِيهِ مَثَلٌ ۞ فَسَعِيدًا عَدَّ مِنْهُمْ وَشَقِيًّا

---

(١) **المِسْك : الجِلْد .**

ولِعِيسَى عَطْفٌ عَلَى جُمْلَة كَهارُون ، وسَعِيدًا عُدَّ مَفْعُولَ عَدَّ مُقَدَّمٌ عَلَيْهِ مِنْ بابِ قَوْلِهِ تَعالَى ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ ، وشَقِيًّا مَعْطُوفٌ عَلَيْه :

والمُرادُ بِالشَّقِيِّ مَنْ غَلا فِي حُبِّهِ وجاوَزَ الحَدَّ المَأْمُور بِهِ ، ومَنْ أَبْغَضَهُ وعاداهُ ؛ فَإِنَّ الشَّقِيَّ فِيهِ طائِفَتان : مُحِبٌّ غالٍ ومُبْغِضٌ قالٍ ، وأَمَّا السَّعِيدُ فَهُوَ مَنْ وَقَفَ عَلَى تَقْدِيرِ ما أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، والبَيْتُ إشارَةٌ إِلَى ما ثَبَتَ لَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ أَنَّ فِيهِ مَثَلًا مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

اللهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ السُّعَداءِ فِي حُبِّهِ وكُلِّ مَحْبُوبٍ لَدَيْك .

قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبْغَضَتْهُ اليَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ ، وأَحَبَّتْهُ النَّصارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ بِها) .

ثُمَّ قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّظُنِي بِما لَيْسَ فِيَّ ومُبْغِضٌ مُفْتَرٍ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي))[1] .

وعَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : ((لَيُحِبَّنِّي أَقْوامٌ حَتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ فِي حُبِّي ، ويُبْغِضُنِي أَقْوامٌ حَتَّى يَدْخُلُوا النَّارَ فِي بُغْضِي)) .

---

(١) أَخْرَجَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ .

وفِي الجامِعِ الكَبِيرِ للحافِظِ السُّيُوطِي فِي مُسْنَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : دَعانِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَ : (يا عَلِيُّ إِنَّ فِيكَ مِنْ عِيسَى مَثَلًا أَبْغَضَتْهُ اليَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ ، وأَحَبَّتْهُ النَّصارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ بِها) .

ولَطالَما كَرَّرَ الإِمامُ عَلِيُّ الكَرَّارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَوْلَهُ : ((أَلا وإِنَّهُ سَيَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يُقَرِّظُنِي بِما لَيْسَ فِيَّ ومُبْغِضٌ مُفْتَرٍ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي ، أَلا وإِنِّي لَسْتُ بِنَبِيٍّ ولا يُوحَى إِلَيَّ ، ولَكِنِّي أَعْمَلُ بِكِتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما اسْتَطَعْتُ ، فَما أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنْ طاعَةٍ للهِ فَحَقٌّ عَلَيْكُمْ طاعَتِي فِيما أَحْبَبْتُمْ أَوْ كَرِهْتُمْ ، وما أَمَرْتُكُمْ بِهِ بِمَعْصِيَةٍ أَنا أَوْ غَيْرِي فَلا طاعَةَ لأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ تَعالَى ، إِنَّما الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ)) .

والحَدِيثُ مِنْ أَعْلامِ النُّبُوَّة ، وقَدْ صَدَقَ ما قالَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَقَدْ غَلا فِي حُبِّهِ قَوْمٌ فاتَّخَذُوهُ إِلَهًا ، وحَرَّقَهُمْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ كَما قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللهُ عَنْ عَبْدِ اللهِ بن شَرِيكٍ عَنْ أَبِيهِ ، قالَ : ((أُتِيَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : إِنَّ هاهُنا قَوْمًا عَلَى بابِ المَسْجِدِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ رَبُّهُمْ ، فَدَعاهُمْ فَقالَ : وَيْلَكُمْ ما تَقُولُونَ ؟ قالُوا : أَنْتَ رَبُّنا وخالِقُنا

ورازِقُنا ، قالَ : وَيْلَكُمْ إنَّما أَنا عَبْدٌ مِثْلُكُمْ آكُلُ الطَّعامَ كَما تَأْكُلُونَ وأَشْرَبُ كَما تَشْرَبُونَ ؛ إنْ أَطَعْتُهُ أَثابَنِي إنْ شاءَ اللّه ، وإنْ عَصَيْتُهُ خَشِيتُ أَنْ يُعَذِّبَنِي ، فاتَّقُوا اللّهَ وارْجِعُوا ، فَأَبَوْا فَطَرَدَهُمْ .

فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ غَدَوْا عَلَيْهِ ، فَجاءَ قَنْبَرُ (خادِمُ الإمام عَلِيٍّ) فَقالَ : واللّهِ رَجَعُوا يَقُولُونَ ذَلِكَ الكَلام ، قالَ : أَدْخِلْهُمْ عَلَيَّ ، فَقالُوا لَهُ مِثْلَ ما قالُوا ، وقالَ لَهُمْ مِثْلَ ما قالَ ، وقالَ لَهُمْ : إنَّكُمْ ضالُّونَ مَفْتُونُون ، فَأَبَوْا ، فَلَمَّا كانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ أَتَوْهُ فَقالُوا لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ القَوْلِ ، فَقالَ : واللّهِ لَئِنْ قُلْتُمْ ذَلِكَ لأَقْتُلَنَّكُمْ أَخْبَثَ قِتْلَة ، فَأَبَوْا إلَّا أَنْ يُقِيمُوا عَلَى قَوْلِهِمْ ، فَخَدَّ لَهُمْ أُخْدُودًا بَيْنَ بابِ المَسْجِدِ والقَصْرِ وأَوْقَدَ فِيهِ نارًا ، وقالَ : إنِّي طارِحُكُمْ فِيها أَوْ تَرْجِعُونَ ، فَأَبَوْا فَقَذَفَهُمْ فِيها ، وتَرْدِيدُهُمْ مَحْمُولٌ عَلَى الاسْتِتابَة .

وقالَ أَبو العَبَّاسِ المُبَرِّد : وقَدْ كانَ (يَعْنِي الإمامَ عَلِيًّا) عَثَرَ عَلَى قَوْم خَرَجُوا مِنْ مَحَبَّتِهِ فاسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطانُ إلَى أَنْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وجَحَدُوا ما جاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ واتَّخَذُوهُ إلَهًا ورَبًّا وقالُوا أَنْتَ خالِقُنا ورازِقُنا ، فاسْتَتابَهُمْ واسْتَأْنَى بِهِمْ وتَوَعَّدَهُمْ فَأَقامُوا عَلَى قَوْلِهِمْ فَحَفَرَ لَهُمْ حُفَرًا ودَخَّنَ عَلَيْهِمْ طَمَعًا فِي رُجُوعِهِمْ فَأَبَوْا فَحَرَقَهُمْ فِي النَّار .

وقالَ ابنُ أَبِي الحَدِيد ، ورَوَى أَصْحابُنا فِي كُتُبِ المَقالاتِ أَنَّهُمْ قالُوا : الآنَ ظَهَرَ ظُهُورًا بَيِّنًا أَنَّكَ الإِلهُ لأَنَّ ابنَ عَمِّكَ الَّذي أَرْسَلْتَهُ قالَ لا يُعَذِّبُ بالنَّارِ إِلَّا رَبُّ النَّار .

ورَوَى أَبو العَبَّاس أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه مَرَّ بِهِمْ وهُمْ يَأْكُلونَ فِي رَمَضانَ نَهارًا ، فَقالَ : أَسَفَرٌ أَمْ مَرْضَى ؟ قالُوا : لا واحِدَة ، قالَ : أَفَمِنْ أَهْلِ الكِتابِ أَنْتُمْ ؟ قالُوا : لا ، قالَ : فَما بالُ الأَكْلِ فِي رَمَضان ؟ قالُوا : أَنْتَ أَنْت ، لَمْ يَزِيدُوهُ عَلَى ذَلِكَ ، فَفَهِمَ مُرادَهُمْ فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ فَأَلْصَقَ خَدَّهُ بِالتُّرابِ فَقالَ : وَيْلَكُمْ إِنَّما أَنا عَبْدٌ مِنْ عَبِيدِ اللّهِ فاتَّقُوا اللّهَ وارْجِعُوا إِلَى الإِسْلام ، فَأَبَوْا ، فَدَعاهُمْ مِرارًا فَأَقامُوا عَلَى أَمْرِهِمْ فَنَهَضَ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قالَ : شُدُّوهُمْ وِثاقًا وعَلَيَّ بِالفَعَلَةِ والنَّارِ والحَطَب ، ثُمَّ أَمَرَ رضي الله عنه بِحُفْرَتَيْنِ فَحُفِرَتا وجَعَلَ إِحْداهُما سَرَبًا[1] والأُخْرَى مَكْشُوفَةً ، وأَلْقَى مِنَ الحَطَبِ فِي المَكْشُوفَةِ وفَتَحَ بَيْنَهُما فَتْحًا وأَلْقَى النَّارَ فِي الحَطَبِ ودَخَّنَ عَلَيْهِمْ وجَعَلَ يَهْتِفُ بِهِمْ ويُناشِدُهُمْ : ارْجِعُوا إِلَى الإِسْلامِ ، فَأَبَوْا ، فَأَمَرَ بِالحَطَبِ والنَّارِ فَأُلْقِيَ عَلَيْهِمْ فَأُحْرِقُوا ، قالَ الشَّاعِر :

---

(١) السَّرَبُ : الحَفِيرُ تَحْتَ الأَرْض .

لِتَرْمِ بِيَ الْمَنِيَّةُ كَيْفَ شَاءَتْ ۞ إِذَا لَمْ تَرْمِ بِي فِي الْحُفْرَتَيْن
إِذَا مَا أَوْقَدُوا حَطَبًا بِنَارٍ ۞ فَذَاكَ الْمَوْتُ نَقْدًا غَيْرَ دَيْن

قالَ أَبو العَبَّاسِ المُبَرِّد : ثُمَّ إِنَّ جَماعَةً مِنْ أَصْحابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شَفَقُوا فِي عَبْدِ اللّهِ بنِ سَبَأ خاصَّةً وقالُوا : يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ ، إِنَّهُ قَدْ تابَ فاعْفُ عَنْهُ ، فَأَطْلَقَهُ بَعْدَ أَنْ شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لا يُقِيمَ بِالكُوفَة ، فَقالَ : أَيْنَ أَذْهَب ؟ قالَ : المَدائِنُ ، فَنَفاهُ إِلَى المَدائِن ، فَلَمَّا قُتِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَظْهَرَ ابنُ سَبَأٍ مَقالَتَهُ وصارَتْ لَهُ طائِفَةٌ وفِرْقَةٌ يُصَدِّقُونَهُ ويَتَّبِعُونَهُ ، وقالَ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : واللّهِ لَوْ جِئْتُمُونِي بِدِماغِهِ فِي سَبْعِينَ صُرَّةً لَعَلِمْنا أَنَّهُ لَمْ يَمُتْ وأَنَّهُ لا يَمُوتُ حَتَّى يَسُوقَ العَرَبَ بِعَصاه ، فَلَمَّا بَلَغَ ابنَ عَبَّاسٍ ذَلِكَ قالَ : ((لَوْ عَلِمْنا أَنَّهُ يَرْجِعُ لَما تَزَوَّجْنا نِساءَهُ وقَسَّمْنا مِيراثَهُ)) .

فَهَذا هُوَ المُحِبُّ الغالِي الَّذي ذَكَرَهُ الصَّادِقُ المَصْدُوق ﷺ .

(إِنْ قِيلَ) كَيْفَ حَرَقَهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ الإمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقَدْ نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ كَما هُوَ ثابِتٌ فِي الأَحادِيث ؟

فالجَوابُ : لَعَلَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طَمِعَ بِإِيقادِ النَّارِ وإِلْهابِها وهُمْ يُشاهِدُونَ ذَلِكَ فِي أَنْ يَكُونَ داعِيًا لَهُمْ إِلَى الرُّجُوعِ والتَّوْبَة ، فَلَمَّا أَصَرُّوا عَلَى ذَلِكَ

رَأى اسْتِخْفافَهُمْ لأَعْظَم العُقُوباتِ لِعِظَم ما جاءُوا بِهِ ، وأَنَّهُ فَهِمَ مِنَ النَّهْيِ أَنَّهُ لا يُحْرَقُ بِالنَّارِ إذا لَمْ يَبْلُغِ الذَّنْبَ المُوجِبَ كَمِثْلِ ذَلِكَ ، أَوْ أَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ عِنْدَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ إعْلامٌ بإِحْراقِهِمْ مُخَصِّصًا للنَّهْيِ .

إنَّما شَفِيعُ الإمامِ فِي هَذِهِ الصَّرامَةِ أَنَّهُ كانَ هُوَ المُسْتَهْدَفَ لِتِلْكَ الضَّلالَة ، وهُوَ مَظَنَّةُ الرِّيبَةِ فِي الهَوادَةِ فِيها ، فَهُوَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُنَزِّهُ عَدْلَهُ عَنْ كُلِّ ظَنٍّ حَيْثُ تُظَنُّ بِالهَوادَةِ جَمِيعُ الظُّنُون ؛ وقَدْ أَحْرَقَ الَّذِينَ أَلَّهُوه ، ونَهَى عَنْ قِتالِ الخَوارِجِ الَّذِينَ حَكَمُوا بِكُفْرِهِ إلَّا أَنْ يُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ أَوْ يَبْدَؤُوا بِالعُدْوانِ عَلَى بَرِيء ، وفِي هَذا الإنْصافِ بَيْنَ مُؤَلِّهِيهِ ومُكَفِّرِيهِ شَفاعَةٌ مِنْ تِلْكَ الصَّرامَةِ فِي العِقاب .

الخَصِيصَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ : رَدُّ الشَّمْسِ لأَجْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِدَعْوَةِ النَّبِيِّ ﷺ :

وَعَلَيْهِ الشَّمْسُ رُدَّتْ فَغَدَا ۞ أُفْقُهَا مِنْ بَعْدِ إظْلامٍ مُضِيَّا

وهُوَ إشارَةٌ إلَى المُعْجِزَةِ النَّبَوِيَّةِ السَّنِيَّةِ والفَضِيلَةِ العَجِيبَةِ العَلَوِيَّةِ ؛ وهِيَ قِصَّةُ رَدِّ الشَّمْسِ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالدَّعْوَةِ النَّبَوِيَّة .

عَنِ الإمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : لَمَّا كُنَّا بِخَيْبَرَ سَهِرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي القِتالِ ، فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ وكانَ مَعَ صَلاةِ العَصْرِ جِئْتُهُ ولَمْ أُصَلِّ

صَلاةَ العَصْر ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِي فَنامَ فاسْتَثْقَلَ فَلَمْ يَسْتَيْقِظْ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ﷺ مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قُلْتُ : يا رَسُولَ اللّٰهِ ما صَلَّيْتُ صَلاةَ العَصْرِ كَراهِيَةَ أَنْ أُوقِظَكَ مِنْ نَوْمِكَ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَدَهُ وقالَ : (اللهُمَّ إِنَّ عَبْدَكَ تَصَدَّقَ بِنَفْسِهِ عَلَى نَبِيِّكَ فارْدُدْ عَلَيْهِ شُرُوقَها) ، فَرَأَيْتُها عَلَى الجِبالِ بَيْضاءَ نَقِيَّةً حَتَّى قُمْتُ وتَوَضَّأْتُ وصَلَّيْتُ ثُمَّ غابَت(١) .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ عَلِيٌّ يَوْمَ الشُّورَى : أَنْشُدُكُمْ بِاللّٰهِ هَلْ مِنْكُمْ مَنْ رُدَّتْ لَهُ الشَّمْسُ غَيْرِي حِينَ نامَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وجَعَلَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِي حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ فانْتَبَهَ فَقالَ : (يا عَلِيُّ صَلَّيْتَ العَصْرَ ؟) ، فَقُلْتُ اللهُمَّ لا ، فَقالَ : (اللهُمَّ ارْدُدْها عَلَيْهِ فَإِنَّهُ كانَ فِي طاعَتِكَ وطاعَةِ رَسُولِكَ) ذَكَرَها الحافِظُ السُّيُوطِي فِي الجامِعِ فِي مُسْنَدِ أَمِيرِ المُؤْمِنِين ، وذَكَرَ القاضِي العَلَّامَةُ المالِكِي عِياضُ اليَحْصُبِي فِي ((الشِّفاء بِتَعْرِيفِ حُقُوقِ المُصْطَفى)) فِي قِسْمِ المُعْجِزاتِ ما لَفْظُهُ : وخَرَّجَ الطَّحاوِي فِي مُشْكِلِ الحَدِيثِ عَنْ أَسْماءَ بِنْتِ عُمَيْس رَضِيَ اللهُ عَنْها مِنْ طَرِيقَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كانَ يُوحَى إِلَيْهِ ورَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَلَمْ

---

(١) كِتابُ رَدِّ الشَّمْس : أَبو الحَسَن شاذان الفَضْلِي .

يُصَلِّ العَصْرَ حَتَّى غابَتِ الشَّمْسُ ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (صَلَّيْتَ يا عَلِيُّ ؟) ، قالَ : لا ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (اللهُمَّ إِنَّهُ كانَ فِي طاعَتِكَ وطاعَةِ رَسُولِكَ فارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ) .

قالَتْ أَسْماء : فَرَأَيْتُها غَرَبَتْ ثُمَّ رَأَيْتُها طَلَعَتْ بَعْدَما غَرَبَتْ ووَقَعَتْ عَلَى الجِبالِ والأَرْضِ ، وذَلِكَ بِالصَّهْباءِ فِي خَيْبَر .

وهاهُنا سُؤالات (الأَوَّلُ) : أَنَّهُ قَدْ يُقالُ كَيْفَ جازَ لِعَلِيٍّ تَرْكُ صَلاةِ العَصْرِ عَمْدًا ؟ وهَلَّا أَيْقَظَ الرَّسُولَ أَوْ وَضَعَ رَأْسَهُ عَنْ حِجْرِهِ ؟

(والجَوابُ) : أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ وُجُوبُ إِجابَةِ مَنْ كانَ فِي الصَّلاةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِنْ دَعاهُ كَما ساقَهُ المُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللهِ تَعالَى : ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ ؛ فَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ عَلَى أُبَيِّ بنِ كَعْبٍ رضي الله عنه فَناداهُ وهُوَ يُصَلِّي فَعَجَّلَ فِي صَلاتِهِ ثُمَّ جاءَ فَقالَ ﷺ : (ما مَنَعَكَ مِنْ إِجابَتِي ؟) ، قالَ : كُنْتُ أُصَلِّي ، قالَ ﷺ : أَلَمْ تُخْبَرْ فِيما أُوحِيَ إِلَيَّ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ ، قالَ : لا جَرَمَ لا تَدْعُونِي إِلَّا أَجَبْتُكَ ؛ فَإِذا كانَ الخُرُوجُ مِنَ الصَّلاةِ لِإِجابَتِهِ ﷺ واجِبًا ، فَكَيْفَ طاعَتُهُ قَبْلَ الدُّخُولِ فِيها ؟

ثُمَّ إِنَّ طاعَةَ رَسُولِ اللّٰهِ مِنْ طاعَةِ اللّٰهِ تَعالَى وقَدْ قالَ اللّٰهُ تَعالَى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ ، ثُمَّ إِنَّ الأَحْكامَ الشَّرْعِيَّةَ كُلَّها مُسْتَفادَةٌ مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ؛ فَلَمَّا نامَ ﷺ فِي حِجْرِهِ رضي الله عنه وَجَبَتْ عَلَى عَلِيٍّ طاعَتُهُ حَتَّى يَقْضِيَ أَرَبَهُ ﷺ ، وإِذا كانَ تَرْكُ الصَّلاةِ جائِزًا مَعَ اتِّصالِ مُدافَعَةِ العَدُوِّ لأَنَّهُ طاعَةٌ للّٰهِ ولِرَسُولِهِ فَكَذَلِكَ مَعَ طاعَةِ رَسُولِهِ وفِيهِ أَيْضًا طاعَةٌ للّٰهِ عَلَى ما فِي رِوايَةِ أَسْماءَ بِنْتِ عُمَيْس رضي الله عنها الَّتِي أَخْرَجَها الطَّحاوِي عِنْدَ القاضِي عِياض : أَنَّهُ كانَ يُوحَى إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ورَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ ؛ فَهُوَ إِذًا طاعَةٌ للّٰهِ ولِرَسُولِهِ لأَنَّهُ لَوْ أَيْقَظَهُ ارْتَفَعَ الوَحْيُ فَرُبَّما يَكُونُ عاصِيًا بِإِيقاظِهِ ، وقَدْ أَخَّرَتِ الطَّائِفَةُ الخارِجَةُ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ صَلاةَ العَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ عَمَلًا بِقَوْلِهِ ﷺ : (لا تُصَلُّوا العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَة) ، وهَذا مِنْ فِقْهِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وعِلْمِهِ بِحَقِّ اللّٰهِ وحَقِّ رَسُولِهِ واتِّباعِهِ لأَمْرِهِ لا سِيَّما وقَدْ ظَهَرَ مِنْ قَوْلِهِ ﷺ لَهُ بَعْدَ أَنِ انْتَبَهَ مِنْ نَوْمِهِ : (يا عَلِيُّ أَصَلَّيْتَ العَصْرَ ؟) أَنَّهُ ﷺ كانَ عالِمًا أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه لَمْ يُصَلِّ العَصْرَ ، فَما تَرَكَ الصَّلاةَ وأَخَّرَها إِلَّا امْتِثالًا لأَمْرِهِ ﷺ كَما صَنَعَ الصَّحابَةُ الخارِجُونَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَة .

(الثَّانِي) : أَنَّهُ ما الحِكْمَةُ فِي دُعائِهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه بِرَدِّ الشَّمْس ؟ وَقَدْ فاتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الصَّلاةُ يَوْمَ الخَنْدَق الظُّهْرُ والعَصْرُ ، وفاتَهُ ﷺ هُوَ وأَصْحابَهُ الفَجْرُ لَيْلَةَ الوادِي حِينَ نامُوا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فَما بالُهُ ﷺ لَمْ يَدْعُ اللَّهَ بِرَدِّ الشَّمْسِ فِي الأَوَّلِ حَتَّى يَأْتِيَ هُوَ وأَصْحابُهُ بِالفَرِيضَتَيْنِ فِي وَقْتَيْهِما ؟

وما بالُهُ ﷺ لَيْلَةَ الوادِي ما دَعا اللَّهَ تَعالَى بِأَنْ يَرُدَّ اللَّيْلَ وما بالُ هَذِهِ القَضِيَّةِ الَّتِي مِثْلَ تِلْكَ القَضايا اخْتَصَّتْ بِهَذِهِ المُعْجِزَة ؟

(والجَوابُ) : أَنَّ هَذِهِ القَضايا غَيْرُ مُساوِيَةٍ لِقَضِيَّةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وأَنَّ بَيْنَها فَرْقًا هِيَ وتِلْكَ القَضايا ؛ فَإِنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا تَرَكَ هَذِهِ الصَّلاةَ عَمْدًا لا نِسْيانًا ولا لِنَوْم بَلْ لِطاعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِخِلافِ صَلاةِ الخَنْدَقِ فَلَمْ يَتْرُكْها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِذَلِكَ بَلْ إِمَّا لِنِسْيانٍ كَما يُرْشِدُ إِلَيْهِ حَدِيثُ جابِرٍ رضي الله عنه عِنْدَ الخَمْسَةِ[1] : أَنَّ سَيِّدَنا عُمَرَ رضي الله عنه جاءَ يَوْمَ الخَنْدَقِ بَعْدَ ما غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ وقالَ : يا رَسُولَ اللَّهِ ما كِدْتُ أُصَلِّي العَصْرَ حَتَّى كادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ ، فَقالَ ﷺ : (واللَّهِ ما صَلَّيْتُها ... الحَدِيث) ؛ لأَنَّهُ يُفْهِمُ أَنَّ

(١) البُخارِي ومُسْلِم والتِّرْمِذِي وابنُ ماجَه والنَّسائِي .

عُمَرَ ذَكَّرَهُ ﷺ ، وقَدْ ثَبَتَ أَنَّ مَنْ نامَ عَنْ صَلاتِهِ أَوْ نَسِيَها فَوَقْتُها حِينَ يَذْكُرُها .

وإِمَّا أَنَّهُ ﷺ تَرَكَها لانْشِغالِهِ بِالجِهادِ ومُدافَعَةِ الكُفَّارِ ؛ فَهِيَ حالَةٌ قَدْ أُبِيحَ فِيها تَرْكُ الصَّلاةِ ، عَلَى كُلِّ حالٍ فَلَيْسَتْ مِثْلَ صَلاةِ عَلِيٍّ رضي الله عنه .

وأَمَّا صَلاةُ الفَجْرِ الَّتِي نامَ عَنْها ﷺ وأَصْحابُهُ رضي الله عنهم فِي الوادِي فَإِنَّها لَمْ تُتْرَكْ إِلَّا لِلنَّوْمِ ، وقَدْ قالَ ﷺ : (مَنْ نامَ عَنْ صَلاتِهِ أَوْ نَسِيَها فَوَقْتُها حِينَ يَذْكُرُها) .

وأَمَّا صَلاةُ سَيِّدِنا عَلِيٍّ رضي الله عنه فَفاتَتْ فِي وَقْتِها وإِنْ كانَ مَعْذُورًا لِكَوْنِهِ فِي طاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَهَذِهِ كَرامَةٌ لَهُ رضي الله عنه وخُصُوصِيَّةٌ وفَضِيلَةٌ اخْتَصَّهُ اللهُ ورَسُولُهُ بِها ، وجُمِعَ لَهُ بَيْنَ أَجْرَيْنِ : أَجْرِ طاعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وأَجْرِ الإِتْيانِ بِالصَّلاةِ فِي وَقْتِها .

(الثَّالِثُ) : أَنَّ ذَلِكَ اليَوْمَ الَّذِي وَجَبَتْ فِيهِ صَلاةُ العَصْرِ قَدْ فاتَ بِغُرُوبِ شَمْسِهِ ودُخُولِ لَيْلَةٍ ثانِيَةٍ ، فَرُجُوعُ الشَّمْسِ لا يَرْجِعُ مَعَهُ ذَلِكَ الوَقْتُ ، فَهَذِهِ الصَّلاةُ لَيْسَتْ صَلاةَ عَصْرِ ذَلِكَ اليَوْمِ .

(والجَوابُ) : أَنَّ هَذا سُؤالٌ لا يُسْمَعُ لأَنَّ ذَلِكَ حُكْمُ اللهِ ورَسُولِهِ ؛ ولِلّهِ ورَسُولِهِ أَنْ يُخَصِّصَ ما شاءَ بِما شاءَ ، وقَدْ جَعَلَ ﷺ الصَّلاةَ المَنُومَ

عَنْها والمَنْسِيَّةَ الَّتي تُؤَدَّى فِي غَيْرِ وَقْتِها هِيَ الَّتي تُؤَدَّى فِي وَقْتِها الفائت ، فَكَذَلِكَ خُصَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِهَذِهِ الفَضِيلَةِ الَّتي لَمْ تَتَّفِقْ إِلاَّ لِنَبِيِّ اللّهِ يُوشَع بنِ نُون عَلَيْهِ السَّلامُ ؛ فَإِنَّهُ فِي بَعْضِ حُرُوبِهِ لِلمُشْرِكِينَ خافَ فَواتَ الوَقْتِ ولَمْ يُصَلِّ ، فَقالَ عَلَيْهِ السَّلامُ لِلشَّمْس : إِنَّكِ مَأْمُورَةٌ وأَنا مَأْمُورٌ فَلا تَغْرُبِي ، فَطَلَعَتِ الشَّمْسُ وذَلِكَ مَشْهُورٌ وإِلَيْهِ لَمَّحَ أَبو تَمَّامٍ فِي قَوْلِهِ :

فَوَاللّهِ مَا أَدْرِي أَأَحْلامُ نَائِمٍ ۞ أَلَمَّتْ بِنَا أَمْ كانَ فِي الرَّكْبِ يُوشَعُ

ولَمَّحَ المَعَرِّي أَيْضًا فِي قَوْلِهِ :

وَيُوشَعُ رَدَّ يُوحَا بَعْضَ يَوْمٍ ۞ وَأَنْتَ إِذَا سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَا

ويُوح : مِنْ أَسْماءِ الشَّمْس وإِلَيْها لَمَحَّ أَحْمَد شَوْقِي بِقَوْلِهِ :

قِفِي يَا أُخْتَ ((يُوشَعَ)) خَبِّرِينَا ۞ أَحَادِيثَ الْقُرُونِ الْغَابِرِينَا

الخَصِيصَةُ الخامِسَةَ عَشْرَةَ : مَدْحُ المَوْلَى صَدَقَتَهُ وهُوَ راكِعٌ فِي الصَّلاةِ فِي قُرْآنٍ يُتَعَبَّدُ بِتِلاوَتِهِ عَلَى مَرِّ السَّاعَةِ فِي الصَّلاةِ وخارِجَ الصَّلاة :

وَالَّذي زَكَّى بِمَا فِي كَفِّهِ ۞ رَاكِعًا أَكْرِمْ بِهِ بَرًّا زَكِيًّا

التَّزْكِيَةُ مِنَ الزَّكاءِ وهُوَ النَّماءُ والزِّيادَة ، وسُمِّيَتِ الصَّدَقَةُ زَكاةً لأَنَّهُ يَزْكُو بِها المالُ ويَزِيدُ كَما صَرَّحَ بِذَلِكَ قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ ، وأَلْفاظُ

البَيْتِ واضِحَةٌ ، وبَيْنَ زَكَّى وزَكِيّ جِناسُ الاشْتِقاق ، والبَيْتُ إشارَةٌ إلَى صَدَقَةِ الإمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِخاتَمِهِ راكِعًا ونَزَلَتْ بِسَبَبِهِ الآيَةُ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ، ذَكَرَ ذَلِكَ المُحِبُّ الطَّبَرِي ونَسَبَهُ إلَى الإمامِ الواحِدِي .

أَخْرَجَ رُزَيْنُ العَبَّادِي إمامُ الحَرَمَيْنِ فِي كِتابِهِ ((الجَمْعُ بَيْنَ الأُمَّهاتِ السِّتِّ)) ، فِي تَفْسِيرِهِ سُورَةَ المائِدَةِ فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآيَة ، مِنْ رِوايَةِ النَّسائِي عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ سَلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لَهُ : إنَّ قَوْمَنا حَسَدُونا لَمَّا صَدَّقْنا اللهَ ورَسُولَهُ وأَقْسَمُوا أَنْ لا يُكَلِّمُونا ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ ، ثُمَّ أَذَّنَ بِلالٌ لِصَلاةِ الظُّهْر ، فَقامَ النَّاسُ يُصَلُّونَ فَمِنْ ساجِدٍ وراكِعٍ إذْ سائِلٌ يَسْأَلُ فَأَعْطاهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خاتَمَهُ وهُوَ راكِعٌ ، فَأَخْبَرَ السَّائِلُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَرَأَ عَلَيْنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ (١) .

وفِي تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِي قالَ السُّدِّي وعُيَيْنَةُ بنُ حَكِيم وغالِبُ بنُ عَبْدِ

---

(١) سُورَةُ المائِدَة : الآيَتان ٥٥ ، ٥٦ .

اللّه : إنَّما عَنَى بِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ لأَنَّهُ مَرَّ سائِلٌ وهُوَ راكِعٌ فِي المَسْجِدِ فَأَعْطاهُ خاتَمَهُ ، وبِإِسْنادِهِ إِلَى ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : مَرَّ سائِلٌ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفِي يَدِهِ خاتَمٌ ، قالَ : (مَنْ أَعْطاكَ هَذا الخاتَم ؟) ، قالَ : ذَلِكَ الرَّاكِعُ ، وكانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصَلِّي ، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الحَمْدُ للّهِ الَّذي جَعَلَها فِي أَهْلِ بَيْتِي ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ الآيَة) .

وكانَ نَقْشُ خاتَم عَلِيٍّ الَّذي تَصَدَّقَ بِهِ : **((سُبْحانَ مَنْ فَخْرِي بِأَنِّي لَهُ عَبْدٌ))** .

واعْلَمْ أَنَّ فِي هَذِهِ الآيَةِ مِنَ التَّقْوِيَةِ لِشَأْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والرَّفْعِ لِعُلُوِّ مَكانِهِ ما لا يُحِيطُ بِهِ الوَصْفُ ؛ فَلَقَدْ أَثْبَتَ الحَقُّ جَلَّ فِي عُلاهُ الوِلايَةَ فِي صَدْرِ الآيَةِ لِذاتِهِ الشَّرِيفَةِ وثَنَّى بِها لِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وثَلَّثَ بِها لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فالحَدِيثُ إِلَيْهِ يُساقُ والسَّبَبُ وارِدٌ فِيه ، فَعَظَّمَ تَعالَى شَأْنَهُ بِقَرْنِ وِلايَتِهِ بِوِلايَتِهِ تَعالَى ووِلايَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ومِقْدارُ هَذِهِ الفَضِيلَةِ لا يُحِيطُ بِها القَلَمُ فَأَثْبَتَ لَهُ كَوْنَهُ وَلِيًّا لِلْمُخاطَبِينَ فِي الآيَةِ إِثْباتًا لا تَمْحُوهُ الأَعْوام ، وقُرْآنًا يُتْلَى فِي المَحارِيبِ عَلَى تَعاقُبِ اللَّيالِي والأَيَّام ، ويَسْتَوْطِنُ صُدُورَ المُؤْمِنِينَ ويُودَعُ طَيَّ المَصاحِفِ ،

ولا يَأْتِي بَسْطُ الكَلامِ فِي هَذِهِ الكَرارِيسِ المَوْضُوعَةِ لِنَشْرِ شَيْءٍ يَسِيرٍ مِنَ الفَضائِلِ فَإِنَّهُ يَمْلأُ حَوافِلَ الأَسْفارِ ، وكَمْ مِنَ الآياتِ الشَّرِيفَةِ الوارِدَةِ فِيهِ مِنْهُ تَعالَى ، والَّتي بِها عَلِيٌّ عَلا قَدْرًا وعَزَّ جاهًا .

الخَصِيصَةُ السَّادِسَةَ عَشْرَةَ للإِمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْه : حُبُّهُ عُنْوانُ التَّقْوَى وبُغْضُهُ عَيْنُ النِّفاقِ :

وَنِـفَاقٌ بُغْـضُهُ صَـحَّ كَمَا ۞ حُبُّهُ عُنْوانُ مَنْ كانَ تَقِيًّا

مَنْ نافَقَ فِي الدِّينِ سَتَرَ كُفْرَهُ وأَظْهَرَ إيمانَهُ ، والعُنْوانُ كُلُّ ما يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى شَيْءٍ مُضْمَرٍ ؛ والبَيْتُ إشارَةٌ إِلَى ما ثَبَتَ عَنْهُ ﷺ مِنَ الأَخْبارِ بِأَنَّهُ لا يُحِبُّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْه إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنافِقٌ ، ومِنْ أَنَّ حُبَّهُ إِيمانٌ وبُغْضَهُ نِفاقٌ .

ونَسْتَطْرِدُ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْه مِنْ أَحَبِّ الخَلْقِ إِلَى اللهِ بَعْدَ رَسُولِهِ ﷺ ، وأَنَّهُ مِنْ أَحَبِّ الخَلْقِ إِلَى رَسُولِهِ ﷺ ، وأَنَّ اللهَ جَعَلَ لَهُ فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ وُدًّا .

(أَمَّا الأَوَّلُ) فَنَقُولُ : أَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ الإِمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْه أَنَّهُ قالَ : ((والَّذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّهُ لَعَهْدُ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ لا يُحِبُّنِي إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُنِي إِلَّا مُنافِقٌ)) .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي المَناقِبِ مِنْ حَدِيثِ المُطَّلِب بنِ عَبْدِ اللهِ بن حَنْطب ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (يا أَيُّها النَّاسُ أُوصِيكُمْ بِحُبِّ أَخِي وابنِ عَمِّي عَلِيِّ بنِ أَبي طالِب ، إِنَّهُ لا يُحِبُّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُهُ إِلَّا مُنافِق) .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَتْ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : (إِنَّ السَّعِيدَ كُلَّ السَّعِيدِ حَقَّ السَّعِيدِ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَياتِهِ وبَعْدَ مَوْتِهِ) .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ قالَتْ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ : (لا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ ولا يُبْغِضُكَ إِلَّا مُنافِق) .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ أَيْضًا عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ قالَ قُلْتُ لِجابِر : كَيْفَ كانَ عَلِيٌّ فِيكُمْ ؟ قالَ : «ذاكَ مِنْ خَيْرِ البَشَر ، ما كُنَّا نَعْرِفُ المُنافِقِينَ إِلَّا بِبُغْضِهِمْ إِيَّاه» .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عَمَّارِ بنِ ياسِر رضي الله عنه قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ : (طُوبَى لِمَنْ أَحَبَّكَ يا عَلِيُّ وصَدَّقَ فِيكَ ، ووَيْلٌ لِمَنْ أَبْغَضَكَ وكَذَّبَ فِيكَ) .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ : «إِنَّما كُنَّا نَعْرِفُ مُنافِقِي الأَنْصارِ بِبُغْضِهِمْ عَلِيًّا» .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ فِي عَلِيِّ ابنِ أَبِي طالِب بِمَحْضَرٍ مِنْ عُمَرَ فَقالَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((تَعْرِفُ صاحِبَ هَذا القَبْرِ ؟ هُوَ مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِب ، وعَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب بنِ عَبْدِ المُطَّلِب ، فَلا تَذْكُرْ عَلِيًّا إِلَّا بِخَيْر ؛ لأَنَّكَ إِنْ أَبْغَضْتَهُ آذَيْتَ هَذا فِي قَبْرِه)) ، وهَذِهِ قَطْرَةٌ مِنْ أَحادِيثِ البابِ وهِيَ كَثِيرَةٌ شَهِيرَةٌ مُخَرَّجَةٌ لا يَبْعُدُ ادِّعاءُ تَواتُرِها للباحِثِ عَنْ كُتُبِ السُّنَّة .

(وأَمَّا الثَّانِي) : وهُوَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ لِسَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي القُلُوبِ وُدًّا ؛ فِيما أَخْرَجَهُ الفَقِيهُ العَلَّامَةُ ابنُ المُغازِلِي الشَّافِعِي بِسَنَدِهِ إِلَى ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِي وأَخَذَ بِيَدِ عَلِيٍّ فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعاتٍ ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ فَقالَ : (اللهُمَّ سَأَلَكَ مُوسَى بنُ عِمْرانَ بِمَسْأَلَةٍ ، وأَنا مُحَمَّدٌ أَسْأَلُكَ أَنْ تَشْرَحَ لِي صَدْرِي ، وتُيَسِّرَ لِي أَمْرِي ، وتَحْلُلَ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي ، يَفْقَهُوا قَوْلِي ، وتَجْعَلَ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ، عَلِيًّا اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ، وأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) ، قالَ ابنُ عَبَّاس : فَسَمِعْتُ مُنادِيًا يُنادِي : يا أَحْمَدُ قَدْ أُوتِيتَ ما سَأَلْتَ ، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يا أَبا الحَسَن ، ارْفَعْ يَدَكَ إِلَى السَّماءِ وادْعُ رَبَّكَ واسْأَلْهُ يُعْطِكَ) ، فَرَفَعَ عَلِيٌّ يَدَهُ إِلَى السَّماءِ وهُوَ يَقُولُ : اللهُمَّ اجْعَلْ

لِي عِنْدَكَ عَهْدًا واجْعَلْ لِي عِنْدَكَ وُدًّا ، فَأَنْزَلَ اللهُ عَلَى نَبِيِّهِ :
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ وُدًّا﴾ .

الخَصِيصَةُ السَّابِعَةَ عَشْرَةَ للإمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه : رُجُوعُ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم إلَيْهِ فِي عِدَّةِ مَسائِلَ مُشْكِلَة :

كَمْ قَضَايَا حَارَ صَحْبُ الْمُصْطَفَىٰ ﷺ عِـنْدَهـا أَبْـدَى لَـهَا حُكْـمًا جَلِـيًّا

فَإِنَّهُ قَدْ ثَبَتَ رُجُوعُ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم إلَى الإمامِ عَلِيٍّ فِي عِدَّةِ مَسائِلَ مُشْكِلَة :

• عَنْ أُذَيْنَةَ العَبْدِي قالَ : أَتَيْتُ عُمَرَ فَسَأَلْتُهُ مِنْ أَيْنَ أَعْتَمِرُ ؟ فَقالَ : ((ائْتِ عَلِيًّا فاسْأَلْهُ)) .

• وعَنْ أَبِي حازِم قالَ : جاءَ رَجُلٌ إلَى مُعاوِيَةَ فَسَأَلَهُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَقالَ : سَلْ عَنْها عَلِيًّا فَهُوَ أَعْلَمُ ، فَقالَ : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ جَوابُكَ فِيها أَحَبُّ إلَيَّ مِنْ جَوابِ عَلِيٍّ ، قالَ : ((بِئْسَ ما قُلْتَ ، لَقَدْ كَرِهْتَ رَجُلًا كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْرِزُهُ بِالعِلْمِ غَرْزًا ، وقَدْ قالَ لَهُ : أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هارُونَ مِنْ مُوسَى إلَّا أَنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي ، وكانَ عُمَرُ إذا أَشْكَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ أَخَذَ مِنْهُ))[1] .

---

(١) أَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ فِي المَناقِب ، والغَرازَةُ : الكَثْرَة ، وغُرِزَ الشَّيْءُ : كَثُرَ .

• وعَنْ أُمِّ المُؤْمِنينَ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها وقَدْ سُئِلَتْ عَنِ المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ ، فَقالَتْ : ((ائْتِ عَلِيًّا فاسْأَلْهُ)) ، أَخْرَجَهُ مُسْلِم .

• عَنْ حَنَشِ بنِ المُعْتَمِرِ أَنَّ رَجُلَيْنِ أَتَيا امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ فاسْتَوْدَعاها مِئَةَ دِينارٍ وقالا لَها : لا تَدْفَعِيها إِلَى أَحَدٍ مِنَّا دُونَ صاحِبِهِ حَتَّى نَجْتَمِعَ ، فَلَبِثا حَوْلاً ، ثُمَّ جاءَ أَحَدُهُما إِلَيْها ، فَقالَ : إِنَّ صاحِبِي قَدْ ماتَ ، ادْفَعِي إِلَيَّ الدَّنانِير ، فَأَبَتْ فَثَقَلَ عَلَيْها بِأَهْلِها فَلَمْ يَزالُوا بِها حَتَّى دَفَعَتْها إِلَيْه ، ثُمَّ لَبِثَتْ حَوْلاً آخَرَ فَجاءَ الآخَرُ فَقالَ : ادْفَعِي إِلَيَّ الدَّنانِيرَ ، قالَتْ : إِنَّ صاحِبَكَ قَدْ جاءَنِي وزَعَمَ أَنَّكَ قَدْ مُتَّ ، فَدَفَعْتُها إِلَيْهِ ، فاخْتَصَما إِلَى عُمَرَ رضي الله عنه فَأَرادَ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْها فَقالَتْ : أَنْشُدُكَ اللّٰهَ أَنْ لا تَقْضِيَ بَيْنَنا وارْفَعْنا إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب ، فَرَفَعَهُما إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه ، فَعَرَفَ أَنَّهُما قَدْ مَكَرا بِها ، فَقالَ : أَلَيْسَ قُلْتُما لا تَدْفَعِيها إِلَى واحِدٍ مِنَّا دُونَ صاحِبه ؟ قالَ : بَلَى ، فَقالَ رضي الله عنه : إِنَّ مالَكَ عِنْدَنا ، فاذْهَبْ فَجِئْ بِصاحِبِكَ حَتَّى تَدْفَعَها إِلَيْكُما .

• وعَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّب ، قالَ : ((كانَ عُمَرُ يَتَعَوَّذُ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَها أَبُو الحَسَنِ)) . أَخْرَجَهُ الإِمامُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل .

• وعَنْ مُحَمَّدِ بنِ الزُّبَيْرِ قالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ فَإِذا أَنا بِشَيْخٍ

قَدِ الْتَوَتْ تُرْقُوتاهُ مِنَ الكِبَرِ ، فَقُلْتُ : يا شَيْخُ مَنْ أَدرَكْتَ ؟ فَقالَ : عُمَرُ ، فَقُلْتُ : فَما غَزَوْتَ مَعَهُ ؟ قالَ : اليَرْمُوك ، فَقُلْتُ : حَدِّثْنِي شَيْئًا سَمِعْتَهُ ، قالَ : خَرَجْتُ مَعَ فِتْيَةٍ حُجَّاجًا فَأَصَبْنا بَيْضَ نَعامٍ ، وقَدْ أَحْرَمْنا ، فَلَمَّا قَضَيْنا نُسُكَنا ذَكَرْنا ذَلِكَ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ ، فَأَدْبَرَ وقالَ : اتَّبِعُونِي حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَى حُجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَضَرَبَ حُجْرَةً مِنْها فَأَجابَتْهُ امْرَأَةٌ فَقالَ : أَثَمَّ أَبو الحَسَنِ ؟ قالَتْ : لا ، قالَ : فَأَيْنَ هُوَ ؟ قالَتْ : فِي المَقْناةِ(١) ، فَأَدْبَرَ وقالَ : اتَّبِعُونِي حَتَّى أَنْتَهِيَ إِلَيْهِ وهُوَ يُسَوِّي التُّرابَ بِيَدِهِ ، فَقالَ عَلِيٌّ : مَرْحَبًا يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، فَقالَ : إِنَّ هَؤُلاءِ أَصابُوا بَيْضَ نَعامٍ وهُمْ مُحْرِمُونَ ، قالَ عَلِيٌّ : أَلا أَرْسَلْتَ إِلَيَّ ؟ قالَ عُمَرُ : أَنا أَحَقُّ بِإِتْيانِكَ ، قالَ عَلِيٌّ : يُضْرِبُونَ الفَحْلَ قَلائِصَ أَبْكارًا بِعَدَدِ البَيْضِ فَما نَتَجَ مِنْها أَهْدَوْهُ ، قالَ : إِنَّ الإِبِلَ تَخْدَجُ ، فَقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : والبَيْضُ تَمْرَضُ ، فَلَمَّا أَدْبَرَ عُمَرُ رضي الله عنه قالَ : ((اللهُمَّ لا تُنْزِلْ بِي شِدَّةً إِلَّا وأَبُو الحَسَنِ إِلَى جَنْبِي)) .

• وعَنْ يَحْيَى بنِ عَقِيل ، قالَ : كانَ عُمَرُ يَقُولُ لِعَلِيٍّ إِذا سَأَلَهُ وفَرَّجَ عَنْهُ : ((لا أَبْقانِي اللهُ بَعْدَكَ يا عَلِيُّ)) .

---

(١) المَقْناةُ : المَوْضِعُ الَّذي لا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ فِي الشِّتاء ، كَما فِي القامُوس .

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ يَقُولُ لِعَلِيٍّ وقَدْ سَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَأَجابَهُ : ((أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَعِيشَ فِي يَوْمٍ لَسْتَ فِيهِ أَبا الحَسَنِ)) .

• وعَنْ مُوسَى بنِ طَلْحَةَ أَنَّ عُمَرَ رضي الله عنه اجْتَمَعَ عِنْدَهُ مالٌ فَقَسَّمَهُ فَفَضَلَ مِنْهُ فَضْلَةٌ فاسْتَشارَ أَصْحابَهُ فِي ذَلِكَ ، قالُوا : نَرَى أَنْ تُمْسِكَهُ فَإِنِ احْتَجْتَ إِلَى شَيْءٍ كانَ عِنْدَكَ ، وعَلِيٌّ فِي القَوْمِ لا يَتَكَلَّمُ ، فَقالَ عُمَرُ : ما لَكَ لا تَتَكَلَّمُ يا عَلِيُّ ؟ قالَ : قَدْ أَشارَ عَلَيْكَ القَوْمُ ، قالَ عُمَرُ : وأَنْتَ فَأَشِرْ ، قالَ عَلِيٌّ : أَرَى أَنْ تُقَسِّمَهُ ، فَفَعَلَ .

أَخْرَجَ جَمِيعَ ذَلِكَ ابنُ السَّمَّان ، ونَقَلَهُ المُحِبُّ الطَّبَرِي فِي الذَّخائِرِ .

• وفِي الجامِعِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ قالَ : وَرَدَتْ عَلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وارِدَةٌ قامَ مِنْها وقَعَدَ وتَغَيَّرَ وتَرَبَّدَ وجَمَعَ لَها أَصْحابَ النَّبِيِّ ﷺ وعَرَضَها عَلَيْهِمْ وقالَ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فَقالُوا جَمِيعًا : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنْتَ المَفْزَعُ وأَنْتَ المَنْزَعُ ، فَغَضِبَ عُمَرُ وقالَ : ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ ، فَقالُوا : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ما عِنْدَنا مِمَّا سَأَلْتَنا عَنْهُ شَيْءٌ ، فَقالَ : أَما واللهِ إِنِّي لأَعْرِفُ أَيْنَ بَجْدَتُها وأَيْنَ مَفْزَعُها ، فَقالُوا : كَأَنَّكَ تَعْنِي ابنَ أَبِي طالِبٍ ، قالَ عُمَرُ : هُوَ هُوَ وهَلْ طَفَحَتْ حُرَّةٌ بِمِثْلِهِ ؟ انْهَضُوا بِنا إِلَيْهِ ، فَقالُوا :

يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ تَسِيرُ إِلَيْه ؟ يَأْتِيكَ ، فَقالَ : هَيْهاتَ ، هُناكَ شُجْنَةٌ مِنْ هاشِمٍ ولُحْمَةٌ مِنَ الرَّسُولِ وأَثَرَةٌ مِنْ عِلْمٍ يُؤْتَى لَها ولا تَأْتِي ، فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الحَكَمُ ، فانْطَلَقُوا نَحْوَهُ فَأَلْفَوْهُ فِي حائِطٍ وهُوَ يَقْرَأُ : ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ ، ويُرَدِّدُها ويَبْكِي ، فَقالَ عُمَرُ لِشُرَيْح : حَدِّثْ أَبا الحَسَنِ بِالَّذي حَدَّثْتَنا بِهِ ، فَقالَ شُرَيْح : كُنْتُ فِي مَجْلِسِ الحُكْمِ فَأَتَى هَذا الرَّجُلُ فَذَكَرَ أَنَّ رَجُلًا أَوْدَعَهُ امْرَأَتَيْنِ : حُرَّةً مَهِيرَةً[1] وأُمَّ وَلَد ، وقالَ لَهُ : أَنْفِقْ عَلَيْهِما حَتَّى أَقْدُمَ ، فَلَمَّا كانَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَضَعَتا جَمِيعًا إِحْداهُما ابْنًا والأُخْرَى بِنْتًا وكِلْتاهُما تَدَّعِي الابْنَ وتَنْتَفِي مِنَ البِنْتِ مِنْ أَجْلِ المِيراث ، فَقالَ لَهُ : بِمَ قَضَيْتَ بَيْنَهُما ؟ فَقالَ لَهُ : لَوْ كانَ عِنْدِي ما أَقْضِي بَيْنَهُما لَمْ آتِكَ بِهِما .

فَدَعا عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَدَحٍ وقالَ لِإِحْدَى المَرْأَتَيْنِ : احْلِبِي ، فَحَلَبَتْ فَوَزَنَهُ ، ثُمَّ قالَ لِلأُخْرَى : احْلِبِي ، فَحَلَبَتْ فَوَزَنَهُ فَوَجَدَهُ عَلَى النِّصْفِ مِنْ لَبَنِ الأُولَى ، فَقالَ لَها : خُذِي أَنْتِ ابْنَتَكِ ، وقالَ لِلأُولَى : خُذِي أَنْتِ ابْنَكِ ، ثُمَّ قالَ لِشُرَيْح : أَما عَلِمْتَ أَنَّ لَبَنَ الجارِيَةِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ لَبَنِ الغُلامِ .

(١) المَهِيرَة : الغالِيَةُ المَهْر .

فَأُعْجِبَ بِهِ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِعْجابًا شَدِيدًا ثُمَّ قالَ : يا أَبا الحَسَنِ ، لا أَبْقانِي اللَّهُ لِشِدَّةٍ لَسْتَ بِها ولا فِي بَلَدٍ لَسْتَ فِيه .

• جِيءَ إِلَى سَيِّدِنا عُمَرَ بنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِامْرَأَةٍ زانِيَةٍ يُشْتَبَهُ فِي حَمْلِها ، فاسْتَفْتَى الإمامَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَأَفْتَى بِوُجُوبِ الإِبْقاءِ عَلَيْها حَتَّى تَضَعَ جَنِينَها ، وقالَ لَهُ : إِنْ كانَ لَكَ سُلْطانٌ عَلَيْها ، فَلا سُلْطانَ لَكَ عَلَى ما فِي بَطْنِها .

• وانْتَزَعَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْرَأَةً مِنْ أَيْدِي المُوَكَّلِينَ بِإِقامَةِ الحَدِّ عَلَيْها ، وسَأَلَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أَما سَمِعْتَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : (رُفِعَ القَلَمُ عَنْ ثَلاثَة : عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ ، وعَنِ المُبْتَلَى حَتَّى يَعْقِلَ) ؟ ، قالَ عُمَرُ : بَلَى ، قالَ عَلِيٌّ : فَهَذِهِ مُبْتَلاةُ بَنِي فُلان ، فَلَعَلَّهُ أَتاها وهُوَ بِها ، قالَ عُمَرُ : لا أَدْرِي ، قالَ عَلِيٌّ : وأَنا لا أَدْرِي ، فَتَرَكَ رَجْمَها للشَّكِّ فِي عَقْلِها .

• وأُتِيَ سَيِّدُنا عُمَرُ بِامْرَأَةٍ أَجْهَدَها العَطَشُ ، فَمَرَّتْ عَلَى راعٍ فاسْتَسْقَتْهُ ، فَأَبَى أَنْ يَسْقِيَها إِلَّا أَنْ تُمَكِّنَهُ مِنْ نَفْسِها ، فَفَعَلَتْ ، فَشاوَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ النَّاسَ فِي رَجْمِها ، فَقالَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ : هَذِهِ مُضْطَرَّةٌ إِلَى ذَلِكَ ، فَخَلَّى سَبِيلَها .

فَهَذِهِ عُيُونٌ مِنَ القَضايا الَّتي رَجَعَ فِيها الصَّحابَةُ رضي الله عنهم إلَيْهِ فَكَشَفَ الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَماها ، وأَنارَ شَمْسَ ضُحاها ، وأَتَى فِيها بِأَحْكامٍ لا تُفاضُ إلَّا مِنْ فَيْضِ عُلُومِ الرَّسُولِ ﷺ ، ولا يَهْتَدِي إلَيْها فِكْرٌ سِواه ، ولا لِذِهْنٍ غَيْرُهُ إلَيْها وُصُول .

ولَوْ تَتَبَّعْنا ما وَرَدَ لَطالَ المَقال ، وخَرَجْنا إلَى مُؤَلَّفٍ حَقِيقٍ بِالاسْتِقْلال .

وَلَكَمْ ظَمْآنُ وَافَى بَحْرَهُ ۞ فَغَدَا مِنْ بَحْرِهِ الْعَذْبِ رَوِيًّا

فَهْوَ بَحْرٌ عَنْهُ فَاضَتْ أَبْحُرٌ ۞ فَاعْتَرِفْ مِنْهَا إذَا كُنْتَ ذَكِيًّا

الخَصِيصَةُ الثَّامِنَةَ عَشْرَةَ : الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَحَدُ رُؤُوسِ أَهْلِ البَيْتِ وأُسُّ سَفِينَةِ النَّجاة :

• عَنْ عَمْرِو بنِ أَبِي سَلَمَةَ رَبِيبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قالَ : نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَة ، فَدَعا النَّبِيُّ ﷺ فاطِمَةَ وحَسَنًا وحُسَيْنًا فَجَلَّلَهُمْ بِكِساءٍ وعَلِيٌّ خَلْفَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قالَ : (اللهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وحامَّتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرا) ، قالَتْ أُمُّ سَلَمَة : وأَنا مَعَهُمْ يا رَسُولَ الله ، قالَ : أَنْتِ عَلَى خَيْرٍ أَنْتِ مِنْ أَزْواجِ النَّبِيِّ (١) .

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي .

• وعَنِ السَّيِّدَةِ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم جَلَّلَ عَلَى الحَسَنِ والحُسَيْنِ وعَلِيٍّ وفاطِمَةَ كِساءً فَقالَ : (اللهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي وحامَّتِي فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرا) ، قالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ : وأَنا مَعَهُمْ يا رَسُولَ الله ، قالَ صلى الله عليه وسلم : أَنْتِ عَلَى خَيْرٍ [1] .

الحامَّةُ : الخاصَّةُ ؛ يُقالُ جِئْناكُمْ فِي الحامَّةِ لا فِي العامَّةِ ومِنْهُ الحَمِيم .

• وعَنِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها قالَتْ : (خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ذاتَ غَداةٍ وعَلَيْهِ مِرْطٌ [2] مُرَجَّلٌ ، فَجاءَ الحَسَنُ فَأَدْخَلَهُ ، ثُمَّ جاءَ الحُسَيْنُ فَأَدْخَلَهُ ، ثُمَّ جاءَتْ فاطِمَةُ فَأَدْخَلَها ، ثُمَّ جاءَ عَلِيٌّ فَأَدْخَلَهُ فِيهِ ، ثُمَّ قالَ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [3] .

هَذِهِ الأَحادِيثُ أَفادَتْ أَنَّ الآيَةَ فِيهِمْ ورَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم داخِلٌ مَعَهُمْ ، والدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ما أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه فِي قَوْلِ اللّهِ تَعالَى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ قالَ : ((نَزَلَتْ فِي خَمْسَةٍ : رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وعَلِيٌّ ، وفاطِمَةُ ، والحَسَنُ ، والحُسَيْنُ)) ، وأَخْرَجَهُ الإمامُ أَحْمَدُ فِي المَناقِب .

---

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِي وقالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح . (٢) مِرْط : مِئْزَرٌ مِنْ خَزٍّ أَوْ صُوف .
(٣) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِه .

وهَؤُلاءِ الأَرْبَعَةُ أَيْضًا هُمْ أُولُو القُرْبَى الَّتي نَزَلَتْ فِيهِمْ آيَةُ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ؛ كَما أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي المَناقِبِ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ ، قالُوا : يا رَسُولَ اللهِ مَنْ قُرْباك الَّذينَ وَجَبَتْ عَلَيْنا مَودَّتُهُمْ ؟ قالَ ﷺ : (عَلِيٌّ ، وفاطِمَةُ ، وابْناهُما) .

وأَخْرَجَ المُلَّا فِي سِيرَتِهِ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ : (إِنَّ اللّهَ جَعَلَ أَجْرِي عَلَيْكُمْ المَوَدَّةَ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَأَنا سائِلُكُمْ غَدًا عَنْهُمْ) .

وأَهْلُ بَيْتِهِ ﷺ هُمُ السَّفِينَةُ المُشارُ إِلَيْها فِيما أَخْرَجَهُ الحاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الغِفاري رَضِيَ اللهُ عَنهُ عَنْهُ ﷺ : (مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي مَثَلُ سَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَها نَجا ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها هَلَكَ) .

وأَخْرَجَ المُلَّا فِي سِيرَتِهِ مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنهُ : (مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَها نَجا ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها غَرِقَ) .

وأَخْرَجَ ابنُ السَّرِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (مَثَلُ أَهْلِ بَيْتِي كَسَفِينَةِ نُوحٍ مَنْ رَكِبَها نَجا ومَنْ تَعَلَّقَ بِها فازَ ومَنْ تَخَلَّفَ عَنْها زُجَّ فِي النَّارِ) .

وهَذا قَلِيلٌ مِنْ كَثِير ، وصَغِيرٌ مِنْ كَبِير ، سَرَدْناهُ رَجاءَ أَلَّا نُحْرَمَ بِذِكْرِهِمْ مِنَ الرَّحَمات ، وأَمَّا الاسْتِيفاءُ لِذَلِكَ فَتَعْجَزُ عَنْهُ المُجَلَّدات .

الخَصِيصَةُ التَّاسِعَةَ عَشْرَةَ : الإمامُ عَلِيٌّ أَكْثَرُ الخَلْقِ وِراثَةً لِبَلاغَةِ سَيِّدِ الخَلْقِ ﷺ :

وَالْبَـلاغـاتُ إِلَـيْهِ تَنْتَـهِـي ۞ نَهْجُهُ فِيهَا يُرَى النَّهْجَ السَّوِيَّا

إِنْ رَقَى الْمِنْبَرَ يَوْمًا خَاطِبًا ۞ عَـادَ سُحْبَانُ لَـدَيْـهِ بَاقِلِيَّا

وفِي هَذا إِشارَةٌ إِلَى ما أَعْطاهُ اللهُ مِنَ البَلاغَةِ وما أَجْراهُ مِنْ يَنابِيعِ المَواعِظِ والحِكَمِ الَّتي اغْتَرَفَ مِنْها كُلُّ واعِظٍ وحَكِيم ، والنَّهْجُ : الطَّرِيقُ الواضِحُ ، وفِيهِ تَوْرِيَة ، وسُحْبانُ : هُوَ سُحْبانُ وائِلَ المَشْهُورُ بِالبَلاغَةِ الَّذي ضُرِبَتْ بِهِ الأَمْثالُ فِي ذَلِكَ ، وهُوَ الَّذي خَطَبَ مِنْ بَعْدِ العَصْرِ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ خُطْبَةً واحِدَةً ما تَلَعْثَمَ فِي كَلِمَةٍ مِنْها ولا خَرَجَ مِنْ مَعْنًى إِلَى آخَر ، وأَمَّا باقِل : فَهُوَ ضِدُّهُ مَعْرُوفٌ بِالعَياءِ(١) مَشْهُورٌ بِالفُكاهَةِ ولَهُ نُكَتٌ فِي ذَلِكَ مَشْهُورَةٌ مَسْطُورَة ، وقَدْ جَمَعَ بَيْنَهُما الأُدَباءُ كَثِيرًا بِجامِعِ التَّضادِّ ، ورَحِمَ اللهُ مُحَمَّدَ بنَ إِسْماعِيل الأَمِير فِي قَوْلِهِ :

وَلَيْـسَ مِـثْلَ بَـاقِـلٍ ۞ سُحْبَانُ حِينَ يَخْطُبُ

فَـذَاكَ عَـيٌّ أَبْكَـمٌ ۞ عَنْ نَفْسِهِ لا يُعْرِبُ

وَذَا بَلِـيـغٌ نَحْـوَهُ ۞ طَوْعًا تُساقُ الْخُطَبُ

---

(١) العَياءُ مَصْدَرُ عَيَّ بِالأَمْرِ إِذا عَجَزَ عَنْهُ .

هَذا وقَدْ ثَبَتَ بِلا نِزاعٍ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أُعْطِيَ مِنَ البَلاغَةِ ما فاقَ بِها مَنْ قَبْلَهُ ، واعْتَرَفَ بِها البُلَغاءُ مِنْ بَعْدِهِ ؛ فَهُوَ إِمامُ البُلَغاءِ وسَيِّدُ الفُصَحاءِ وِراثَةً عَنْ سَيِّدِ الأَنْبِياءِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وفِي كَلامِهِ قِيلَ : هُوَ دُونَ كَلامِ الخالِقِ ، وفَوْقَ كَلامِ المَخْلُوقِينَ ، ومِنْ كَلامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَعَلَّمَ النَّاسُ الكِتابَةَ والخَطابَةَ .

قالَ أَوْعَظُ خَلْقِ اللهِ ابنُ نَباتَة : حَفِظْتُ مِنْ مَواعِظِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِئَةَ فَصْلٍ ، ولَمَّا قالَ مِحْصَنُ بنُ أَبِي مِحْصَنٍ لِمُعاوِيَةَ : جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَعْيَى النَّاس ، قالَ : وَيْحَكَ ، كَيْفَ يَكُونُ أَعْيَى النَّاس ؟ واللهِ ما سَنَّ الفَصاحَةَ لِقُرَيْشٍ غَيْرُه ، وقالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ (جامِعُ نَهْجِ البَلاغَةِ وهُوَ إِمامُ البُلَغاءِ ومَنْ لا يُدْرِكُ شَأْوَهُ الشُّعَراءُ) : أَمَّا كَلامُهُ (يَعْنِي كَلامَ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) فَهُوَ البَحْرُ الَّذي لا يُساجَل ، والجَمُّ الَّذي لا يُحافَل ، وقالَ الشَّرِيفُ : إِنَّ كَلامَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدُورُ عَلَى أَقْطابٍ ثَلاثَة : (أَوَّلُها) الخُطَبُ والأَوامِرُ ، (وثانِيها) الكُتُبُ والرَّسائِل ، (وثالِثُها) الحِكَمُ والمَواعِظ .

وإِذا كانَ الحَدِيثُ عَنْ بَلاغَتِهِ فَلا عُذْرَ عَنِ التَّشَرُّفِ بِذِكْرِ قَطَراتٍ مِنْ بَحْرِهِ العَذْبِ مِنْ كُلِّ قُطْبٍ مِنَ الثَّلاثَةِ :

فَمِنْ خُطَبِهِ الشَّهِيرَةِ قَوْلُهُ رضي الله عنه : ((أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَداع ، وإِنَّ الآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وأَشْرَفَتْ بِاطِّلاع ، أَلا وإِنَّ اليَوْمَ المِضْمار ، وغَدًا السِّباق ، والسُّبْقَةَ الجَنَّةُ والغايَةَ النَّارُ ، أَفَلا تائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلا عامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْم بُؤْسِهِ ؟!

أَلا وإِنَّكُمْ فِي أَيَّام أَمَلٍ مِنْ وَرائِهِ أَجَلٌ ، فَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّام أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ ، وضَرَّهُ أَجَلُهُ ؛ أَلا فاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَما تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ ، أَلا وإِنِّي لَمْ أَرَ كالجَنَّةِ نامَ طالِبُها ولا كالنَّارِ قامَ هارِبُها ، أَلا وإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ الحَقُّ يَضُرُّهُ الباطِل ، ومَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلالُ إِلَى الرَّدَى ، أَلا وإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ ودُلِلْتُمْ عَلَى الزَّاد ، وإِنَّ أَخْوَفَ ما أَخافُ عَلَيْكُمْ اتِّباعُ الهَوَى وطُولُ الأَمَل ، تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيا ما تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا)) .

قالَ الشَّرِيفُ الرَّضِي بَعْدَ سِياقِهِ لَها أَقُولُ : لَوْ كانَ كَلامٌ يَأْخُذُ بِالأَعْناقِ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيا ويَضْطَرُّ إِلَى عَمَلِ الآخِرَةِ لَكانَ هَذا الكَلام ، وكَفَى بِهِ قاطِعًا لِعَلائِقِ الآمال ، وقادِحًا زِنادَ الاتِّعاظِ والازْدِجار ، ومِنْ أَعْجَبِهِ قَوْلُهُ : ((أَلا وإِنَّ اليَوْمَ المِضْمارُ وغَدًا السِّباقُ والسُّبْقَةَ الجَنَّةُ والغايَةَ النَّارُ)) ؛ فَإِنَّ فِيهِ مَعَ فَخامَةِ اللَّفْظِ وعِظَم قَدْرِ المَعْنَى وصادِقِ

التَّمْثِيلِ وواقِعِ التَّشْبِيهِ سِرًّا عَجِيبًا ومَعْنًى لَطِيفًا وهُوَ قَوْلُه : والسُّبْقَةُ الجَنَّة والغايَةُ النَّار ؛ خالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لاخْتِلافِ المَعْنَيَيْنِ ، ولَمْ يَقُلْ : والسُّبْقَةُ النَّار ، كَما قالَ : والسُّبْقَةُ الجَنَّة ؛ لأَنَّ الاسْتِباقَ إنَّما يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وغَرَضٍ مَطْلُوبٍ ، وهَذِهِ هِيَ صِفَةُ الجَنَّة ، ولَيْسَ هَذا المَعْنَى مَوْجُودًا فِي النَّار - أَعاذَنا اللهُ مِنْها - فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُولَ : والسُّبْقَةُ النَّار ؛ بَلْ قالَ : والغايَةُ النَّار ؛ لأَنَّ الغايَةَ يَنْتَهِي إِلَيْها مَنْ لا يَسُرُّهُ الانْتِهاءُ إِلَيْها ومَنْ يَسُرُّهُ ذَلِكَ ، فَصَلَحَ أَنْ يُعَبِّرَ بِها عَنِ الأَمْرَيْنِ مَعًا ، فَهِيَ فِي هَذا المَوْضِعِ كالمَصِيرِ والمآلِ ؛ قالَ تَعالَى : ﴿قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ ؛ فَلا يَصْلُحُ فِي هَذا المَوْضِعِ أَنْ يُقالَ : فَإِنَّ سُبْقَتَكُمْ إِلَى النَّار ، فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ فَإِنَّهُ عَجِيبٌ وغَوْرُهُ بَعِيدٌ ، وكَذَلِكَ أَكْثَرُ كَلامِهِ عَلَيْهِ السَّلام .

ولْنَشْرَحْ بَعْضَ أَلْفاظِ الخُطْبَةِ العَلَوِيَّةِ لِتَتِمَّ الفائِدَة :

قَوْلُهُ رضي الله عنه آذَنَتْ : أَعْلَمَتْ ، والمِضْمارُ : المَوْضِعُ الَّذي تُضَمَّرُ فِيهِ الخَيْلُ ويَكُونُ وَقْتًا للأَيَّامِ الَّتي تَضْمُرُ فِيها الخَيْلُ ؛ وتَضْمِيرُ الخَيْلِ هُوَ أَنْ يُظاهَرَ عَلَيْها بالعَلَفِ حَتَّى تَسْمُنَ ثُمَّ لا تُعْلَفَ إِلَّا قُوتًا لِتَخِفَّ ، والسُّبْقَةُ : اسْمٌ لِما يُجْعَلُ جائِزَةً للسَّابِقِ إِذا سَبَقَ مِنْ مالٍ أَوْ عَرَضٍ .

قَوْلُهُ رضي الله عنه : ((فاعمَلُوا فِي الرَّغْبَة)) : أَيْ لا تَكُونُوا كَمَنْ قالَ اللّٰهُ فِيهِ : ﴿وَإِذَآ أَنۡعَمۡنَا عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ أَعۡرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ ؛ يَكُونُ أَحَدُكُمْ إذا مَسَّهُ الضُّرُّ يَشْتَدُّ بِهِ الإِخْلاصُ ، فَأَمَرَ أَنْ يَعْمَلَ المُكَلَّفُ أَيَّامَ عَدَمِ الخَوْفِ مِثْلَ عَمَلِهِ عِنْدَ نُزُولِ الفِتَنِ .

ومِنْ بَدايِعِ خُطَبِهِ رضي الله عنه : ما ساقَهُ الحافِظُ السُّيُوطِي فِي الجامِعِ عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بنِ قَرِيبٍ ، قالَ : سَمِعْتُ العُلا بنَ زِيادٍ الأَعْرابِيَّ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبي يَقُولُ : صَعِدَ عَلِيٌّ رضي الله عنه مِنْبَرَ الكُوفَةِ بَعْدَ الفِتْنَةِ وفَراغِهِ عَنِ النَّهْرَوانِ ، حَمِدَ اللّٰهَ تَعالَى وخَنَقَتْهُ العَبْرَةُ فَبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ بِدُمُوعِهِ وجَرَتْ تَمْخُضُ لِحْيَتَهُ فَوَقَعَ رَشاشُها عَلَى ناسٍ مِنَ النَّاسِ ، ثُمَّ قالَ : ((أَيُّها النَّاسُ لا تَكُونُوا مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ ، ويُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ بِطُولِ الأَمَلِ ؛ يَقُولُ فِي الدُّنْيا قَوْلَ الزَّاهِدِينَ ويَعْمَلُ فِيها عَمَلَ الرَّاغِبِينَ ، إِنْ أُعْطِيَ مِنْها لَمْ يَشْبَعْ ، وإِنْ مُنِعَ مِنْها لَمْ يَقْنَعْ ، يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ ما أُوتِيَ ، ويَبْتَغِي الزِّيادَةَ فِيما يَبْقَى ، ويَأْمُرُ ولا يَأْتِي ، ويَنْهَى ولا يَنْتَهِي ، يُحِبُّ الصَّالِحِينَ ولا يَعْمَلُ بِأَعْمالِهِمْ ، ويُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وهُوَ مِنْهُمْ ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى ما يَظُنُّ ، ولا يَغْلِبُها عَلَى ما يَسْتَيْقِنُ ، إِنِ اسْتَغْنَى فَتَنَ ، وإِنْ مَرِضَ حَزِنَ ، وإِنِ افْتَقَرَ قَنَطَ ووَهَنَ ؛ فَهُوَ بَيْنَ

الذَّنْبِ والنِّعْمَةِ يَرْتَعُ ، يُعافَى فَلا يَشْكُرُ ، ويُبْتَلَى فَلا يَصْبِرُ ، كَأَنَّ المُحَذَّرَ مِنَ المَوْتِ سِواهُ ، وكَأَنَّ مَنْ أُوعِدَ وزُجِرَ غَيْرُهُ .

يا أَغْراضَ المَنايا يا رَهائِنَ المَوْت ، يا وِعاءَ الأَسْقام ، يا نُهْبَةَ الأَيَّام ، يا نُقَلَ الدَّهْر ، ويا فاكِهَةَ الزَّمان ، ويا نَوْرَ الحَدَثان ، ويا خُرْسٌ عِنْدَ الحُجَج ، ويا مَنْ غَمَرَتْهُ الفِتَنُ وحِيلَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَعْرِفَةِ العِبَر ، بِحَقٍّ أَقُولُ : ما نَجا مَنْ نَجا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ نَفْسِهِ ، وما هَلَكَ مَنْ هَلَكَ إِلَّا مِنْ تَحْتِ يَدِهِ ، قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ ، جَعَلَنا اللهُ وإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَمِعَ الوَعْظَ فَقَبِلَ ودُعِيَ إِلَى العَمَلِ فَعَمِلَ)) .

وهُوَ فِي النَّهْجِ بِمُخالَفَةِ الأَلْفاظِ وزِيادَةٍ مِنْ بَعْدِ قَوْلِهِ يُبْغِضُ الظَّالِمِينَ وهُوَ أَحَدُهُمْ : ((يَكْرَهُ المَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ، ويُقِيمُ عَلَى ما يَكْرَهُ المَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ ، إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نادِمًا ، وإِنْ صَحَّ أَمِنَ لاهِيًا ، يَعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذا عُوفِيَ ، ويَقْنَطُ إِذا ابْتُلِيَ ، إِنْ أَصابَهُ بَلاءٌ دَعا مُضْطَرًّا ، وإِنْ نالَهُ رَخاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرًّا ، تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى ما يَظُنُّ ، ولا يَغْلِبُها عَلَى ما يَسْتَيْقِنُ ، يَخافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ ، ويَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ ، إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وفُتِنَ ، وإِنِ افْتَقَرَ قَنَطَ ووَهَنَ ، يُقَصِّرُ إِذا عَمِلَ ، ويُبالِغُ

إذا سَأَلَ ، إنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ المَعْصِيَةَ وسَوَّفَ التَّوْبَةَ ، وإنْ عَرَتْهُ مِحْنَتُهُ انْفَرَجَ عَنْ شَرائِطِ المِلَّة ، يَصِفُ العِبْرَةَ ولا يَعْتَبِرُ ، ويُبالِغُ فِي المَوْعِظَةِ ولا يَتَّعِظُ ؛ فَهُوَ بِالقَوْلِ مُدِلٌّ ، ومِنَ العَمَلِ مُقِلٌّ ، يُنافِسُ فِيما يَفْنَى ، ويُسامِحُ فِيما يَبْقَى ، يَرَى الغُنْمَ مَغْرَمًا والغُرْمَ مَغْنَمًا ، يَخْشَى المَوْتَ ولا يُبادِرُ الفَوْتَ ، يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ ما يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ، ويَسْتَكْثِرُ مِنْ طاعَتِهِ ما يَحْقِرُ مِنْ طاعَةِ غَيْرِهِ ، فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طاعِنٌ ، ولِنَفْسِهِ مُداهِنٌ ، اللَّهْوُ مَعَ الأَغْنِياءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الفُقَراءِ ، يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ ولا يَحْكُمُ عَلَيْها لِغَيْرِهِ ، ويُرْشِدُ غَيْرَهُ ، ويُغْوِي نَفْسَهُ ، فَهُوَ يُطاعُ ويَعْصِي ويَسْتَوْفِي ولا يُوفِي ، ويَخْشَى الخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ ، ولا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ)) .

قالَ الشَّرِيفُ : ولَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هَذا الكِتابِ غَيْرُ هَذا الكَلامِ لَكَفَى مَوْعِظَةً ناجِعَةً ، وحِكْمَةً بالِغَةً ، وبَصِيرَةً ، وعِبْرَةً لِناظِرٍ .

ومِنْ بَدِيعِ كَلامِهِ رضي الله عنه مُخاطِبًا لِمَنْ ذَمَّ الدُّنْيا عِنْدَهُ ، ما ذَكَرَهُ الحافِظُ أَيْضًا فِي الجامِعِ عَنْ عاصِمِ بنِ ضَمْرَةَ قالَ : ذَمَّ رَجُلٌ الدُّنْيا عِنْدَ عَلِيٍّ رضي الله عنه فَقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((الدُّنْيا دارُ صِدْقٍ لِمَنْ صَدَقَها ، ودارُ نَجاةٍ لِمَنْ فَهِمَ عَنْها ، ودارُ غِنًى لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْها ؛ مَهْبِطُ وَحْيِ

اللّه ، ومُصلّى مَلائِكَتِهِ ، ومَسْجِدُ أَنْبيائِه ، ومَتْجَرُ أَوْلِيائِه ، رَبِحُوا فِيها الرَّحْمَةَ ، واكْتَسَبُوا فِيها الجَنَّةَ ، فَمَنْ ذا يَذُمُّها ، وقَدْ آذَنَتْ بتَلَفِها ؟ ، ونادَتْ بِفِراقِها ، وشَبَّهَتْ بِسُرورِها السُّرور ؛ وبِبَلاياها البَلاء ، تَرْهِيبًا وتَرْغِيبًا ؛ فَيا أَيُّها الذَّامُّ للدُّنيا ، المُعَلِّلُ نَفْسَهُ ؛ مَتَى خَدَعَتْكَ الدُّنْيا ؟ أَوْ مَتَى اسْتَذَمَّتْ إِلَيْكَ ، بِمَصارِعِ آبائِكَ فِي البِلَى ؟ أَمْ بِمَصارِعِ أُمَّهاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى ؟ كَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ ؟ وكَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ ؟ تَطْلُبُ لَهُ الشِّفاءَ وتَسْتَوْصِفُ لَهُ الأَطِبَّاءَ ؛ لا يُغْنِي عَنْكَ دَواؤُكَ ، ولا يَنْفَعُكَ بُكاؤُكَ .

وهُوَ فِي النَّهْجِ بِزِيادَةٍ عَلَى ذَلِكَ فِي أَوَّلِهِ : ((أَتَغْتَرُّ بِها ثُمَّ تَذُمُّها ؟ أَنْتَ المُتَجَرِّمُ عَلَيْها أَمْ هِيَ المُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ ؟ أَمْ مَتَى غَوَتْكَ ؟ وقالَ بَدَلَ شَبَّهَتْ ؛ وشَوَّقَتْهُمْ بِسُرورِها إِلَى السُّرور ، وقالَ فِي الثَّانِي : ومَثَّلَتْ بِبَلائِها البَلاء ؛ أَيْ جَعَلَتْ سُرورَها شَوْقًا إِلَى سُرورِ الجَنَّةِ وبَلاءَها مَثَلًا لِبَلاءِ الآخِرَةِ وعَذابِها)) .

قالَ ابنُ أَبِي الحَدِيد : وهَذا الفَصْلُ كُلُّهُ فِي مَدْحِ الدُّنْيا وهُوَ يُبْنَى عَلَى اقْتِدارِهِ عليه السلام عَلَى ما يُرِيدُ مِنَ المَعانِي لأَنَّ كَلامَهُ فِي ذَمِّ الدُّنْيا وهُوَ الآنَ يَمْدَحُها وهُوَ صادِقٌ فِي ذَلِك .

ومِنْ خُطَبِهِ ﵁ فِي ذَمِّ الدُّنْيا : ((وأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيا فَإِنَّها مَنْزِلُ قُلْعَة ، ولَيْسَتْ بِدارِ نُجْعَة ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِها ، وغَرَّتْ بِزِينَتِها ، دارٌ هانَتْ عَلَى رَبِّها ، فَخَلَطَ حَلالَها بِحَرامِها ، وخَيْرَها بِشَرِّها ، وحَياتَها بِمَوْتِها وحُلْوَها بِمُرِّها ، لَمْ يَصِفْها اللهُ لأَوْلِيائِه ، ولَمْ يَضِنَّ بِها عَلَى أَعْدائِه ، خَيْرُها زَهِيد ، وشَرُّها عَتِيد ، وجَمْعُها يَنْفَدُ ، ومُلْكُها يُسْلَبُ ، وعامِرُها يَخْرَبُ ، فَما خَيْرُ دارٍ تُنْقَضُ نَقْضَ البِناء ، وعُمْرٍ يَفْنَى فَناءَ الزَّاد ، ومُدَّةٍ تَنْقَطِعُ انْقِطاعَ السَّيْر ، اجْعَلُوا ما افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طِلْبَتِكُمْ ، واسْأَلُوهُ مِنْ أَداءِ حَقِّهِ ما سَأَلَكُمْ ، وأَسْمِعُوا دَعْوَةَ المَوْتِ آذانَكُمْ قَبْلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ ، إِنَّ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وإِنْ ضَحِكُوا ، ويَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وإِنْ فَرِحُوا ، ويَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وإِنِ اغْتَبَطُوا بِما رُزِقُوا ، قَدْ غابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الآجال ؛ وحَضَرَتْكُمْ كَواذِبُ الآمال ، فَصارَتِ الدُّنْيا أَمْلَكَ لَكُمْ مِنَ الآخِرَة ، والعاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ الآجِلَة ، وإِنَّما أَنْتُمْ إِخْوانٌ عَلَى دِينِ اللهِ ، ما فَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ السَّرائِر ، وسُوءُ الضَّمائِرِ ، فَلا تَآزَرُونَ ولا تَناصَحُونَ ، ولا تَباذَلُونَ ولا تَوادُّونَ ، ما بالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِاليَسِيرِ مِنَ الدُّنْيا تُدْرِكُونَهُ ؟ ولا يَحْزُنُكُمْ الكَثِيرُ مِنَ الآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ ؟)) .

قالَ الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ : ((ومِنْ عَجائِبِه (يَعْنِي أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) الَّتِي انْفَرَدَ بِها ، وأَمِنَ المُشارَكَةَ فِيها ، أَنَّ كَلامَهُ الوارِدَ فِي الزُّهْدِ والمَواعِظِ والتَّذْكِيرِ والزَّواجِرِ ، إِذا تَأَمَّلَهُ المُتَأَمِّلُ ، وفَكَّرَ فِيهِ المُتَفَكِّرُ ، وخَلَعَ مِنْ قَلْبِهِ أَنَّهُ كَلامُ مِثْلِهِ مِمَّنْ عَظُمَ قَدْرُهُ ، ونَفَذَ أَمْرُهُ ، وأَحاطَ بِالرِّقابِ مُلْكُهُ ، لَمْ يَعْتَرِضْهُ الشَّكُّ أَنَّهُ مِنْ كَلامِ مَنْ لاحَظَّ لَهُ فِي غَيْرِ الزَّهادَةِ ، ولا شُغْلَ لَهُ بِغَيْرِ العِبادَةِ ، قَدْ قَبَعَ فِي كَسْرِ بَيْتٍ[1] ، وانْقَطَعَ فِي سَفْحِ جَبَلٍ ، لا يَسْمَعُ إِلَّا حِسَّهُ ، ولا يَرَى إِلَّا نَفْسَهُ ، ولا يَكادُ يُوقِنُ بِأَنَّهُ كَلامُ مَنْ يَنْغَمِسُ فِي الحَرْبِ مُصْلِتًا سَيْفَهُ فَيُسْقِطُ الرِّقابَ ، ويُجَدِّلُ الأَبْطالَ ، ويَعُودُ بِهِ يَنْطِفُ دَمًا ، ويَقْطُرُ مُهَجًا[2] ، وهُوَ مَعَ تِلْكَ الحالِ زاهِدُ الزُّهَّادِ ، وبَدَلُ الأَبْدالِ ، وهَذِهِ مِنْ فَضائِلِهِ العَجِيبَةِ وخَصائِصِهِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي جَمَعَ بِها بَيْنَ الأَضْدادِ ، وأَلَّفَ بَيْنَ الأَشْتاتِ ، وكَثِيرًا ما أُذَكِّرُ إِخْوانِي بِها ، وأَسْتَخْرِجُ عَجَبَهُمْ مِنْها ، وهِيَ مَوْضِعُ العِبَرِ بِها والفِكْرَةِ فِيها)) .

فَهَذِهِ الكَلِماتُ مِنَ القُطْبِ الأَوَّلِ تَشَرَّفْنا بِذِكْرِها هاهُنا .

---

(١) يُقالُ قَبَعَ القُنْفُذُ إذا أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي جِلْدِهِ حَتَّى تَوارَى ، وقَبَعَ الرَّجُلُ إذا أَدْخَلَ رَأْسَهُ فِي جَيْبِ قَمِيصِهِ أَيْ طَوْقِهِ ، والكَسْرُ : جانِبُ البَيْتِ .

(٢) أَصْلَتَ سَيْفَهُ : جَرَّدَهُ مِنْ غِمْدِهِ ، وجَدَّلَ الفارِسَ : رَماهُ عَلَى الأَرْضِ ، ونَطَفَ : سالَ ، والمُهَجُ : جَمْعُ مُهْجَةٍ ، ويَقْطُرُ مُهَجًا : دَمُ القَلْبِ .

ومِنَ القُطْبِ الثَّانِي وهِيَ رَسائِلُهُ وأَوامِرُهُ وهِيَ بَحْرٌ لا يُوقَفُ لَهُ عَلَى ساحِلٍ ، نَذْكُرُ مِنْها ما تَزِينُ بِهِ هَذِهِ الأَوْراق :

فَمِنْ ذَلِكَ كِتابُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى ابنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللهِ بنِ العَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ؛ وكانَ عَبْدُ اللهِ بنُ العَبَّاسِ يَقُولُ : ما انْتَفَعْتُ بِكَلامٍ بَعْدَ كَلامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانْتِفاعِي بِهَذا الكَلام :

((أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ المَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ ما لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ ، ويَسُوُؤهُ فَوْتُ ما لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ ، فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِما نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ ، ولْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى ما فاتَكَ مِنْها ، وما نِلْتَ مِنْ دُنْياكَ فَلا تُكْثِرْ فِيهِ فَرَحًا ، وما فاتَكَ مِنْها فَلا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا ، ولْيَكُنْ هَمُّكَ فِيما بَعْدَ المَوْت)) .

ومِنْ كِتابٍ لَهُ إِلَى سَلْمانَ الفارِسِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَبْلَ تَوَلِّي الإِمامِ عَلِيٍّ الخِلافَة :

((أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مَثَلَ الدُّنْيا مَثَلُ الحَيَّة ، لَيِّنٌ مَسُّها ، قاتِلٌ سُمُّها ، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيها ، لِقِلَّةِ ما يَصْحَبُكَ مِنْها ، وضَعْ عَنْكَ هُمُومَها ، لِما أَيْقَنْتَ مِنْ فِراقِها ، وكُنْ آنَسَ ما تَكُونُ بِها ، أَحْذَرَ ما تَكُونُ مِنْها ؛ فَإِنَّ صاحِبَها كُلَّما اطْمَأَنَّ فِيها إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُور)) .

ومِنْ ذَلِكَ كِتابٌ لَهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى صاحِبِهِ الحارِث رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وفِيهِ وَصايا جَلِيلَةُ

القَدْرِ ؛ مِنْهُ : «وتَمَسَّكْ بِحَبْلِ القُرْآنِ واسْتَنْصِحْهُ ؛ وأَحِلَّ حَلالَهُ ، وحَرِّمْ حَرامَهُ ، وصَدِّقْ بما سَلَفَ مِنَ الحَقِّ ، واعْتَبِرْ بما مَضَى مِنَ الدُّنْيا بِما بَقِيَ مِنْها ، فَإِنَّ بَعْضَها يُشْبِهُ بَعْضًا ، وآخِرَها لاحِقٌ بأَوَّلِها وكُلَّها حائِلٌ مُفارِق ، وعَظِّمْ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ ، وأَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْت ، وما بَعْدَ المَوْت ، ولا تَذُمَّنَّ المَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيق ، واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ويَكْرَهُهُ لِعامَّةِ المُسْلِمِين ، واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ فِي السِّرِّ ويُسْتَحْيا مِنْهُ فِي العَلانِيَة ، واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذا سُئِلَ عَنْهُ صاحِبُهُ أَنْكَرَهُ واعْتَذَرَ مِنْهُ ، ولا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبالِ القَوْم ، ولا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ ما سَمِعْتَ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا ، ولا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ ما حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا ، واكْظِمْ عِنْدَ الغَضَب ، وتَجاوَزْ عِنْدَ المَقْدِرَة ، واصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لكَ العاقِبَة[1] ، واسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ بها ، ولا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَم اللهِ عِنْدَكَ ، ولْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ ما أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ ، واعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ المُؤْمِنينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وأَهْلِهِ ومالِهِ ، فَإِنَّكَ ما تُقَدِّمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ ، وما تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ ، واحْذَرْ

---

(١) أَيْ أَعْرِضْ عَنِ المُجازاةِ عَلَى الإِساءَةِ عِنْدَما تَكُونُ لَكَ السُّلْطَة .

صُحْبَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ ، ويُنْكَرُ عَمَلُهُ ؛ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصاحِبِهِ ، واسْكُنِ الأَمْصارَ العِظامَ فَإِنَّها جِماعُ المُسْلِمِين ، واحْذَرْ مَنازِلَ الغَفْلَةِ والجَفاءِ وقِلَّةِ الأَعْوانِ عَلَى طاعَةِ اللّهِ تَعالَى ، وأَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى ما يَعْنِيكَ ، وإِيَّاكَ ومَقاعِدَ الأَسْواقِ فَإِنَّها مَحاضِرُ الشَّيْطانِ ومَعارِيضُ الفِتَنِ ، وأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوابِ الشُّكْرِ ، ولا تُسافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلاةَ إِلَّا فاصِلًا[1] فِي سَبِيلِ اللّهِ ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ ، وأَطِعِ اللّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ ، فَإِنَّ طاعَةَ اللّهِ فاضِلَةٌ عَلَى ما سِواها ، وخادِعْ نَفْسَكَ فِي العِبادَةِ وارْفُقْ بِها ولا تَقْهَرْها ، وخُذْ عَفْوَها ونَشاطَها ، إِلَّا ما كانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الفَرِيضَةِ ، فَإِنَّهُ لا بُدَّ مِنْ قَضائِها وتَعاهُدِها عِنْدَ مَحِلِّها ، وإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ المَوْتُ وأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيا ، وإِيَّاكَ ومُصاحَبَةَ الفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ ، ووَقِّرِ اللّهَ وأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ ، واحْذَرِ الغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ، والسَّلامُ)) .

قالَ العَلَّامَةُ ابنُ أَبِي الحَدِيد : وقَدِ اشْتَمَلَ هَذا الفَصْلُ عَلَى وَصايا جَلِيلَةِ المَوْقِعِ مِنْها قَوْلُهُ : (وتَمَسَّكْ بِحَبْلِ القُرْآنِ) : جاءَ فِي الخَبَرِ

---

(١) أَيْ إِلَّا خارِجًا ذاهِبًا ، ومِنْهُ : ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ﴾ .

المَرْفُوعِ لَمَّا ذَكَرَ الثَّقَلَيْنِ فقالَ : أَحَدُهُما كِتابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّماءِ إِلَى الأَرْضِ ؛ طَرَفٌ بِيَدِ اللهِ وطَرَفٌ بِأَيْدِيكُمْ ، ومِنْها قَوْلُهُ : (وحَرِّمْ حَرامَهُ وأَحِلَّ حَلالَهُ) : أَي احْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ فِي الحَلالِ والحَرامِ بِما نَصَّ عَلَيْهِ القُرْآن ، ومِنْها قَوْلُهُ : (واسْتَنْصِحْهُ) : أَيْ عُدَّهُ ناصِحًا لَكَ فِيما أَمَرَكَ بِهِ ونَهاكَ عَنْهُ ، ومِنْها قَوْلُهُ : (وصَدِّقْ بِما سَلَفَ مِنَ الحَقِّ) : أَيْ صَدِّقْ ما تَضَمَّنَهُ القُرْآنُ مِنْ أَيَّام آدَمَ ومَثُلاتِهِ فِي الأُمَمِ السَّابِقَةِ لَمَّا عَصَوْا وكَذَّبُوا ، ومِنْها قَوْلُهُ : (واعْتَبِرْ بِما مَضَى مِنَ الدُّنْيا لِما بَقِيَ مِنْها) : فِي المَثَلِ : إِذا شِئْتَ أَنْ تَنْظُرَ الدُّنْيا بَعْدَكَ فانْظُرْها بَعْدَ غَيْرِك ، وقالَ الشَّاعِرُ :

وَما نَحْنُ إِلَّا مِثْلُهُمْ غَيْرَ أَنَّنا ✿ أَقَمْنا قَلِيلًا بَعْدَهُمْ ثُمَّ نَرْحَلُ

وما يُناسِبُ قَوْلَهُ ((وآخِرُها لاحِقٌ بِأَوَّلِها وكُلُّها حائِلٌ مُفارِقٌ)) قَوْلُهُ فِي غَيْرِ هَذا الفَصْل : ((الماضِي لِلمُقِيم عِبْرَةٌ ، والمَيِّتُ لِلحَيِّ عِظَةٌ ، ولَيْسَ لأَمْسٍ عَوْدَةٌ ولا المَرْءُ مِنْ غَدٍ عَلَى ثِقَةٍ ، الأَوَّلُ لِلأَوْسَطِ رائِدٌ ، والأَوْسَطُ لِلآخِرِ قائِدٌ ، وكُلٌّ بِكُلٍّ لاحِقٌ ، والكُلُّ لِلكُلِّ مُفارِقٌ)) .

ومِنْها ((وعَظِّم اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ)) ؛ قالَ اللهُ تَعالَى : ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾ : وقَدْ نَهَى عَنِ الحَلِفِ بِاللهِ فِي

الصِّدْقِ والكَذِبِ ؛ أَمَّا فِي أَحَدِهِما فَمُحَرَّمٌ ، وأَمَّا فِي الآخَرِ فَمَكْرُوهٌ ، ولِذَلِكَ لا يَجُوزُ ذِكْرُ اسْمِ اللهِ فِي لَغْوِ الحَدِيثِ والهُزْءِ والعَبَثِ .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((وأَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ وما بَعْدَ المَوْتِ)) : فِي الخَبَرِ المَرْفُوعِ : واذْكُرُوا هادِمَ اللَّذَّاتِ وما بَعْدَ المَوْتِ ، والثَّوابَ والعِقابَ فِي القَبْرِ وفِي الآخِرَة .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((ولا تَتَمَنَّ المَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيق)) : هَذِهِ كَلِمَةٌ شَرِيفَةٌ عَظِيمَةُ القَدْرِ ؛ أَيْ لا تَتَمَنَّ المَوْتَ إِلَّا وأَنْتَ واثِقٌ مِنْ أَعْمالِكَ الصَّالِحَةِ أَنَّها تُؤَدِّيكَ إِلَى الجَنَّةِ وتُنْقِذُكَ مِنَ النَّار ، وهَذا مَعْنَى قَوْلِهِ تَعالَى لليَهُود : ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضاهُ صاحِبُهُ لِنَفْسِهِ ويَكْرَهُهُ لِعامَّةِ المُسْلِمِين ، واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ فِي السِّرِّ ويُسْتَحْيا مِنْهُ فِي العَلانِيَة ، واحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذا سُئِلَ عَنْهُ صاحِبُهُ أَنْكَرَهُ واعْتَذَرَ مِنْهُ)) :

هَذِهِ الوَصايا الثَّلاثُ مُتَقارِبَةٌ فِي المَعْنَى ويَشْمَلُها قَوْلُ الشَّاعِر :

لا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ۞ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ

وقالَ اللهُ تَعالَى حاكِيًا عَنْ نَبِيِّهِ سَيِّدِنا شُعَيْب عليه السلام : ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ ، ومِنْ كَلامِ الجُنَيْد : لِيَكُنْ عَمَلُك مِنْ وَراءِ سِتْرِكَ كَعَمَلِكَ مِنْ وَراءِ الزُّجاجِ الصَّافِي ، وفِي المَثَلِ وهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى الإمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه : إِيَّاكَ وما يُعْتَذَرُ مِنْهُ .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((ولا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبالِ القَوْم)) ؛ قالَ الشَّاعِرُ :

مَقَالَةُ السُّوءِ إِلَى أَهْلِها ۞ أَسْرَعُ مِنْ مُنْحَدِرٍ سَائِلِ

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى ذَمِّهِ ۞ ذَمُّوهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ

ومِنْها قَوْلُهُ : ((ولا تُحَدِّثْ بِكُلِّ ما سَمِعْتَ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا)) : وقَدْ نَهَى أَنْ يُحَدِّثَ الإِنْسانُ بِكُلِّ ما رَأَى مِنَ العَجائِبِ فَضْلًا عَمَّا سَمِعَ لأَنَّ الحَدِيثَ الغَرِيبَ العَجِيبَ تُسارِعُ النَّفْسُ إِلَى تَكْذِيبِهِ إِلَى أَنْ تَقُومَ الدَّلالَةُ عَلَى صِدْقِهِ قَدْ فَرَّطَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ فِيهِ ما فَرَّطَ ؛ ويُقالُ إِنَّ بَعْضَ العَلَوِيَّةِ قالَ فِي حَضْرَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ بِبَغْداد : ((عِنْدَنا فِي الكُوفَةِ نَبْقٌ وَزْنُ كُلِّ نَبْقَةٍ مِثْقالان)) ، فاسْتَطْرَفَ المَلِكُ ذَلِكَ وكادَ يُكَذِّبُهُ الحاضِرُون ، فَلَمَّا قامَ ذَكَرَ ذَلِكَ لأَبِيهِ فَأَرْسَلَ حَمامًا كانَ عِنْدَهُ فِي الحالِ إِلَى الكُوفَةِ يَأْمُرُ وُكَلاءَهُ بِإِرْسالِ مِئَةِ حَمامَةٍ مِنْ عِنْدِهِمْ فِي رِجْلَي كُلِّ حَمامَةٍ نَبْقَتانِ مِنْ ذَلِكَ النَّبْق ، فَجاءَ النَّبْقُ فِي بُكْرَةِ الغَدِ وحُمِلَ إِلَى عَضُدِ الدَّوْلَةِ

فاسْتَحْسَنَهُ وصَدَّقَهُ ، ثُمَّ قالَ لَهُ : لَعَمْرِي لَقَدْ صَدَقْتَ ولَكِنْ لا تُحَدِّثْ فِيما بَعْدُ بِكُلِّ ما رَأَيْتَ مِنَ الغَرائِبِ فَلَيْسَ كُلَّ وَقْتٍ يَتَهَيَّأُ لَكَ إِرْسالُ الحَمام ، وكانَ يُقالُ : النَّاسُ يَكْتُبُونَ أَحْسَنَ ما يَسْمَعُونَ ويَحْفَظُونَ أَحْسَنَ ما يَكْتُبُونَ ويَتَحَدَّثُونَ بِأَحْسَنِ ما يَحْفَظُون .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((واسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللّهُ بِها عَلَيْكَ)) ؛ يَعْنِي اسْتَدِمْها لأَنَّهُ إِذا اسْتَدامَها فَقَدْ أَصْلَحَها ، فَإِنَّ بَقاءَها صَلاحٌ لَها واسْتِدامَتَها بِالشُّكْر .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((ولا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللّهِ عِنْدَك)) ؛ أَيْ واسِ النَّاسَ مِنْها وأَحْسِنْ إِلَيْهِمْ ، واجْعَلْ بَعْضَها لِنَفْسِكَ ، وبَعْضَها للصَّدَقَةِ والإِيثار ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ذَلِكَ تَكُنْ قَدْ أَضَعْتَها ، وقَدْ جاءَ أَنَّهُ ما أَنْعَمَ اللّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً إِلاَّ حَضَرَ فِيها حَقًّا لِغَيْرِه .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((واعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ المُؤْمِنينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ ومالِه)) : قالَ اللّهُ تَعالَى : ﴿وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ ؛ أَمَّا النَّفْسُ والمالُ فَتَقْدِيمُهُما فِي الجِهاد ، وقَدْ تَكُونُ التَّقْدِمَةُ فِي النَّفْسِ أَنْ يَشْفَعَ شَفاعَةً حَسَنَةً أَوْ يَحْضُرَ عِنْدَ السُّلْطانِ بِكَلامٍ طَيِّبٍ وثَناءٍ حَسَنٍ ، وأَنْ يُصْلِحَ بَيْنَ المُتَخاصِمِينَ ونَحْوَ ذَلِكَ ،

والتَّقْدِمَةُ فِي الأَهْلِ أَنْ يَحُجَّ بِأَهْلِهِ ووَلَدِهِ ويُكَلِّفَهُمُ المَشاقَّ فِي طاعَةِ اللّٰهِ ، وأَنْ يُؤَدِّبَ وَلَدَهُ إذا أَذْنَبَ ، ويُحْتَمَلُ أَنْ يُرادَ بِتَقْدِمَةِ النَّفْسِ ما يَعْرِضُ لَها مِنَ الأَسْقامِ والآلامِ والمَصائِبِ البَدَنِيَّةِ ، وتَقْدِمَةِ المالِ ما يُصِيبُهُ مِنَ الخَسارَة ، وتَقْدِيم الأَهْلِ وَفاتُهُمْ قَبْلَهُ فَيَنالُ أَجْرَ المَصائِبِ وثَوابَ الصَّابِرِين .

ومِنْها : ((واحْذَرْ صُحْبَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ)) ، فالَ رَأْيُه : فَسَدَ ، قالَ طَرْفَة :

عَنِ الْمَرْءِ لا تَسْأَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ ۞ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالمُقَارِنِ يَقْتَدِي

ومِنْها قَوْلُهُ : ((واسْكُنِ الأَمْصارَ العِظامَ)) : قَدْ قِيلَ لا تَسْكُنْ إِلَّا فِي مِصْرٍ فِيهِ سُوقٌ قائِمَةٌ ، ونَهْرٌ جارٍ ، وطَبِيبٌ حاذِقٌ ، وسُلْطانٌ عادِلٌ ، وأَمَّا مَنازِلُ الغَفْلَةِ والجَفاءِ فَمِثْلَ قُرَى السَّوادِ الصِّغارِ فَإِنَّ أَهْلَها لا نُورَ فِيهِمْ ، ولا ضَوْءَ عَلَيْهِمْ ، وإِنَّما هُمْ كالدَّوابِّ والأَنْعام ، لا يَفْقَهُونَ شَيْئًا أَصْلًا ، فَمُجاوَرَتُهُمْ تُعْمِي القَلْبَ ، وتُعْمِي الحِسَّ ، وإِذا لَمْ يَجِدِ الإِنْسانُ مَنْ يُعِينُهُ عَلَى طاعَةِ اللّٰهِ وتَعَلُّمِ العِلْمِ قَصَّرَ فِيهِما .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((وأَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى ما يَعْنِيكَ)) كَأَنْ يُقالَ : مَنْ دَخَلَ فِيما لا يَعْنِيهِ فاتَهُ ما يَعْنِيه ، ومِنْها نَهْيُهُ إِيَّاهُ عَنِ القُعُودِ فِي الأَسْواق ، جاءَ فِي الأَمْثال : السُّوق مَحَلُّ الفُسُوق ، وفِي الحَدِيثِ المَرْفُوع : الأَسْواقُ

مَواطِنُ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ وجُنْدَهُ ،

ومِنْها قَوْلُهُ : ((وانْظُرْ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْه)) ؛ كَأَنْ يُقالَ : انْظُرْ إِلَى مَنْ دُونَكَ ولا تَنْظُرْ إِلَى مَنْ فَوْقِكَ ، وقَدْ بَيَّنَ رضي الله عنه السِّرَّ فِيهِ فَقالَ : إِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوابِ الشُّكْرِ ، وصَدَقَ رضي الله عنه لأَنَّكَ إذا رَأَيْتَ جاهِلًا وأَنْتَ عالِمٌ ، أَوْ عالِمًا وأَنْتَ أَعْلَمُ مِنْهُ ، أَوْ فَقِيرًا وأَنْتَ أَغْنَى مِنْهُ ، أَوْ مُبْتَلًى بِسَقَمٍ وأَنْتَ مُعافًى مِنْهُ ، كانَ ذَلِكَ باعِثًا لَكَ وداعِيًا إِلَى الشُّكْرِ .

ومِنْها قَوْلُهُ رضي الله عنه : ((وأَطِعِ اللّهَ تَعالَى فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ)) ؛ أَيْ جُمْلَتِها وكُلِّها ، ولَيْسَ يَعْنِي فِي جُمْلَتِها دُونَ تَفاصِيلِها فَإِنَّ طاعَةَ اللّهِ فاضِلَةٌ عَلَى غَيْرِها ، وصَدَقَ رضي الله عنه فَإِنَّها تُوجِبُ السَّعادَةَ الدَّائِمَةَ والخُلُوصَ مِنَ الشَّقاءِ الدَّائِمِ ، ولا أَفْضَلَ مِمَّا يُؤَدِّي إِلَى ذَلِكَ .

ومِنْها قَوْلُهُ رضي الله عنه : ((وخادِعْ نَفْسَكَ فِي العِبادَةِ)) : أَمَرَهُ أَنْ يَتَلَطَّفَ بِنَفْسِهِ فِي النَّوافِلِ وأَنْ يُخادِعَها ولا يَقْهَرَها فَتَمَلَّ وتَضْجَرَ وتَتْرُكَ ، بَلْ يَأْخُذَ عَفْوَها ويَتَخَيَّرَ أَوْقاتَ النَّشاطِ وانْشِراحَ الصَّدْرِ للعِبادَةِ ، وأَمَّا الفَرائِضُ فَحُكْمُها غَيْرُ هَذا عَلَيْكَ أَنْ تَقُومَ بِها كَرِهَتْها النَّفْسُ أَوْ لَمْ تَكْرَهْها ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَقُومَ بِالفَرِيضَةِ فِي وَقْتِها ولا يُؤَخِّرَها فَتَصِيرَ قَضاءً .

قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((وإِيَّاكَ ومُصاحَبَةَ الفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ)) ؛ يُقالُ إِنَّ الطِّباعَ يَنْزِعُ بَعْضُها إِلَى بَعْضٍ ، فَلا تَصْحَبَنَّ الفُسَّاقَ فَإِنَّهُ يَنْزِعُ بِكَ ما فِيكَ مِنْ طَبْعِ الشَّرِّ إِلَى مُساعَدَتِهِمْ عَلَى الفِسْق ، وما هُوَ إِلَّا كالنَّارِ تَقْوَى بِالنَّارِ فَإِذا لَمْ تُجاوِرْها وتُمازِجْها نارٌ كانَتْ إِلَى الانْطِفاءِ والخُمُودِ أَقْرَب .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((وأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ)) ؛ قَدْ جاءَ فِي الخَبَرِ : لا يَكْمُلُ إِيمانُ المَرْءِ حَتَّى يُحِبَّ مَنْ أَحَبَّ اللّٰهَ ويُبْغِضَ مَنْ يُبْغِضُ اللّٰه .

ومِنْها قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((واحْذَرِ الغَضَبَ)) ؛ قَدْ كَثُرَ فِي السُّنَّةِ التَّحْذِيرُ مِنَ الغَضَبِ ، وفِي الحَدِيثِ المَرْفُوعِ أَنَّ رَجُلًا قالَ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْصِنِي ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا تَغْضَبْ) ، فَقالَ أَوْصِنِي يا رَسُولَ اللّٰه ، قالَ : (لا تَغْضَبْ) ، قالَ أَوْصِنِي يا رَسُولَ اللّٰه ، قالَ : (لا تَغْضَبْ) .

ومِنَ القُطْبِ الثَّالِثِ وهِيَ حِكَمُهُ ومَواعِظُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَدْ تَجَلَّى فِيها سَهْمُهُ الوافِرُ فِي المِيراثِ النَّبَوِيِّ لِلحِكْمَةِ وفَصْلِ الخِطاب :

حِكَمُ الْيُونَانِ وَالْفُرْسِ مَعًا ۞ مَا تُدَانِي مِنْهُ لَفْظًا عَلَوِيًّا

اليُونانُ والفُرْسُ قَدِ اشْتَهَرُوا فِي الحِكَمِ وجُمِعَتْ حِكَمُهُمْ ، وفِي المَشْهُورِ أَنَّ الحِكْمَةَ نَزَلَتْ عَلَى ثَلاثَة : عَلَى أَدْمِغَةِ اليُونان ، وأَيْدِي الصِّين ،

وأَلْسِنَةِ العَرَب ، والبَيْتُ إشارَةٌ إلَى القُطْبِ الثَّالِثِ مِنَ الأَقْطاب الثَّلاثَةِ الَّتي دارَ عَلَيْها كَلامُ الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وقَدْ جَعَلَها الشَّريفُ القِسْمَ الثَّالِثَ مِنْ أَقْسام النَّهْج ، وقالَ ابنُ أَبي الحَديدِ فِي صَدْرِ شَرْحِه لِهَذا القِسْمِ : اعْلَمْ أَنَّ هَذا البابَ فِي كِتابِنا كالرُّوحِ فِي البَدَن ، والسَّوادِ مِنَ العَيْن ، وهُوَ الدُّرَّةُ الَّتي سائِرُ الكِتابِ صَدَفُها .

وإِذْ قَدْ أَشَرْنا إِلَيْهِ فِي الأَبْياتِ فَلا بُدَّ مِنْ تَزْهِيرِ هَذِهِ الرَّوْضَةِ النَّدِيَّةِ بِتَفْتِيحِ بَعْضِ أَكْمامِ الحِكَمِ العَلَوِيَّةِ وشَرْحِها والإِتْيانِ بِشَواهِدَ أَدَبِيَّة .

قالَ الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه : «إِنَّ هَذِهِ القُلُوبَ تَمَلُّ كَما تَمَلُّ الأَبْدان ، فابْتَغُوا لَها طَرائِفَ الحِكْمَةِ» ؛ أَرادَ بِطَرائِفِ الحِكْمَةِ الأَمْثالَ الحَكِيمَةَ الرَّاجِعَةَ إِلَى الأَمْثالِ الخُلُقِيَّةِ مِثْلَ مَدْحِ الصَّبْرِ ، والشَّجاعَةِ ، والزُّهْدِ ، وذَمِّ الغَضَبِ والشَّهْوَةِ ، والهَوَى ، ونَحْوَ ذَلِك .

فَإِنَّ القُلُوبَ إِذا أَدامَتِ النَّظَرَ فِي فَنٍّ واحِدٍ مَلَّتْ ، وقَدْ جاءَ فِي اسْتِجْمامِ القُلُوبِ وتَرْوِيحِها كَلامٌ واسِعٌ ، قالَ الخَلِيفَةُ الرَّاشِدُ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ رضي الله عنه : إِنَّ نَفْسِي راحِلَتِي إِنْ كَلَّفْتُها فَوْقَ طاقَتِها انْقَطَعَتْ بِي .

ومِنْ كَلامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه : «**إِنَّ القَلْبَ إِذا أُكْرِهَ عَمِيَ**» ، وقالَ الشَّاعِرُ :

أَقِدْ طَبْعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْهَمِّ رَاحَةً ❁ يَجِمُّ[1] وَعَلِّلْهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ ❁ عَلَى قَدْرِ مَا تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**اعْقِلُوا الخَيْرَ إذا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعايَةٍ لا عَقْلَ رِوايَة ، فَإِنَّ رِوايَةَ العِلْمِ كَثِيرٌ ودِرايَتَهُ قَلِيلٌ**)) .

لا شَكَّ أَنَّ العِلْمَ مَقْصُودٌ بِهِ العَمَلُ لا اللَّفْظُ والتَّأَمُّلُ لَهُ لا التَّرَسُّل .

وقَدْ جاءَ فِي كَلامِ الإمامِ عَلِيٍّ : ((أَوْضَعُ العِلْمِ ما وَقَفَ عَلَى اللِّسانِ ، وأَرْفَعُهُ ما ظَهَرَ فِي الجَوارِحِ والأَرْكان)) .

وأَخْرَجَ ابنُ عَدِيٍّ مِنْ حَدِيثِ سَيِّدِنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَخْوَفُ ما أَخافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنافِقٍ عَلِيمُ اللِّسان) .

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**فَقْدُ الأَحِبَّةِ غُرْبَة**)) ؛ مِثْلُهُ قَوْلُهُ :

فَلا تَحْسَبِي أَنَّ الْغَرِيبَ الَّذِي نَأَى ❁ وَلَكِنَّ مَنْ تَنْأَيْنَ عَنْهُ غَرِيبُ

ومِنْ كَلامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**الغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَبِيبٌ**)) ، قالَ الشَّاعِر :

أُسْرَةُ الْمَرْءِ وَالِدَاهُ وَفِيمَا ❁ بَيْنَ حُضْنَيْهِمَا الْحَيَاةُ تَطِيبُ
فَإِذَا وَلَّيَا عَنِ الْمَرْءِ يَوْمًا ❁ فَهْوَ فِي النَّاسِ أَجْنَبِيٌّ غَرِيبُ

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**أَغْضِ عَلَى القَذَى وإِلَّا لَمْ تَرْضَ أَبَدًا**)) ، نَظِيرُهُ قَوْلُهُ :

---

(١) جَمَّ يَجِمُّ بِالكَسْرِ وبِالضَّمِّ الفَرَسُ إذا ذَهَبَ إعْياؤُهُ ، ويُقالُ إِنِّي لأَسْتَجِمُّ قَلْبِي مِنَ اللَّهْوِ لأَقْوَى فِيهِ عَلَى الحَق .

وَمَنْ لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ ۞ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهْوَ عَاتِبُ

وَمَـنْ يَتَتَبَّـعْ جَاهِـدًا كُلَّ آفَـةٍ ۞ يَجِدْهَا وَلا يَبْقَى لَهُ الدَّهْرَ صَاحِبُ

وقَرِيبٌ مِنْهُ :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ۞ ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهْ

وقَوْلُه :

وَلَسْـتَ بِمُسْـتَبْقٍ أَخًـا لا تَلُـمُّهُ ۞ عَلَى شَعَثٍ أَيُّ الرِّجالِ الْمُهَذَّبُ

وقالَ : ((**مَنْ لانَ عُودُهُ كَثَفَتْ أَغْصانُهُ**)) :

أَيْ مَنْ حَسُنَتْ أَخْلاقُهُ ولانَتْ كَلِمَتُهُ كَثُرَ مُحِبُّوهُ وأَعْوانُه .

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**عِنْدَ تَناهِي الشِّدَّةِ الفَرَجُ ، وعِنْدَ تَضايُقِ حِلَقِ البَلاءِ يَكُونُ الرَّخاءُ**)) ؛ مَعْناهُ تَوَقُّعِ الفَرَجَ عِنْدَ ارْتِتاجِ المَخْرَجِ ، قالَ الشَّاعِر :

إِذَا بَلَـغَ الْحَـوادِثُ مُنْتَهَاهَا ۞ فَرَجٌ بُعَيْدَهَا الْفَرَجَ الْمُظِـلَّا

فَكَـمْ كَـرْبٍ تَوَلَّى إِذْ تَوَالَى ۞ وَكَمْ خَطْبٍ تَجَلَّى حِينَ جَلَّا

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**البُخْلُ جامِعٌ لِمَساوِي العُيُوبِ وهُوَ زِمامٌ يُقادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ**)) .

قالَتِ الحُكَماءُ : السَّخاءُ هَيْئَةٌ للإِنْسان ، وداعِيَةٌ إِلَى بَذْلِ المُقْتَنَياتِ حَصَلَ البَذْلُ لَها أَوْ لَمْ يَحْصُلْ وذَلِكَ خُلُقٌ ، ويُقابِلُهُ الشُّحُّ ، وأَمَّا الجُودُ

فَهُوَ بَذْلُ المُقْتَنَى ، ويُقابِلُهُ البُخْلُ ، وقَدْ يُسْتَعْمَلُ كُلٌّ مِنْهُما مَوْضِعَ الآخَر ، ويَدُلُّ عَلَى ذَلِك أَنَّهُمْ جَعَلُوا اسْمَ الفاعِلِ مِنَ السَّخاءِ والشُّحِّ عَلَى بِناءِ الأَفْعالِ الغَرِيزِيَّةِ فَقالُوا : شَحِيحٌ وبَخِيلٌ فَبَنَوْهُ عَلى فَعِيلٍ كَحَلِيم وسَفِيه ، وقالُوا : جائِدٌ وباخِلٌ فَبَنَوْهُما عَلَى فاعِلٍ كَضارِب ، وأَمَّا قَوْلُهُمْ بَخِيلٌ فَلِلْمُبالَغَة ، وقالُوا : الجُودُ أَقْسامٌ ، أَعْظَمُها الجُودُ الإِلَهِي وهُوَ الفَيْضُ المُطْلَق ، وبَعْدَهُ جُودُ المُلُوكِ وهُوَ الجُودُ بِجُزْءٍ مِنَ المالِ عَلَى مَنْ تَدْعُوهُمُ الدَّواعِي والأَغْراضُ إِلَى الجُودِ عَلَيْه ، ويَتْلُوهُ جُودُ السُّوقَةِ وهُوَ بَذْلُ المالِ للسُّقاةِ والنَّدامَى والإِحْسانُ إِلَى الأَقارِب ؛ واسْمُ الجُودِ مَجازٌ فِيما عَدا الجُودِ الإِلَهِي لأَنَّهُ عارٍ عَنِ العِوَضِ والدَّواعِي ، فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى لِغَرَضِ الثَّناءِ والمَحْمَدَةِ فَإِنَّهُ تاجِرٌ يُعْطِي شَيْئًا لِيَأْخُذَ شَيْئًا ، ولِذا قالُوا إِنَّ قَوْلَ أَبِي نُواس :

فَتًى يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ ۞ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّئِرَاتِ تَدُورُ

لَيْسَ غايَةً فِي الوَصْفِ بِالجُودِ التَّامِّ بَلْ هُوَ وَصْفٌ لِتِجارَةٍ مَحْمُودَة ؛ وأَحْسَنُ مِنْهُ قَوْلُ ابنِ الرُّومِي حَيْثُ قالَ :

وَتَاجِرُ الْبِرِّ لا يَزَالُ لَهُ ۞ رِبْحَانِ فِي كُلِّ مَتْجَرٍ تَجِرَهْ

أَجْرٌ وَحَمْدٌ وَإِنَّمَا طَلَبَ الأَجْـ ۞ ـرَ وَلَكِنْ كِلاهُمَا اعْتَوَرَهْ

وَأَحْسَنُ مِنْهُما قَوْلُ بَشَّارِ بنِ بُرْد :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلا لِلـ ۞ ـخَوْفِ لَكِنْ يَلَذُّ طَعْمَ الْعَطاءِ

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُه ، ومَنْ فاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعْهُ حَسَبُ آبائِه)) ؛ قَدْ وَرَدَ صَدْرُ هَذا الكَلامِ فِي الحَدِيثِ المَرْفُوعِ وهَذا فِي أُمُورِ الدُّنْيا والدِّين ، ويُقالُ : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنِ افْتَخَرَ بالعِظامِ البالِيَة ، وتَبَجَّحَ بِالقُرُونِ الماضِيَة ، واتَّكَلَ عَلَى الأَيَّامِ الخالِيَة . افْتَخَرَ شَرِيفٌ بِآبائِهِ فَقالَ لَهُ خَصْمُهُ : لَوْ وُفِّقْتَ لَما ذَكَرْتَ آباءَكَ لأَنَّهُ حُجَّةٌ عَلَيْكَ تُنادِي بِنَقْصِكَ وتُخْبِرُ بِتَخَلُّفِكَ ، وقالَ الشَّاعِرُ :

لَـئِنْ فَخَـرْتَ بِآبَاءٍ ذَوِي حَسَـبٍ ۞ لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ بِئْسَ مَا وَلَدُوا

وقالَ الرَّشِيدُ : مَنِ افْتَخَرَ بِآبائِهِ فَقَدْ ناداكَ عَلَى نَفْسِهِ بِالعَجْزِ وأَقَرَّ عَلَى هِمَّتِهِ بِالدَّناءَة ، قالَ ابنُ الرُّومِي :

وَمَا الْحَسَبُ الْمَوْرُوثُ لا دَرَّ دَرُّهُ ۞ بِمُحْـتَسَبٍ إِلَّا بِآخَـرَ مُكْـتَسَبْ

إِذَا الْعُودُ لَمْ يُثْمِرْ وَإِنْ كَانَ شُعْبَةً ۞ مِنَ الْمُثْمِرَاتِ اعْتَدَّهُ النَّاسُ فِي الْحَطَبْ

وقالَ عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَر رَحِمَهُ الله :

لَسْـنَا وَإِنْ كَـرُمَـتْ أَوَائِلُنَا ۞ يَوْمًا عَلَى الأَحْسَابِ نَتَّكِلُ

نَبْنِـي كَـمَا كَانَـتْ أَوَائِلُـنا ۞ تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وقالَ رضي الله عنه : ((**تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ المَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسانِه**)) .

هَذِهِ الكَلِمَةُ الَّتي لا يُقادَرُ قَدْرُها ، كانَ يَحْيَى بنُ خالِدٍ يَقُولُ : ما جَلَسَ أَحَدٌ إِلَيَّ قَطُّ إِلَّا هِبْتُهُ حَتَّى يَتَكَلَّم ، فَإِذا تَكَلَّمَ فَإِمَّا تَزْدادُ تِلْكَ الهَيْبَةُ أَوْ تَنْقُصُ ، قالَ زُهَيْرُ بنُ أَبِي سُلْمَى فِي مُعَلَّقَتِهِ المَشْهُورَة :

وَكَائِنْ تَرَى مِنْ صَامِتٍ لَكَ مُعْجِبٌ ۞ زِيَادَتُهُ أَوْ نَقْصُهُ فِي التَّكَلُّم

لِسَانُ الْفَتَى نِصْفٌ وَنِصْفٌ فُؤَادُهُ ۞ فَلَمْ تَبْقَ إِلَّا صُورَةُ اللَّحْمِ وَالدَّم

ويُقالُ لَيْسَتِ البَلاغَةُ بِإِطالَةِ الكَلام ولَكِنْ بِإِصابَةِ المَعْنَى وحُسْنِ الإِيجاز ، قِيلَ لأَعْرابِيٍّ : مَنْ أَبْلَغُ النَّاس ؟ قالَ أَسْهَلُهُمْ لَفْظًا وأَحْسَنُهُمْ بَدِيهَةً ، وقالَ ابنُ المُبارَك : ما قَرَأْتُ كِتابَ رَجُلٍ قَطُّ إِلَّا عَرَفْتُ مِقْدارَ عَقْلِه .

وَفَدَ أَعْرابِيٌّ عَلَى رَبِيعَةِ الرَّأْي وقَدْ تَكَلَّمَ فَأَكْثَرَ فَظَنَّ أَنَّ وُقُوفَهُ لإِعْجابِهِ بِكَلامِهِ فَقالَ : يا أَعْرابِيُّ ما البَلاغَة ؟ قالَ : الإِيجازُ فِي الصَّواب ؛ قالَ : فَما العِيُّ ؟ قالَ : ما أَنْتَ فِيهِ مُنْذُ اليَوْم .

وقالَ رضي الله عنه : ((**ما قالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ طُوبَى إِلَّا وقَدْ خَبَّأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سُوء**)) .

قَدْ وَرَدَ مَعْناهُ فِي الحَدِيثِ النَّبَوِي ، قالَ يَحْيَى بنُ خالِد : أَعْطانا

الدَّهْرُ فَأَسْرَفَ ثُمَّ مالَ عَلَيْنا فَأَجْحَفَ ؛ فالنَّعِيمُ ساعَدَنا زَمانُهُ ، وحالَتْ بِنا أَكْفالُهُ وأَرْدانُهُ ، ويُقالُ : إِذا أَدْبَرَ الأَمْرُ أَتَى الشَّرُّ مِنْ حَيْثُ يَأْتِي الخَيْرُ ، قالَ الشَّاعِرُ :

رُبَّ قَوْمٍ قَدْ غَدَوْا مِنْ عَيْشِهِمْ ❁ مِنْ سُرُورٍ وَنَعِيمٍ وَغَدَقْ
سَكَتَ الدَّهْرُ زَمانًا عَنْهُمُ ❁ ثُمَّ أَبْكاهُمْ دَمًا حِينَ نَطَقْ

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سَقَمِ المَوَدَّةِ**)) .

الحَسَدُ مَذْمُومٌ مُطْلَقًا ، عَقْلًا وشَرْعًا وهُوَ للصَّدِيقِ أَشَدُّ ذَمًّا ، ومِنَ المُتَّصِفِ بِهِ أَشَدُّ لُؤْمًا ؛ وحَقِيقَتُهُ : أَنْ تَغْتاظَ بِما رَزَقَهُ اللهُ غَيْرَكَ وتَوَدَّ أَنَّهُ زالَ عَنْهُ وصارَ إِلَيْكَ ، والغِبْطَةُ أَنْ لا تَغْتاظَ وتَوَدَّ زَوالَهُ ، وإِنَّما تُحِبُّ لَكَ مِثْلَهُ ، ولَيْسَتِ الغِبْطَةُ مَذْمُومَةً ، قالَ تَعالَى حاكِيًا فِي قِصَّةِ قارون : ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ؛ فَإِنَّما غَبَطُوهُ وتَمَنَّوْا لَهُمْ مِثْلَهُ ، ولِذا لَمْ يَرِدْ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ ذَمٌّ وإِنَّما وَرَدَ بَعْدَهُ : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ .

وفِي الكُتُبِ القَدِيمَةِ : الحاسِدُ عَدُوٌّ نِعْمَتِي مُتَسَخِّطٌ لِفِعْلِي غَيْرُ راضٍ

بِقَسْمِي ، قالَ الشَّاعِر :

أَلا قُلْ لِمَنْ كَانَ لِي حَاسِدًا ۞ أَتَدْرِي عَلَى مَنْ أَسَأْتَ الأَدَبْ

أَسَأْتَ عَلَى اللهِ فِي فِعْلِهِ ۞ لِأَنَّكَ لَمْ تَرْضَ لِي ما وَهَبْ

فَجَازَاكَ عَنِّي بِأَنْ زَادَنِي ۞ وَسَدَّ عَلَيْكَ وُجُوهَ الطَّلَبْ

ومِنْ كَلامِ الحُكَماءِ : إِيَّاكَ والحَسَدَ فَإِنَّهُ يَبِينُ فِيكَ ولا يَبِينُ فِي المَحْسُود ، قالَ الشَّاعِرُ :

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُو ۞ دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهْ

كَالنَّارِ تَأْكُلُ بَعْضَهَا ۞ إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهْ

وقالَ :

إِنْ يَحْسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لائِمِهِمْ ۞ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا

فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمُ ۞ وَمَاتَ أَكْثَرُنا غَيْظًا بِمَا يَجِدُ

وقالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((**القَناعَةُ سَيْفٌ لا يَنْبُو ، والصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لا تَكْبُو ، وأَفْضَلُ العُدَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الشِّدَّةِ**)) .

قالَ بَعْضُ الحُكَماء : حَدُّ القَناعَةِ هُوَ الرِّضَى بِما دُونَ الكِفايَة ، والزُّهْدُ الاقْتِصارُ عَلَى الزَّهِيدِ أَي القَلِيلِ وهُما مُتَقارِبان ، وفِي الأَغْلَبِ أَنَّ الزُّهْدَ هُوَ رَفْضُ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَعَ الاقْتِدارِ عَلَيْها ، وأَمَّا القَناعَةُ فَهِيَ

إِلْزامُ النَّفْسِ الصَّبْرَ عَلَى المُشْتَهَياتِ الَّتي لا يُقْدَرُ عَلَيْها ، وكُلُّ زُهْدٍ حَصَلَ لا عَنْ قَناعَةٍ فَهُوَ تَزَهُّدٌ لا زُهْدٌ ، قالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّة : القَناعَةُ أَوَّلُ الزُّهْدِ ، تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ الإِنْسانَ يَحْتاجُ أَوَّلًا إِلَى قَرْعِ نَفْسِهِ ، وَتَخْصِيصُهُ بِالقَناعَةِ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ تَعاطِي الزُّهْد ، وقالَ بَزَر جَمْهَر : صاحِبُ القَناعَةِ عَزِيزٌ فِي عاجِلِهِ ، وعَلَى ثَوابٍ فِي آجِلِهِ ، قالَ مُحَمَّد ابنُ حاتِم :

يَا أَسِيرَ الطَّمَعِ الْكَا ۞ ذِبِ فِي ذُلِّ الْهَوَانِ
إِنَّ عِزَّ الْيَأْسِ خَيْرٌ ۞ لَكَ مِنْ ذُلِّ الأَمَانِي
سَامِحِ النَّفْسَ إِذَا عَـ ۞ ـزَّ وَخُذْ صَفْوَ الزَّمَانِ

وقالَ آخَرُ :

رُبَّمَا أَعْدَمَ ذُو الْحِرْ ۞ صِ وَأَثْرَى ذُو التَّوَانِي
لَكَ مَا عِشْتَ غَدًا يَأْ ۞ تِيكَ مِنْ أَوْفَى الضَّمَانِ

وقالَ آخَرُ :

لَيْسَ لِي مَالٌ سِوَى أَمَلِي ۞ فِيهِ لِي أَمْنٌ مِنَ الْعَدَمِ
لا أَقُولُ اللَّهُ يَظْلِمُنِي ۞ كَيْفَ أَشْكُو غَيْرَ مُتَّهَمِ
قَنَعَتْ نَفْسِي بِما رُزِقَتْ ۞ وَتَمَطَّتْ فِي الْعُلا هِمَمِي

وَلَبِسْتُ الصَّبْرَ سَابِغَةً ۞ فَهْيَ مِنْ قَرْنِي إِلَى قَدَمِي
فَإِذَا مَا الدَّهْرُ عَاتَبَنِي ۞ لَمْ يَجِدْنِي كَافِرَ النِّعَمِ

قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لا تَكْبُو)) : قَدْ أَكْثَرَ النَّاسُ الكَلامَ فِي الصَّبْرِ والتَّوْصِيَةِ بِهِ ، وفِي الكِتابِ العَزِيزِ ما يُقارِبُ مِئَةَ آيَةٍ فِي ذِكْرِهِ ، وفِي الحَدِيث : (إِنَّ نِصْفَ الإِيمانِ الصَّبْرُ) ؛ ومِنْ كَلامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((الصَّبْرُ مِنَ الإِيمانِ كالرَّأْسِ مِنَ الجَسَدِ)) .

وفِي الأَمْثال : الصَّبْرُ مُرٌّ لا يَتَجَرَّعُهُ إِلَّا حُرٌّ ، وفِي كُتُبِ عَبْدِ الحَمِيد : أَقْرَأُ فِي الصَّبْرِ سُوَرًا ، ولا أَقْرَأُ فِي الجَزَعِ آيَة ، قالَ النُّمَيْرِي :

إِنِّي رَأَيْتُ وَفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ۞ لِلصَّبْرِ عَاقِبَةً مَحْمُودَةَ الأَثَرِ
وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يُحاوِلُهُ ۞ وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفَرِ

ويُناسِبُ تَسْمِيَةَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ للصَّبْرِ بِالمَطِيَّةِ قَوْلُ الشَّاعِر :

مَنْ يَمْتَطِي الصَّبْرَ يَضَعْ رَحْلَهُ ۞ بِسَاحَةِ الرَّاحَةِ وَالْبِشْرِ

وقَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((وأَفْضَلُ العُدَّةِ الصَّبْرُ عَلَى الشِّدَةِ)) .

قالُوا : للأَزْمانِ المَحْمُودَةِ والمَذْمُومَةِ آجالٌ وأَعْمارٌ كَأَعْمارِ النَّاسِ وآجالِهِمْ ، فاصْبِرُوا للزَّمانِ السُّوءِ حَتَّى يَنْقَضِيَ عُمْرُهُ ، ويَأْتِيَ أَجَلُه .
قالَ ابنُ السَّمَّاك : المُصِيبَةُ واحِدَةٌ ، وإِنْ جَزِعَ صاحِبُها فَهِيَ اثْنَتان ،

يَعْنِي فَقْدَ المُصابِ وفَقْدَ الثَّوابِ ، وقالَ المُحاسِبي : لِكُلِّ شَيْءٍ جَوْهَرَة ، وجَوْهَرَةُ الإنْسانِ العَقْل ، وجَوْهَرَةُ العَقْلِ الصَّبْر .

وقالَ رضي الله عنه : ((**صَوابُ الرَّأْيِ بالدُّوَلِ يُقْبِلُ بإقْبالِها ويُدْبِرُ بإدْبارِها**)) .

هَذا أَمْرٌ مُشاهَدٌ كَمْ قَوْمٍ أَدْبَرُوا حَتَّى نَزَلَ عَلَيْهِمُ العَدُوُّ فَعَمِيَتْ بَصائِرُهُمْ عَنِ الصَّواب ، وقالَ الصُّولِي : اجْتَمَعَ بَنُو بَرْمَك عِنْدَ يَحْيَى ابنِ خالِد فِي آخِرِ دَوْلَتِهِمْ وهُمْ يَوْمَئِذٍ عَشَرَةٌ ، فَأَدارُوا بَيْنَهُمُ الرَّأْيَ فِي أَمْرٍ فَلَمْ يَصْلُحْ لَهُمْ ، فَقالَ يَحْيَى : إنَّا لله ، ذَهَبَتْ واللهِ دَوْلَتُنا ؛ كُنَّا فِي إقْبالِ دَوْلَتِنا يُبْرِمُ الواحِدُ مِنَّا عَشَرَةَ آراءٍ مُشْكِلَةٍ فِي وَقْتٍ واحِدٍ ، واليَوْمَ نَحْنُ عَشَرَةٌ فِي أَمْرٍ غَيْرِ مُشْكِلٍ ولَمْ يَصْلُحْ لَنا فِيهِ رَأْيٌ ، نَسْأَلُ اللهَ حُسْنَ الخاتِمَة .

وقالَ رضي الله عنه : ((**الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدان ، ويُجَدِّدُ الآمال ، ويُقَرِّبُ المَنِيَّةَ ، ويُبْعِدُ الأُمْنِيَّةَ ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ ، ومَنْ فاتَهُ تَعِبَ**)) .

قالَ بَعْضُ الحُكَماء : الدُّنْيا تَسُرُّ لِتَغُرَّ ، وتُفِيدُ لِتَكِيدَ ، كَمْ راقِدٍ فِي ظِلِّها قَدْ أَيْقَظَتْهُ ؟ وواثِقٍ بِها قَدْ خَذَلَتْهُ ، بِهَذا الخُلُقِ عُرِفَتْ وعَلَى هَذا الشَّرْطِ صُوحِبَتْ ، وقالَ القائِلُ وأَحْسَنَ ما أَنْشَأَ :

كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى ۞ وَلَمْ تَرَ بِالْبَاقِينَ مَا صَنَعَ الدَّهْرُ

فَإِنْ كُنْتَ لا تَدْرِي فَأَيْنَ دِيَارُهُمْ ؟ ۞ عَفَاهَا مَجَالُ الرِّيحِ بَعْدَكَ وَالْقَطْرُ
وَهَلْ أَبْصَرَتْ عَيْنَاكَ حَيًّا بِمَنْزِلٍ ؟ ۞ عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا بِالْعَرَاءِ لَهُ قَبْرُ
فَلا تَحْسَبَنَّ الْوَفْرَ مَالًا جَمَعْتَهُ ۞ وَلَكِنَّ مَا قَدَّمْتَ مِنْ صَالِحٍ وَفْرُ
مَضَى جَامِعُو الأَمْوَالِ لَمْ يَتَزَوَّدُوا ۞ سِوَى الْفَقْرِ يَا بُؤْسًا لِمَنْ زَادُهُ الْفَقْرُ
فَحَتَّامَ لا تَصْحُو وَقَدْ قَرُبَ الْمَدَى ۞ وَحَتَّامَ لا يَنْجَابُ عَنْ قَلْبِكَ السُّكْرُ
بَلَى سَوْفَ تَصْحُو حِينَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا ۞ وَتَذْكُرُ قَوْلِي حَيْثُ لا يَنْفَعُ الذِّكْرُ
وَمَا بَيْنَ مِيلادِ الْفَتَى وَوَفَاتِهِ ۞ إِذَا نَصَحَ الأَقْوَامُ أَنْفُسَهُمْ - عُمْرُ
لِأَنَّ الَّذِي يَأْتِي شَبِيهُ الَّذِي مَضَى ۞ وَمَا هُوَ إِلَّا وَقْتُكَ الضَّيِّقُ النَّزْرُ
فَصَبْرًا عَلَى الأَيَّامِ حَتَّى تَجُوزَهَا ۞ وَعَمَّا قَلِيلٍ بَعْدَهَا يُحْمَدُ الصَّبْرُ

فَهَذِهِ كَلِماتٌ مِنْ حِكَمِهِ رضي الله عنه مَشْرُوحَةٌ أَوْرَدْناها تَبَرُّكًا ، ولْنُورِدْ مِنْ جَوامِعِ كَلِمِهِ الرَّشِيقَةِ الحِكَمَ المُعَبِّرَةَ عَنِ الشَّرِيعَةِ والطَّرِيقَةِ والحَقِيقَةِ بِغَيْرِ شَرْحٍ لِظُهُورِ مَعْناها ؛ مِنْها :

- العالِمُ مِصْباحُ اللهِ فِي الأَرْضِ فَإِذا أَرادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا اقْتَبَسَ مِنْهُ .
- الأُنْسُ بِالعِلْمِ مِنْ نُبْلِ الهِمَّةِ .
- مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ عَرَفَ رَبَّهُ .
- إِذا شَكَكْتَ فِي مَوَدَّةِ إِنْسانٍ فَاسْأَلْ عَنْها قَلْبَكَ .

- السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ ، والشَّقِيُّ مَنِ اتَّعَظَ بِهِ غَيْرُهُ .
- إذا قَعَدْتَ وأَنْتَ صَغِيرٌ حَيْثُ تَكْرَهُ قَعَدْتَ وأَنْتَ كَبِيرٌ حَيْثُ تُحِبُّ .
- الصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوح ، والأَخُ نَسِيبُ الجِسْم .
- أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا مَنْ كانَ فِي طَلَبِ صَدِيقٍ يَرْضاه .
- صَدِيقُكَ مَنْ نَهاكَ وعَدُوُّكَ مَنْ أَغْراكَ .
- فِي الاعْتِبارِ غِنًى عَنِ الأَخْبار .
- اسْتِشارَةُ الأَعْداءِ مِنْ بابِ الخُذْلان .
- الرَّاضي عَنْ نَفْسِهِ مَسْتُورٌ عَنْهُ عَيْبُهُ ، ولَوْ عَرَفَ فَضْلَ غَيْرِهِ لَساءَهُ ما بِهِ مِنَ النَّقْصِ والخُسْران .
- الكُتُبُ بَساتِينُ العُلَماء .
- المالُ يَنْقُصُ بالنَّفَقَةِ والعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الإنْفاق .
- الحِكْمَةُ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي القُلُوبِ وتُثْمِرُ عَلَى اللِّسان .
- العالِمُ والمُتَعَلِّمُ شَرِيكانِ فِي الأَجْر .
- الدَّهْرُ يَوْمانِ يَوْمٌ لَكَ ويَوْمٌ عَلَيْكَ فَإذا كانَ لَكَ فَلا تَبْطُرْ وإذا كانَ عَلَيْكَ فاصْطَبِرْ .
- الصَّمْتُ يُكْسِيكَ ثَوْبَ الوَقارِ ويَكْفِيكَ مَؤُونَةَ الاعْتِذارِ .

- الحُمْقُ داءٌ لا يُدَاوَى ومَرَضٌ لا يَبْرَى .
- عِيادَةُ النَّوْكَى[1] أَشَدُّ عَلَى المَرِيضِ مِنْ وَجَعِه .
- الغَضَبُ نارٌ مُوقَدَةٌ مَنْ كَظَمَهُ أَطْفأَها ومَنْ أَطْلَقَهُ كانَ أَوَّلَ مُحْتَرِقٍ بِها .
- الحَرِيصُ فَقِيرٌ ولَوْ مَلَكَ الدُّنْيا بِحَذافِيرِها .
- الحَسَدُ يُذِيبُ الجَسَدَ .
- شَرُّ الإِخْوانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ .
- صَدِيقُ البَخِيلِ مَنْ لَمْ يُجَرِّبْهُ .
- أَطْوَلُ النَّاسِ نَصَبًا الحَرِيصُ إِذا طَمِعَ والحَقُودُ إِذا مُنِعَ .
- عادَةُ النَّوْكَى (الحَمْقَى) الجُلُوسُ فَوْقَ القِدْرِ والمَجِيءُ فِي غَيْرِ الوَقْتِ .
- السَّفَرُ مِيزانُ الأَخْلاق .
- إِذا أَيْسَرْتَ فَكُلُّ الرِّجالِ مِنْ رِجالِكَ ، وإِذا أَعْسَرْتَ أَنْكَرَكَ أَهْلُكَ .
- الصَّلاةُ صابُونُ الخَطايا .
- يَنْبَغِي لِذَوِي القَراباتِ أَنْ يَتَزاوَرُوا ولا يَتَجاوَرُوا .
- العَفْوُ عَنِ المُقِرِّ لا عَنِ المُصِرِّ .

---

(١) النَّوْكَى : جَمْعُ أَنْوَك : الأَحْمَق .

- ما اسْتَغْنَى أَحَدٌ بِاللهِ إِلَّا افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْه .
- ثَمَرَةُ القَناعَةِ الرَّاحَة ، وثَمَرَةُ التَّواضُعِ المَحَبَّة .
- ما عَفَا عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ .
- إِعادَةُ الأَعْذارِ تَذْكِيرٌ بِالذَّنْب .
- كُلَّما كَثُرَ خُزَّانُ الأَسْرارِ زادَتْ ضَياعًا .
- مَنْ طالَ عُمْرُهُ رَأَى فِي أَعْدائِهِ ما يَسُرُّهُ .
- أَعَمُّ الأَشْياءِ نَفْعًا مَوْتُ الأَشْرار .
- الوُقُوعُ فِي المَكْرُوهِ أَسْهَلُ مِنْ تَوَقُّعِ المَكْرُوه .
- المَيِّتُ يَقِلُّ التَّحَسُّدُ لَهُ ويَكْثُرُ الكَذِبُ عَلَيْه .
- خَيْرُ القُلُوبِ أَوْعاها .
- بِالعُقُولِ تُنالُ ذِرْوَةُ الأُمور .
- أَكْبَرُ الفَخْرِ أَنْ لا تَفْخَرَ .
- العِشْقُ مَرَض ، لَيْسَ فِيهِ أَجْرٌ ولا عِوَض .
- آلَةُ الرِّياسَةِ سَعَةُ الصَّدْر .
- مَنِ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الآراءِ عَرَفَ مَواقِعَ الأَخْطاءِ .
- ازْجُرِ المُسِيءَ بِثَوابِ المُحْسِنِ[1] .

---

(١) وقَدْ نَظَمَهُ أَبو العَتاهِيَة وقالَ :

إِذا جَازَيْتَ بِالإِحْسَانِ قَوْمًا ۞ زَجَرْتَ المُذْنِبِينَ مِنَ الذُّنُوبِ

- احْصُدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ .
- لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبارٌ ، وما أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ .
- لا تُعادُوا الدُّوَلَ المُقْبِلَةَ فَتَشْرِبُوا قُلُوبَهُمْ بُغْضَكُمْ فَتُدْبِرُوا بِإِقْبالِها .
- فاعِلُ الخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وفاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ .

ونَظَمَهُ العَلَّامَةُ ابنُ أَبِي الحَدِيدِ فَقالَ :

خَيْرُ الْبَضَائِعِ لِلْإِنْسَانِ مَكْرُمَةٌ ۞ تَنْمُو وَتَزْكُو إِذَا بَارَتْ بَضَائِعُهُ
فَالْخَيْرُ خَيْرٌ وَخَيْرٌ مِنْهُ فَاعِلُهُ ۞ وَالشَّرُّ شَرٌّ وَشَرٌّ مِنْهُ صَانِعُهُ

- أَشْرَفُ الغِنَى تَرْكُ المُنَى .
- لا قُرْبَةَ بِالنَّوافِلِ إِذا أَضَرَّتْ بِالفَرائِض .
- لِسانُ العاقِلِ وَراءَ قَلْبِهِ وقَلْبُ الأَحْمَقِ وَراءَ لِسانِه .
- ما أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتاتِ لِسانِهِ وصَفَحاتِ وَجْهِهِ .
- أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفاءُ الزُّهْدِ .
- الحَذَرَ الحَذَرَ فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ غَفَرَ .
- سَيِّئَةٌ تَسُوؤُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ .
- عَيْبُكَ مَسْتُورٌ ما أَسْعَدَكَ جَدُّكَ .
- أَوْلَى النَّاسِ بِالعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى العُقُوبَة .

- فَوْتُ الحاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِها إلَى غَيْرِ أَهْلِها .
- أَشَدُّ المَشاقِّ وَعْدُ كَذَّابٍ لِحَرِيص .
- التَّكَبُّرُ عَلَى المُتَكَبِّرِينَ هُوَ التَّواضُعُ بِعَيْنِهِ .
- أَوْسَعُ ما يَكُونُ بالكَرِيم مَغْفِرَةً إذا ضاقَتْ بِالمُذْنِبِ المَعْذِرَة .
- لا تَسْتَحْيِ مِنْ إعْطاءِ القَلِيلِ فالحِرْمانُ أَقَلُّ مِنْهُ .
- العَفافُ زِينَةُ الفَقْرِ والشُّكْرُ زِينَةُ الغِنَى .
- قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ ما يُحْسِنُ .

وقَدْ نَظَمَها ابنُ الوَرْدِي حَيْثُ قالَ :

قِيمَةُ الإنْسَانِ مَا يُحْسِنُهُ ۞ أَكْثَرَ الإنْسَانُ مِنْهُ أَوْ أَقَل

- عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ ومَعَهُ الاسْتِغْفار .
- عاتِبْ أَخاكَ بِالإحْسانِ إلَيْه ، وارْدُدْ شَرَّهُ بِالإنْعامِ عَلَيْه .
- مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوْضِعَ التُّهْمَةِ فَلا يَلُومَنَّ مَنْ أَساءَ بِهِ الظَّنَّ .
- مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كانَتِ الخِيَرَةُ فِي يَدِه .
- كُلُّ وِعاءٍ يَضِيقُ بما فِيهِ إلَّا وِعاءُ العِلْم فَإنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ .
- مَنْ كَساهُ الحَياءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ .
- المَطامِعُ تُذِلُّ الرِّجال ، والمَوْتُ أَهْوَنُ مِنْ ذُلِّ السُّؤال .

• الاقْتِصادُ نِصْفُ المَؤُونَة . • أَوَّلُ الشَّهْوَةِ طَرَبٌ وآخِرُها عَطَبٌ .

• الجَهْلُ أَنْكَرُ عدُوٍّ . • أَكْبَرُ العَيْبِ أَنْ تَعِيبَ غَيْرَكَ بِما هُوَ فِيك .

• الكَرِيمُ إِذا وَعَدَ وَفَّى وإِذا قَدِرَ عفا .

• المُحْسِنُ حَيٌّ وإِنْ نُقِلَ إِلَى مَنازِلِ الأَمْوات .

• المَكْرُ بِمَنِ ائْتَمَنَكَ كُفْرٌ . • تَزْكِيَةُ الأَشْرارِ مِنْ أَعْظَمِ الأَوْزارِ .

• البَغْيُ يُخَرِّبُ الدِّيار . • إِذا رَأَيْتَ عالِمًا فَكُنْ لَهُ خادِمًا .

• البَخِيلُ أَبَدًا ذَلِيلٌ ، والحَسُودُ أَبَدًا عَلِيلٌ .

• النَّدَمُ عَلَى الخَطِيئَةِ يَمْحُوها . • أَقْوَى النَّاسِ مَنْ قَوِيَ عَلَى نَفْسِه .

• المَوَدَّةُ نَسَبٌ مُسْتَفادٌ . • مَنْ لَمْ يَرْحَمْ لَمْ يُرْحَمْ .

• الحَقُّ أَنْهَجُ سَبِيلٍ ، والعِلْمُ خَيْرُ دَلِيلٍ .

• الفِتْنَةُ يَنْبُوعُ الأَحْزان . • بِالكَذِبِ يَتَزَيَّنُ أَهْلُ النِّفاق .

• العِلْمُ يُنْجِيكَ والجَهْلُ يُرْدِيك .

• التَّواضُعُ يَرْفَعُ ، والتَّكَبُّرُ يَضَعُ . • الكَذِبُ خِيانَةٌ .

• الخائِفُ لا عَيْشَ لَهُ . • المَوَدَّةُ أَقْرَبُ رَحِم .

• مَنْ لَمْ يَتَعَلَّمْ لَمْ يَعْلَمْ . • أَخُوكَ مَنْ واساكَ فِي الشِّدَّة .

• المَرْءُ عَدُوُّ ما جَهِلَ . • لِلأَحْمَقِ مَعَ كُلِّ قَوْلٍ يَمِين .

- الصَّادِقُ مُكَرَّمٌ جَلِيلٌ ، والكاذِبُ مُهانٌ ذَلِيلٌ .
- الغَدْرُ يُضاعِفُ السَّيِّئات . • مَنْ أَفْشَى سِرَّكَ ضَيَّعَ أَمْرَكَ .
- الظُّلْمُ تَبِعاتٌ مُوبِقاتٌ . • مَنْ عَجِلَ زَلَّ .
- التَّكَبُّرُ عَيْنُ الحَماقَةِ ، والتَّبْذِيرُ عُنْوانُ الفاقَةِ .
- التَّقْوَى مِفْتاحُ الفَلاحِ . • مَنْ راعَى الأَيْتامَ رُوعِيَ فِي بَنِيه .
- التَّقْوَى حِصْنٌ حَصِين . • مَنْ لا دِينَ لَهُ لا مُرُوءَةَ لَهُ .
- العَفْوُ زَيْنُ القُدْرَة . • مَنْ أَبْصَرَ زَلَّتَهُ صَغُرَتْ عِنْدَهُ زَلَّةُ غَيْرِه .
- العَدْلُ قِوامُ الرَّعِيَّة . • كُنْ سَمْحًا ولا تَكُنْ مُبَذِّرًا .
- التَّجارِبُ عِلْمٌ مُسْتَفاد .
- الصِّحَّةُ أَفْضَلُ النِّعَم . • أَنْفَعُ العِلْمِ ما عُمِلَ بِهِ .
- العِلْمُ لا يَنْتَهِي . • العِلْمُ يَدُلُّ عَلَى العَقْلِ فَمَنْ عَلِمَ عَقَلَ .
- البَشاشَةُ تَجْلِبُ المَوَدَّة . • كَثْرَةُ ضَحِكِ الرَّجُلِ تُذْهِبُ وَقارَهُ .
- العالِمُ حَيٌّ وإِنْ كانَ مَيْتًا ، والجاهِلُ مَيِّتٌ وإِنْ كانَ حَيًّا .
- الوَعْدُ قَرْضٌ والبِرُّ إِنْجازُهُ . • كَمْ مِنْ إِنْسانٍ أَهْلَكَهُ لِسان .
- الواحِدُ مِنَ الأَعْداءِ كَثِيرٌ . • شَرُّ الوُلاةِ مَنْ يَخافُهُ البَرِيءُ .
- الغَرِيبُ مَنْ لَيْسَ لَهُ حَبِيب .

- شَرُّ الأَوْطانِ ما لا يَأْمَنُ فِيهِ القُطَّان (أَيْ : المُقِيمُونَ فِيه) .
- المُسْتَشِيرُ مُتَحَصِّنُ مِنَ السَّقَطِ ، والمُسْتَبِدُّ مُتَهَوِّرٌ فِي الغَلَطِ .
- اللِّسانُ سَبُعٌ إِنْ أَطْلَقْتَهُ عَقَرَ .
- العِلْمُ كَنْزٌ عَظِيمٌ لا يَفْنَى ، والعَقْلُ ثَوْبٌ جَدِيدٌ لا يَبْلَى .
- العالِمُ يَنْظُرُ بِقَلْبِهِ وخاطِرِهِ ، والجاهِلُ يَنْظُرُ بِعَيْنِهِ وناظِرِهِ .
- الصَّمْتُ بِغَيْرِ تَفَكُّرٍ خَرَسٌ .
- بالبِرِّ يُسْتَعْبَدُ الحُرُّ .
- الغَشُوشُ لِسانُهُ حُلْوٌ وقَلْبُهُ مُرٌّ .
- العَفْوُ تاجُ المَكارِمِ .
- البَلاغَةُ ما سَهُلَ عَلَى النُّطْقِ وخَفَّ عَلَى الفِطْنَةِ .
- الإِحْسانُ يَسْتَعْبِدُ الإِنْسان ، والمَنُّ يُفْسِدُ الإِحْسان .
- الكَيِّسُ مَنْ كانَ يَوْمُهُ خَيْرًا مِنْ أَمْسِهِ .
- الجاهِلُ لا يَعْرِفُ تَقْصِيرَهُ ، ولا يَقْبَلُ مِنَ النَّاصِحِ لَهُ .
- الدَّاعِي بِلا عَمَلٍ كالقَوْسِ بِلا وَتَرٍ .
- الكَرِيمُ يَجْفُو إِذا عُنِّفَ ويَلِينُ إِذا اسْتُعْطِفَ ، واللَّئِيمُ يَجْفُو إِذا اسْتُعْطِفَ ولا يَلِينُ إِلَّا إِذا عُنِّفَ .
- الطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاخْتِبارِ مِنْ قُصُورِ العَقْلِ .
- القَلْبُ خازِنُ اللِّسان ، واللِّسانُ تَرْجُمانُ الإِنْسان .

• الأَصْدِقاءُ نَفْسٌ واحِدَةٌ فِي جُسُومٍ مُتَفَرِّقَةٍ .

• اذْكُرْ مَعَ كُلِّ لَذَّةٍ زَوالَها ، ومَعَ كُلِّ نِعْمَةٍ انْتِقالَها .

• اشْكُرْ عَلَى مَنْ أَنْعَمَ إِلَيْكَ ، وأَنْعِمْ إِلَى مَنْ شَكَرَكَ .

• اسْتَشِرْ عَدُوَّكَ العاقِلَ واحْذَرْ رَأْيَ صَدِيقِكَ الجاهِلِ .

• اقْبَلْ عُذْرَ مَنِ اعْتَذَرَ إِلَيْكَ .

• ابْذُلْ لِصَدِيقِكَ كُلَّ المَوَدَّةِ ولا تَبْذُلْ لَهُ الطُّمَأْنِينَةَ .

• ابْدَأِ السَّائِلَ بِالنَّوالِ قَبْلَ السُّؤالِ ، فَإِنَّكَ إِنْ أَحْوَجْتَهُ إِلَى سُؤالِكَ أَخَذْتَ مِنْ حُرِّ وَجْهِهِ أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَيْتَهُ .

• اسْمَعْ تَعْلَمْ واسْكُتْ تَسْلَمْ .

• أَكْرِمْ ذَوِي رَحِمِكَ ، ووَقِّرْ حَلِيمَهُمْ ، واحْلُمْ عَلَى سَفِيهِهِمْ ، وتَيَسَّرْ لِمُعْسِرِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ لَكَ نِعْمَ العُدَّةُ فِي الرَّخاءِ والشِّدَّةِ .

• أَكْثِرِ النَّظَرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوابِ الشُّكْرِ .

• اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ وإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ .

• اعْجَبُوا لِهَذا الإِنْسانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ويَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ ويَسْمَعُ بِعَظْمٍ ويَتَنَفَّسُ مِنْ خُرْمٍ .

• اطْلُبُوا العِلْمَ تُعْرَفُوا بِهِ واعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ .

• اكْتَسِبُوا العِلْمَ يُكْسِبْكُمُ الجاهَ .

• احْذَرِ اللِّسانَ فَإِنَّهُ سَهْمٌ يُخْطِئُ .

• أَحَقُّ النَّاسِ بِالرَّحْمَةِ عالِمٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ جاهِلٍ ، وكَرِيمٌ يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ لَئِيمٌ ، وبَرٌّ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ فاجِرٌ .

• أَفْضَلُ النَّاسِ رَأْيًا مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ عَنْ مُشِير .

• اجْتِنابُ السَّيِّئاتِ أَوْلَى مِنَ اكْتِسابِ الحَسَنات .

• إذا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّك فاجْعَلِ العَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْه .

• إذا صَنَعْتَ مَعْرُوفًا فاسْتُرْهُ ، وإذا صُنِعَ إِلَيْكَ مَعْرُوفٌ فانْشُرْهُ .

• إنَّكُمْ إِلَى إنْفاقِ ما كَسَبْتُمْ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى اكْتِسابِ ما تَجْمَعُون .

• إِنِّي لا أَحُثُّكُمْ عَلَى طاعَةِ اللّهِ إِلَّا وأَسْبِقُكُمْ إِلَيْها ، ولا أَنْهاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللّهِ إِلَّا وأَنْتَهِي قَبْلَكُمْ عَنْها .

• إنَّما يَعْرِفُ الفَضْلَ لأَهْلِ الفَضْلِ أُولُو الفَضْل .

• آفَةُ العِلْمِ تَرْكُ العَمَلِ بِهِ ، وآفَةُ العَمَلِ تَرْكُ الإِخْلاصِ فِيه .

• آفَةُ العامَّةِ العالِمُ الفاجِر ، وآفَةُ العَدْلِ السُّلْطانُ الجائِر .

• تُعْرَفُ حَماقَةُ الرَّجُلِ فِي ثَلاثٍ : كَلامُهُ فِيما لا يَعْنِيه ، وجَوابُهُ عَمَّا لا يُسْأَلُ عَنْهُ ، وتَهَوُّرُهُ فِي الأُمُور .

• ثَلاثَةٌ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِمْ : العامِلُ بالظُّلْمِ والمُعِينُ عَلَيْهِ والرَّاضِي بِهِ .

• حُسْنُ الأَدَبِ يَسْتُرُ قُبْحَ النَّسَبِ .

• خُذْ مِنْ كُلِّ عِلمٍ أَحْسَنَهُ فَإِنَّ النَّحْلَ يَأْكُلُ مِنْ كُلِّ زَهْرٍ أَزْيَنَهُ .

• خالِطُوا النَّاسَ مُخالَطَةً جَمِيلَةً إِنْ مُتُّمْ بَكَوْا عَلَيْكُمْ وإِنْ غِبْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ .

• دارِ النَّاسَ تَسْتَمْتِعْ بِإِخائِهِمْ ، والْقَهُمْ بِالبِشْرِ تُمِتْ أَضْغانَهُمْ .

• ذَوُو العُيُوبِ يُحِبُّونَ إِشاعَةَ مَعائِبِ النَّاسِ لِيَتَّسِعَ لَهُمُ العُذْرُ فِي مَعائِبِهِمْ . • رَأْسُ السَّخاءِ تَعْجِيلُ العَطاءِ .

• رُبَّ مُواصَلَةٍ خَيْرٌ مِنْها القَطِيعَةُ .

• سامِعُ الغِيبَةِ أَحَدُ المُغْتابِين .

• زَلَّةُ القَدَمِ تُدْمِي وزَلَّةُ اللِّسانِ تُرْدِي .

• شَرُّ النَّاسِ مَنْ لا يَقْبَلُ العُذْرَ ولا يَغْفِرُ الذَّنْبَ .

• شَيْئانِ لا يُعْرَفُ مَحَلُّهُما إِلَّا مِنْ فَقْدِهِما : الشَّبابُ والعافِيَة .

• صَلاحُ البَدَنِ الحِمْيَةُ . • عِنْدَ الامْتِحانِ يُكْرَمُ المَرْءُ أَوْ يُهان .

• غاضَ الصِّدْقُ فِي النَّاسِ وفاضَ الكَذِبُ واسْتُعْمِلَتِ المَوَدَّةُ بِاللِّسانِ وتَشاحَنُوا بِالقُلُوب . • غارِسُ شَجَرَةِ الخَيْرِ يَجْتَنِيها أَحْلَى ثَمَرَة .

• كَيْفَ تَفْرَحُ بِعُمْرٍ تُنْقِصُهُ السَّاعات . • مَنْ قَنَعَ غَنِيَ .

• لَذَّةُ الكِرام فِي الإِطْعامِ ، ولَذَّةُ اللِّئامِ فِي الطَّعام .

• مَنْ مَدَحَكَ بما لَيْسَ فِيكَ فَهُوَ خَلِيقٌ بِذَمِّكَ بما لَيْسَ فِيكَ .

• مَنْ قَلَّ أَكْلُهُ صَفا فِكْرُهُ . • مَنْ عاشَ ماتَ .

• مَنْ دَخَلَ مَداخِلَ السُّوءِ اتُّهِمَ .

• مَنِ اسْتَعْمَلَ الرِّفْقَ لانَ لَهُ الشَّدائِد .

• مَنْ رَضِيَ بِقَسْمِ اللهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى ما فاتَهُ .

• مَنِ اعْتَزَلَ سَلِمَ .

• مَنْ نَظَرَ فِي العَواقِب ، سَلِمَ مِنَ النَّوائِب .

• مِنْ أَفْضَلِ الوَرَعِ أَنْ لا تَعْتَمِدَ فِي خَلْوَتِكَ ما تَسْتَحْيِي مِنْ إِظْهارِهِ فِي عَلانِيَتِك .

• مِنْ أَفْضَلِ المَكارِمِ تَحَمُّلُ المَغارِمِ وإِقْراءُ الضُّيُوف .

• نَفَسُ المَرْءِ خُطاهُ إِلَى أَجَلِه .

• لا تُغالِبْ مَنْ لا تَقْدِرُ عَلَى دَفْعِه .

• يُكْرَمُ السُّلْطانُ لِسُلْطانِهِ والعالِمُ لِعِلْمِهِ وذُو المَعْرُوفِ لِمَعْرُوفِهِ والكَبِيرُ لِسِنِّهِ .

الخَصِيصَةُ العِشْرون : عَلِيٌّ حامِلُ لِوائِهِ ﷺ ، وسَهْمُ اللّهِ ورَسُولِه عَلَى أَعْدائِهِ :

وهَذا أَوانُ الشُّرُوعِ فِي تَعْدادِ بَعْضِ مَقاماتِهِ فِي الجِهادِ ، وتَقْدِيمِها عَلَى فَضائِلِهِ وما اخْتُصَّ بِهِ رضي الله عنه عَنْ غَيْرِهِ ؛ لأَنَّ الجِهادَ سِنامُ الدِّينِ بِهِ قامَ الإيمانُ ، وبِالسُّيُوفِ تُلِيَ فِي المَحارِيبِ القُرْآنُ ، لَوْلاهُ ما أُقِيمَتِ الصَّلَوات ، وأُخِذَتِ الزَّكَوات ، ولأَنَّ مَنْ بَذَلَ نَفْسَهُ فِي مَواطِنِ الجِلادِ وعَرَّضَ نَفْسَهُ لِسَفْكِ دَمِهِ فَهُوَ بِسائِرِ المَأْمُوراتِ أَسْمَح ، وإِلَى الامْتِثالِ بِما عَداهُ أَجْنَح .

كَانَ سَهْمًا نَافِذًا حَيْثُ مَضَى ❁ وَعَلَى الأَعْدَاءِ سَيْفًا مَشْرَفِيَّا

وفِي تَشْبِيهِ الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه بِالسَّهْمِ والسَّيْفِ إِشارَةٌ إِلَى غايَةِ امْتِثالِهِ لِما أَمَرَ اللّهُ بِهِ ورَسُولُهُ ، كامْتِثالِ السَّهْمِ لِرامِيهِ ونُفُوذِهِ عَنْ قَوْسِهِ ونُفُوذِ السَّيْفِ مِنْ يَدِ ضارِبِهِ ، وصَدْرُ البَيْتِ أَعَمُّ مِنْ عَجُزِهِ لأَنَّهُ أُرِيدَ بِهِ أَنَّهُ كانَ نافِذًا نُفُوذَ السَّهْمِ فِي كُلِّ ما أُمِرَ بِهِ رضي الله عنه مِنْ جِهادٍ وغَيْرِهِ ، وعَجُزُهُ خاصٌّ بِالنُّفُوذِ فِي الجِهادِ الَّذِي نَنْشُرُ بَعْضَ مَقاماتِهِ فِيهِ فِيما يَأْتِي قَرِيبًا .

وقَدْ كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَبْعَثُهُ رضي الله عنه فِي المُهِمَّاتِ غَيْرَ الجِهادِ ، فَقَدْ كانَ حامِلَ لِوائِهِ ، وسَهْمَ اللّهِ ورَسُولِهِ عَلَى أَعْدائِهِ .

ومِنَ المُهِمَّاتِ الَّتِي بَعَثَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لَها :

• قَضاءُ اليَمَن ؛ ودَعا لَهُ ﷺ بِالدُّعاءِ الَّذي بِسَبَبِهِ قالَ فِيهِ (أَقْضاكُمْ عَلِيٌّ) .

أَخْرَجَ ابنُ حَنْبَل وغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ : لَمَّا بَعَثَنِي رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ إِلَى اليَمَنِ قاضِيًا وأَنا حَدَثُ السِّنِّ ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللّٰهِ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ تَكُونُ بَيْنَهُمْ أَحْداثٌ ولا عِلْمَ لِي بِالقَضاءِ ، قالَ ﷺ : (إِنَّ اللّٰهَ سَيَهْدِي لِسانَك ويُثَبِّتُ قَلْبَكَ) ، قالَ : فَما شَكَكْتُ فِي قَضاءٍ بَيْنَ اثْنَيْن .

• بَعْثُهُ ﷺ لَهُ لِكِتابِ حاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَة ؛ كَما أَخْرَجَهُ البُخارِي ومُسْلِم والتِّرْمِذِي والنَّسائِي وغَيْرُهُمْ مِنْ حَدِيثِ الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه قالَ :

بَعَثَنِي رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَنا والزُّبَيْرَ والمِقْدادَ ، ولَيْسَ مِنَّا رَجُلٌ إِلَّا ومَعَهُ فَرَسٌ ، فَقالَ : (ائْتُوا رَوْضَةَ خاخ ، فَإِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بِها امْرَأَةً ومَعَها كِتابٌ فَخُذُوهُ مِنْها ، فانْطَلَقْنا حَتَّى رَأَيْناها بِالمَكانِ الَّذي ذَكَرَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ ، فَقُلْنا لَها هاتِي الكِتاب ، فَقالَتْ ما مَعِيَ كِتابٌ ، فَوَضَعْنا مَتاعَها فَفَتَّشْناهُ ، فَلَمْ نَجِدْهُ فِي مَتاعِها ، فَقالَ أَحَدُنا : فَلَعَلَّهُ أَنْ لا يَكُونَ مَعَها كِتاب ؛ فَقُلْنا ما كَذَبَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ ولا كَذَبْنا ، فَقُلْنا لَها : لَتُخْرِجِنَّهُ أَوْ لَنَضْرِبَنَّكِ ، فَقالَتْ : أَما تَتَّقُونَ اللّٰهَ أَما أَنْتُمْ مُسْلِمُون ؟ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ حُجْزَتِها ، وفِي لَفْظٍ : مِنْ قُبُلِها ، فَأَتَيْنا النَّبِيَّ ﷺ فَإِذا

فِي الكِتاب : مِنْ حاطِبِ بنِ أَبِي بَلْتَعَة ، فَقامَ عُمَرُ فَقالَ : يا رَسُولَ اللَّه ، خانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ ، اِئْذَنْ لِي فَأَضْرِبَ عُنُقَه ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (أَلَيْسَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ؟ قالُوا : بَلَى يا رَسُولَ اللَّه ، قالَ عُمَرُ : بَلَى ، ولَكِنْ قَدْ نَكَثَ وظاهَرَ أَعْداءَكَ عَلَيْك ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (فَلَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقالَ اعْمَلُوا ما شِئْتُم) ، فَفاضَتْ عَيْنا عُمَرَ ، فَقالَ : اللَّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَم .

• بَعْثُهُ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه لِتَدارُكِ ما فَعَلَ خالِدٌ فِي بَنِي جُذَيْمَة ، وقَوْلُهُ ﷺ بَعْدَ أَنْ رَجَعَ : (أَصَبْتَ وأَحْسَنْتَ) .

• بَعْثُ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه بِصَدْرِ سُورَةِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ :

فَفِي أُخْرَياتِ ذِي القِعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلهِجْرَةِ أَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَيِّدَنا أَبا بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه لِيَحُجَّ بِالنَّاس ، وبَعْدَ أَنْ تَحَرَّكَ وَفْدُ الحَجِيجِ نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوائِلُ سُورَةِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ ، فَأَرْدَفَ ﷺ بِعَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رضي الله عنه فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ بِـ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ .

قالَ ابنُ إِسْحاق[1] : بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَبا بَكْرٍ رضي الله عنه أَمِيرًا ، ثُمَّ بَعَثَ بَعْدَهُ عَلِيًّا رضي الله عنه وأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَلَّى نَبْذَ العُهُودِ ، بِأَنْ يَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ صَدْرَ سُورَةِ ﴿بَرَآءَةٌ﴾ ، لِئَلَّا يَبْقَى لِلمُشْرِكِينَ عُذْرٌ ، إِذْ كانَ مِنْ عادَتِهِمْ أَلَّا يَتَوَلَّى نَبْذَ

(١) سِيرَةُ ابنِ هِشام .

العُقُودِ إلَّا مَنْ تَوَلَّى عَقْدَها وهُوَ صاحِبُها ، أَوْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِه .

قالَ ابنُ إسْحاق : فَلَمَّا أدْرَكَ عَلِيٌّ أبا بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ لَهُ أبو بَكْرٍ : أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ ؟ فقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : بَلْ مَأْمُورٌ ، ثُمَّ مَضَيا ، فَكانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُنادِي بـ (مِنَى) : أَنَّهُ مَنْ كانَ لَهُ أَجَلٌ فَلَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ، ثُمَّ لا عَهْدَ لَهُ ، لِقَوْلِهِ تَعالَى : ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [1] .

ورَوَى الطَّبَرانِي أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَ لَهُ : إنَّهُ لَنْ يُؤَدِّيَها (أَي البَراءَة) إلَّا أَنْتَ أَوْ رَجُلٌ مِنْكَ [2] .

وكانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُصَلِّي فِي هَذا السَّفَرِ وَراءَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

إزاحَةُ شُبْهَة بِجَوابِ حُجَّة : وهُنا شُبْهَةٌ نَرَى لِزامًا أَنْ نَعْرِضَ لَها ، ونُبَيِّنَ الحَقَّ فِيها ؛ وهِيَ : لِمَ عَدَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَبْلِيغِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صَدْرَ سُورَةِ ﴿بَرَآءَة﴾ ووَكَلَ ذَلِكَ إلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

والجَوابُ : أَنَّ صَدْرَ سُورَةِ ﴿بَرَآءَة﴾ تَضَمَّنَ نَقْضَ العُهُودِ المُطْلَقَةِ غَيْرِ المُقَيَّدَةِ بِوَقْتٍ ، أَوِ الَّتِي مُدَّتُها فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فِيما زادَ عَنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ، وكانَ العَرَبُ قَدْ تَعارَفُوا فِيما بَيْنَهُمْ فِي عَقْدِ العُقُودِ ونَقْضِها أَلَّا يَتَوَلَّى ذَلِكَ إلَّا سَيِّدُ القَبِيلَة ، أَوْ رَجُلٌ مِنْ رَهْطِهِ ، فَأَرادَ اللهُ عَزَّ

---

(١) سُورَةُ التَّوْبَة : مِنَ الآيَة ٢ .

(٢) وكَذَلِكَ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وجَلَّ أَنْ يَكُونَ المُبَلِّغُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ رَجُلًا مِنْ أَهْلِهِ ، حَتَّى يَقْطَعَ أَلْسِنَةَ العَرَبِ بِالاحْتِجاجِ عَلَى أَمْرٍ هُوَ مِنْ تَقالِيدِهِمْ ، ولا سِيَّما أَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ مُنافاةٌ للإِسْلام ، فَلِذَلِكَ تَدارَكَ النَّبِيُّ ﷺ الأَمْرَ .

فَهذا هُوَ السَّبَبُ ، لا ما زَعَمَتْهُ الرَّافِضَةُ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ للإِشارَةِ إِلَى أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه أَحَقُّ بِالخِلافَةِ مِنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه ، ولا أَدْرِي كَيْفَ غَفَلُوا أَوْ تَغافَلُوا عَنْ قَوْلِ الصِّدِّيقِ لِعَلِيٍّ رضي الله عنهما : أَأَمِيرٌ أَمْ مَأْمُورٌ ؟ فَقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : بَلْ مَأْمُورٌ ، وكَيْفَ يَكُونُ المَأْمُورُ أَحَقَّ بِالخِلافَةِ مِنَ الأَمِيرِ ؟!

غَزَواتُ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رضي الله عنه

غَزا سَيِّدُنا عَلِيٌّ رضي الله عنه جَمِيعَ الغَزَواتِ مَعَ سَيِّدِنا رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَّا غَزْوَةَ تَبُوكَ حَيْثُ كَلَّفَهُ بِمُهِمَّةٍ عَظِيمَة .

لازَمَ المِحْـرابَ والحَـرْبَ إِلَى ❁ أَنْ أَتَى أَشْقَى الوَرَى الأَمْرَ الفَرِيَّا

المِحْرابُ مَحَلُّ الحَرْبِ ؛ وسُمِّيَ مَوْضِعُ العِبادَةِ مِحْرابًا لأَنَّهُ مَحَلُّ حَرْبِ الشَّيْطانِ بِالعِبادَة ، والبَيْتُ إِشارَةٌ إِلَى ما كانَ عَلَيْهِ عَلِيٌّ رضي الله عنه مِنَ العِبادَةِ والجِهاد ؛ فَأَمَّا عِبادَتُهُ فَقَدْ كانَ رضي الله عنه أَعْبَدَ خَلْقِ اللهِ تَعالَى ، وأَكْثَرَهُمْ صَلاةً وصَوْمًا ومِنْهُ تَعَلَّمَ النَّاسُ صَلاةَ اللَّيْلِ ومُلازَمَةَ الأَوْرادِ ، وقِيامَ النَّافِلَة ، وفِيهِ قالَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رضي الله عنها

بَعْدَ اسْتِشْهادِهِ : كانَ أَعْلَمَهُمْ بِالسُّنَّة ، ما عَلِمْتُهُ إِلَّا صَوَّامًا قَوَّامًا .

قِيلَ لِزَيْنِ العابِدِينَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ رضي الله عنه وكانَ غايَةً فِي العِبادَة : ما عِبادَتُكَ مِنْ عِبادَةِ جَدِّكَ ؟ قالَ : عِبادَتِي عِنْدَ عِبادَةِ جَدِّي كَعِبادَةِ جَدِّي عِنْدَ عِبادَةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم .

وأَمَّا جِهادُهُ ومُلازَمَتُهُ للحَرْبِ فَأَمْرُهُ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ يُذْكَر ، وأَوْضَحُ مِنْ أَنْ يُنْشَر ، فَما زالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه مُصْلِتًا سَيْفَهُ عَلَى أَعْداءِ اللَّهِ مُنْذُ فَرَضَ اللَّهُ الجِهادَ إِلَى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ تَعالَى إِلَيْهِ وهُوَ أَعْلَى المُجاهِدِينَ فِي اللَّهِ وأَعْظَمُهُمْ دَرَجَة ، وقَدْ ثَبَتَ عَنْهُ صلى الله عليه وسلم أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه يُقاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ القُرْآنِ كَما قاتَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى تَنْزِيلِه .

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يُقاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ القُرْآنِ كَما قاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِه) ، قالَ أَبو بَكْر : أَنا هُوَ يا رَسُولَ اللَّه ، قالَ : (لا) ، قالَ عُمَرُ : أَنا هُوَ يا رَسُولَ اللَّه ، قالَ : (لا ، ولَكِنْ خاصِفُ النَّعْل) ، وكانَ صلى الله عليه وسلم أَعْطَى عَلِيًّا نَعْلَهُ يَخْصِفُها .

ولْنَشْرَعْ باخْتِصار سَرْدَ غَزَواتِ عَلِيٍّ الكَرَّار رضي الله عنه :

• **غَزْوَةُ سَفَوان (غَزْوَةُ بَدْرِ الأُولَى)** : وكانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ هِجْرَتِهِ صلى الله عليه وسلم ؛ أَغارَ كُرْزُ بنُ جابِرٍ الفِهْرِيُّ فِي قُوَّاتٍ

خَفِيفَةٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى سَرْحِ (مَراعِي) المَدِينَةِ ، ونَهَبَ بَعْضَ المَواشِي ، وهَرَبَ ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَبْعِينَ رَجُلًا مِنْ أَصْحابِهِ فِي طَلَبِهِ ، حَتَّى بَلَغَ وادِيًا يُقالُ لَهُ (سَفَوان) مِنْ ناحِيَةِ بَدْرٍ ، وَفاتَهُ كُرْزٌ فَلَمْ يَلْقَ حَرْبًا ، واسْتَخْلَفَ ﷺ فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ عَلَى المَدِينَةِ زَيْدَ بنَ حارِثَةَ رضي الله عنه ، وكانَ اللِّواءُ أَبْيَضَ وحامِلُهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه .

• غَزْوَةُ **العُشَيْرَةِ** : وهِيَ مَوْضِعٌ لِبَنِي مُدْلِج بِناحِيَةِ يَنْبُع ، خَرَجَ إِلَيْها ﷺ فِي شَهْرِ جُمادَى الأُولَى مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَةِ للهِجْرَةِ ، فِي خَمْسِينَ ومِئَةِ رَجُلٍ فِيهِمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه عَلَى ثَلاثِينَ بَعِيرًا ، يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ بِالتِّجارَةِ فَخَرَجَ إِلَيْها لِيَغْنَمَها ، فَوَجَدَ العِيرَ الَّتِي كانَ يَرْأَسُها أَبُو سُفْيانَ بنُ حَرْبٍ ومَعَهُ بِضْعَةٌ وعِشْرُونَ رَجُلًا قَدْ مَضَتْ ، وهَذِهِ هِيَ العِيرُ الَّتِي خَرَجَ فِي طَلَبِها حِينَ رَجَعَتْ مِنَ الشَّامِ ، فَصارَتْ سَبَبًا لِغَزْوَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى ، ووادَعَ (صالَحَ) ﷺ فِي الغَزْوَةِ بَنِي مُدْلِجٍ مِنْ كِنانَةَ أَنْ يَنْصُرَهُمْ ويَنْصُرُوهُ ﷺ ، واسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى المَدِينَةِ فِي الغَزْوَةِ أَبا سَلَمَةَ بنَ عَبْدِ الأَسَدِ المَخْزُومِي رضي الله عنه ، وكانَ اللِّواءُ أَبْيَضَ وحامِلُهُ حَمْزَةُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِب رضي الله عنه ، عَنْ عَمَّارِ بنِ ياسِرٍ رضي الله عنه قالَ : كُنْتُ أَنا وعَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رَفِيقَيْنِ فِي غَزْوَةِ العُشَيْرَة .

• غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى :

مَـنْ بِبَـدْرٍ فَلَـقَ الْـهَامَ وَقَـدْ ۞ هَامَ فِي الشِّقْوَةِ مَنْ كَانَ شَقِيًّا

وذَلِكَ إِشارَةٌ إِلَى يَوْمِ بَدْر ، وبَدْرٌ ماءٌ كانَتِ العَرَبُ تَجْتَمِعُ فِيهِ لِسُوقِهِمْ فِي كُلِّ عامٍ مَرَّة ، وفِيهِ كانَتْ أَوَّلُ الفُتُوحاتِ النَّبَوِيَّةِ وأَعْظَمُها وأَشْرَفُها ، وكانَتْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ يَوْمَ الجُمُعَةِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضانَ المُعَظَّم ، وهُوَ يَوْمُ الفُرْقان ، يَوْمَ الْتَقَى الجَمْعان ، والقِصَّةُ مَشْهُورَةٌ فِي كُتُبِ الحَدِيثِ والسِّيَر ، ولَكِنْ لا غِنَى عَنِ الإِشارَةِ إِلَى شَيْءٍ مِنْها والتَّبَرُّكِ بِشَيْءٍ مِنْ شَأْنِها فَنَقُول :

أَخْرَجَ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ وأَحْمَدُ بنُ حَنْبَل ومُحَمَّدُ بنُ جَرِيرٍ وصَحَّحَهُ والبَيْهَقِي فِي الدَّلائِلِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : "لَمَّا بَلَغَنا أَنَّ المُشْرِكِينَ قَدْ أَقْبَلُوا سارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَدْر ، وبَدْرُ بِئْرٌ ، فَسَبَقْنا إِلَيْها المُشْرِكِينَ ، فَوَجَدْنا فِيها رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ ومَوْلًى لِعُقْبَةَ ابنِ أَبِي مُعَيْط ؛ فَأَمَّا القُرَشِيُّ فانْفَلَتَ وأَمَّا مَوْلَى عُقْبَةَ فَأَخَذْناهُ فَجَعَلْنا نَقُولُ كَمِ القَوْمُ ؟ فَيَقُولُ : هُمْ واللهِ كَثِيرٌ عَدَدُهُمْ ، شَدِيدٌ بَأْسُهُمْ ، فَجَعَلَ المُسْلِمُونَ إذا قالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ ، حَتَّى انْتَهَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقالَ لَهُ : كَمِ القَوْم ؟ فَقالَ : هُمْ عَدَدُهُمْ كَثِيرٌ شَدِيدٌ

بَأْسُهُمْ ، فَجَهَدَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُخبِرَهُ كَمْ هُمْ ؟ فَأَبَى ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَه كَمْ يَنْحَرُونَ مِنَ الجُزُرِ ؟ فَقالَ عَشْرًا كُلَّ يَوْم ، فَقالَ ﷺ : القَوْمُ أَلْفٌ ، كُلُّ جَزُورٍ لِمِئَةٍ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَصابَنا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنْ مَطَرٍ فانْطَلَقْنا تَحْتَ الشَّجَرِ والجُحُفِ (جَمْعُ جُحْفَة وهِيَ التُّرْس) نَسْتَظِلُّ تَحْتَها مِنَ المَطَر ، وباتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ ويَقُولُ : (اللهُمَّ إِنْ تَهْلِكَ هَذِهِ الفِئَةُ لا تُعْبَدُ) ، فَلَمَّا أَنْ طَلَعَ الفَجْرُ نادَى : (الصَّلاةَ عِبادَ اللّه) ، فَجاءَ النَّاسُ مِنْ تَحْتِ الشَّجَرِ والجُحُفِ فَصَلَّى بِنا رَسُولُ اللّهِ ﷺ وحَرَّضَ عَلَى القِتالِ ثُمَّ قالَ : (إِنَّ جَمِيعَ قُرَيْشٍ تَحْتَ هَذا الضِّلْعِ الحَمْراءِ مِنَ الجَبَل) ، فَلَمَّا دَنا القَوْمُ مِنَّا وصافَفْناهُمْ إِذا رَجُلٌ مِنْهُمْ عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَحْمَرُ يَسِيرُ فِي القَوْم ، فَقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : (يا عَلِيُّ نادِ لِي حَمْزَة - وكانَ أَقْرَبَ إِلَى المُشْرِكِينَ - مَنْ صاحِبُ الجَمَلِ الأَحْمَر وماذا يَقُولُ لَهُمْ ؟) ، ثُمَّ قالَ رَسُولُ اللّه ﷺ : (إِنْ يَكُنْ فِي القَوْم رَجُلٌ يَأْمُرُ بِخَيْرٍ فَعَسَى أَنْ يَكُونَ صاحِبُ الجَمَلِ الأَحْمَر) ، فَجاءَ حَمْزَةُ فَقالَ : هُوَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ وهُوَ يَنْهَى عَنِ القِتالِ ويَقُولُ لَهُمْ : يا قَوْمِ إِنِّي أَرَى قَوْمًا مُسْتَمِيتِينَ[1] ، لا تَصِلُونَ إِلَيْهِمْ وفِيكُمْ خَيْر ، يا قَوْمُ

---

(١) أَيْ طالِبِينَ للمَوْت .

اعْصُبُوها اليَوْمَ بِرَأْسِي ، وقُولُوا جَبُنَ عُتْبَةُ بنُ رَبِيعَة ، وقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي لَسْتُ بِأَجْبَنِكُمْ ، فَسَمِعَ ذَلِك أَبُو جَهْلٍ فقالَ : أَنْتَ تَقُولُ هَذا واللّهِ لَوْ غَيْرُك يَقُولُهُ لأَعْضَضْتُهُ[1] ، قَدْ مَلَأَتْ رِئَتُك جَوْفَكَ رُعْبًا ، فقالَ عُتْبَةُ : إِيَّايَ تُعَيِّرُ يا مُصَفِّرَ أَسْتِهِ ، سَتَعْلَمُ اليَوْمَ أَيُّنا الجَبانُ ، فَبَرَزَ عُتْبَةُ وأَخُوهُ شَيْبَةُ وابْنُهُ الوَلِيدُ حَمِيَّةً فَقالُوا : مَنْ يُبارِزُنا ؟ فَخَرَجَ فِئَةٌ مِنَ الأَنْصارِ سِتَّةٌ ، فَقالَ عُتْبَةُ : لا نُرِيدُ هَؤُلاءِ ، ولَكِنْ يُبارِزُنا مِنْ بَنِي عَمِّنا مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِب ، فَقالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ : قُمْ يا عَلِيُّ ، وقُمْ يا حَمْزَةُ ، وقُمْ يا عُبَيْدَةُ بنَ الحارِث ، فَقَتَلَ اللّهُ عُتْبَةَ وشَيْبَةَ ابْنَي رَبِيعَةَ والوَلِيدَ بنَ عُتْبَةَ ، وجُرِحَ عُبَيْدَةُ ، فَقَتَلْنا مِنْهُمْ سَبْعِينَ وأَسَرْنا سَبْعِينَ)) .

فَهَذا حَدِيثٌ مِنْ رِوايَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه فِيهِ مُجْمَلُ القِصَّةِ وتَفْصِيلُها فِي كُتُبِ السِّيرَة ، والثَّابِتُ فِيها الفَضْلُ العَظِيمُ والمَقامُ الكَرِيمُ لِمَنْ حَضَرَ مِنَ المُسْلِمِينَ فِي هَذا اليَوْمِ الشَّرِيفِ الَّذي قَصَّهُ اللّهُ فِي كِتابِهِ فِي سُورَةِ ﴿ٱلْأَنفَال﴾ ، وقَدْ ثَبَتَ فِي كُتُبِ السِّيَرِ والحَدِيثِ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رضي الله عنه لازَمَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فِي مَواطِنِ جِهادِهِ كُلِّها لَمْ يَتَخَلَّفْ فِي شَيْءٍ مِنْها إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ حَيْثُ كَلَّفَهُ الحَبِيبُ الأَعْظَم

---

(١) أَيْ قُلْتُ لَهُ : عَضَّ ذَكَرَ أَبِيك .

ﷺ بِمُهِمَّةٍ عَظِيمَة ، وأَنَّهُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ جَلَّى عَنْهُ ﷺ الكَرْبَ وقَصَمَ بِسَيْفِهِ صَنادِيدَ العَرَب وقَدْ أَيَّدَ اللّٰهُ تعالَى رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه .

وقَدْ كانَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ رضي الله عنه حامِلَ رايَتِهِ ﷺ فِي يَوْم بَدْرٍ وفِي المَشاهِدِ كُلِّها كَما أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل فِي المَناقِب مِنْ حَدِيثِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قالَ : كانَ عَلِيٌّ آخِذًا رايَةَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ يَوْمَ بَدْر ، فَقالَ الحاكِمُ : يَوْمَ بَدْرٍ والمَشاهِدَ كُلَّها .

وقَتَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ رضي الله عنه فِي ذَلِكَ اليَوْمِ جَماعَةً مِنْهُمْ : الوَلِيدُ ابنُ عُتْبَة ، والعاصُ بنُ سَعِيدِ بنِ العاص ، وعامِرُ بنُ عَبْدِ اللّٰه ، وطُعْمَةُ بنُ عَدِيٍّ ، ونَوْفَلُ بنُ خُوَيْلِد ، وزَمْعَةُ بنُ الأَسْوَدِ وغَيْرُهُمْ .

• قَدْ سَرَدَ أَسْماءَ مَنْ قَتَلَهُمْ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ صاحِبُ ((حَياة سَيِّدِ العَرَب)) اسْتِقْلالًا ومُشارَكَةً فَبَلَغُوا نَيِّفًا وعِشْرِينَ بَطَلًا مِنْ صَنادِيدِ قُرَيْشٍ ثُمَّ قالَ : فَقَدْ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ سِتَّةَ عَشَرَ فارِسًا بِنَفْسِهِ واشْتَرَكَ مَعَ عَمِّهِ الحَمْزَةِ فِي قَتْلِ خَمْسَةٍ آخَرِينَ ؛ فَفِي يَوْم واحِدٍ قَتَلَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ واحِدًا وعِشْرِينَ صِنْدِيدًا ، وهِيَ أَوَّلُ وَقْعَةٍ مِنْ وَقَعاتِهِ ولَمْ يَتَجاوَزْ سِنُّهُ رضي الله عنه يَوْمَئِذٍ أَرْبَعًا وعِشْرِينَ سَنَةً ، وقَدْ عَدَّدَهُمْ بِأَعْيانِهِمْ وسَمَّاهُمْ بِأَسْمائِهِمْ ، وإِذا جَمَعْنا قَتْلَى أَمِيرِ المُؤْمِنينَ بِبَدْرٍ وهُمْ واحِدٌ

وعِشْرُونَ وبأُحُدٍ وهُمْ سِتَّةٌ عَلَى رِوايَةِ ابنِ هِشام ، ومَعَ ضَمِّ رِوايَةِ الحاكِمِ تِسْعَةً أَعْنِي مَجْمُوعَهُمْ كانَ الجَمِيعُ ثَلاثِينَ وذَلِكَ ثُلُثُ قَتْلَى المُشْرِكِينَ فِي المَعْرَكَتَيْنِ إلَّا واحِدًا ، فاسْتَقَلَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِثُلُثِ القَتْلَى وسائِرُ الأُمَّةِ بِثُلُثَيْن ، فاعْجَبْ لِذَلِك !

• ومِنْ مَناقِبِهِ يَوْمَ بَدْرٍ تَسْلِيمُ المَلائِكَةِ عَلَيْهِمُ السَّلامُ عَلَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، كَما أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي المَناقِبِ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ : "لَمَّا كانَتْ لَيْلَةُ يَوْمِ بَدْرٍ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ يَسْتَقِي لَنا مِنَ الماءِ؟) ، فَأَحْجَمَ النَّاسُ ، فَقامَ عَلِيٌّ فاحْتَضَنَ قِرْبَةً فَأَتَى بِئْرًا بَعِيدَةَ القَعْرِ مُظْلِمَةً فانْحَدَرَ فِيها ، فَأَوْحَى اللهُ عَزَّ وجَلَّ إِلَى جِبْرِيلَ ومِيكائِيلَ وإِسْرافِيلَ تَأَهَّبُوا لِنَصْرِ مُحَمَّدٍ وحِزْبِهِ ، فَهَبَطُوا مِنَ السَّماءِ لَهُمْ لَغَطٌ يَذْعُرُ مَنْ سَمِعَهُ ، فَلَمَّا جاؤُوا إِلَيْهِ سَلَّمُوا عَلَيْهِ مِنْ عِنْدِ آخِرِهِمْ إِكْرامًا وتَبْجِيلًا .

• ومِنْ مَناقِبِهِ فِي يَوْمِ بَدْرٍ أَيْضًا تَنْوِيهُ المَلائِكَةِ بِالنِّداءِ بِاسْمِهِ ؛ قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى : عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : نادَى مَلَكٌ مِنَ السَّماءِ يَوْمَ بَدْرٍ يُقالُ لَهُ رُضْوان :

لا سَيْفَ إلَّا ذُو الفِقا ۞ رِ وَلا فَتَى إلَّا عَلِي

ذُو الفِقار : سَيْفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ سُمِّيَ بِذَلِكَ لأَنَّهُ كانَ فِيهِ حُفَرٌ صِغار .

هَذا هُوَ الفَخْرُ وغايَةُ الشَّرَفِ النِّداءُ بِاسْمِهِ الشَّرِيفِ مِنَ المَلَكِ الكَرِيم مِنْ رَفِيعِ السَّمَواتِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ بِأَمْرِ اللهِ تَعالَى بِصِيغَةِ الحَصْرِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّهُ لا اعْتِدادَ بِفَتَى غَيْرِهِ ولا بِسَيْفٍ سِوَى سَيْفِهِ إِذْ هُوَ الَّذي أَبْطَلَتْ فُتُوَّتُهُ الفُتُوَّات ، وأَبْطَلَ سَيْفُهُ السُّيُوفَ الماضِيات .

وفِي رِوايَةِ ابنِ المَغازِلِي بِإِسْنادِهِ إِلَى أَبِي رافِعٍ أَنَّ ذَلِكَ كانَ يَوْمَ أُحُد ؛ قِيلَ : ولا مانِعَ أَنْ يَكُونَ فِي اليَوْمَيْنِ مَعًا ، فَقَدْ ثَبَتَ لَهُ رضي الله عنه المَقامُ العالِي فِي نِكايَةِ أَعْداءِ اللهِ ورَسُولِهِ صلى الله عليه وسلم فِي اليَوْمَيْنِ مَعًا .

يَا رَبِّ بِالْمُخْتَارِ أَفْضَلِ مُرْشِدٍ ❁ خَيْرِ الْوَرَى عَيْنِ الْوُجُودِ مُحَمَّدِ
وَبِآلِهِ الْغُرِّ الْكِرَامِ وَصَحْبِهِ ❁ بِأُولِي الْمَكَارِمِ وَالْعُلا وَالسُّؤْدَدِ
وَبِأَهْلِ بَدْرٍ مِنْهُمُ وَبِكُلِّ مَنْ ❁ نَالَ الْمُنَى بِشُهُودِ ذَاكَ الْمَشْهَدِ
وَبِحَقِّ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرِ الَّذِي ❁ هُوَ فِي الفَضَائِلِ ذُو الْمَقَامِ الأَوْحَدِ
وَبِحَقِّ فَارُوقِ الْهُدَى عُمَرٍ كَذَا ❁ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ صَفْوَةِ مَنْ هُدِي
وَكَذَا بِسَيِّدِنَا عَلِيٍّ ذِي الْعُلا ❁ وَالْفَخْرِ وَالإِعْظَامِ عَالِي الْمَقْعَدِ
فَبِجَاهِهِمْ جُدْ لِي بِمَا نَرْجُوهُ مِنْ ❁ فَخْرٍ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ مُؤَبَّدِ
وَلْتَكْفِنَا شَرَّ الْبُغَاةِ وَكَيْدَ مَنْ ❁ قَدْ كَادَنَا مِنْ حَاسِدٍ مُتَوَبِّدِ
وَاسْتُرْ قَبِيحَ فِعَالِنَا وَاغْفِرْ عَسَى ❁ نَأْتِي بِوَجْهٍ ضَاءَ غَيْرَ مُسَوَّدِ

وَافْسَحْ لَنَا فِي جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ مَعْ ۞ خَيْرِ الْوَرَى وَامْنُنْ بِصِدْقِ الْمَقْعَدِ
وَقِنَا بِفَضْلِكَ فِتْنَةَ الْمَحْيَا وَمِنْ ۞ فِتَنِ الْمَمَاتِ وَمِنْ عَذَابِ الْمَرْقَدِ
وَاكْشِفْ بِجَاهِهِمُ غُمُومًا غَادَرَتْ ۞ نَارًا بِهَا فِي الْقَلْبِ ذَاتَ تَوَقُّدِ
مَا إِنْ لَهَا إِلَّا خَفِيُّ اللُّطْفِ مِنْ ۞ رُحْمَاكَ يُطْفِئُ حَرَّهَا يَا سَيِّدِي
وَاجْعَلْ تَوَكُّلَنَا عَلَيْكَ وَأَغْنِنَا ۞ عَمَّنْ سِوَاكَ وَبِالْمُنَى فَلْتَمْدُدِ
وَاسْلُكْ بِنَا سُبُلَ الْهُدَى فَنَسِيرَ فِي ۞ نَهْجٍ إِلَى دَارِ السَّلَامِ مُمَهَّدِ
وَاخْتِمْ لَنَا بِالْخَيْرِ وَاحْفَظْ جَمْعَنَا ۞ وَأَدِمْ سُرُورَ جَمِيعِنَا بِتَزَيُّدِ

• **غَزْوَةُ أُحُد** : وكانَتْ وَقْعَتُها يَوْمَ السَّبْتِ للنِّصْفِ مِنْ شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ .

وَبِأُحُدٍ حِينَ شَبَّتْ نَارُهَا ۞ فِتْيَةٌ كَانَتْ بِهَا أَوْلَى صِلِيًّا

وأُحُد : جَبَلٌ مِنْ جِبالِ المَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى صاحِبِها أَفْضَلُ الصَّلاةِ والتَّسْلِيم ، وهُوَ مِنْ جِبالِ الجَنَّةِ عَلَى بابٍ مِنْ أَبْوابِها كَما فِي حَدِيثِ أَبِي عَبْسِ بنِ جَبْرٍ [١] عِنْدَ الطَّبَرانِي فِي الأَوْسَط : (أُحُدٌ هَذا جَبَلٌ يُحِبُّنا ونُحِبُّهُ عَلَى بابٍ مِنْ أَبْوابِ الجَنَّة) .

وعِنْدَ أَبِي يَعْلَى والطَّبَرانِي مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بنِ سَعْد :

---

(١) أَبو عَبْس : عَبْدُ الرَّحْمن أَوْ عَبْدُ اللهِ بنُ جَبْر مِنْ كِبارِ الصَّحابَةِ شَهِدَ بَدْرًا وما بَعْدَها .

(أُحُدٌ رُكْنٌ مِنْ أَرْكانِ الجَنَّة) .

والبَيْتُ يُشِيرُ إلَى قِصَّةِ أُحُدٍ المَشْهُورَةِ الَّتي قَصَّ اللّٰهُ شَأْنَها فِي سُورَةِ آلِ عِمْران فِي قَوْلِه تَعالَى : ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ آخِرِها وهِيَ قِصَّةٌ مَبْسُوطَةٌ فِي السِّيَرِ والتَّفْسِير ، والقَصْدُ هُنا الإشارَةُ إلَى ما كانَ لأَمِيرِ المُؤْمِنينَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ مِنْ نَصْرِ اللّٰهِ ورَسُولِه ، والثَّباتِ ونِكايَةِ أَعْداءِ اللّٰهِ وأَعْداءِ رَسُولِهِ وأَحْزابِ الكُفْر .

قالَ الفَقِيهُ حُمَيْدٌ رَحِمَهُ اللّٰه : ومَواقِفُ شَرَفِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي الجِهادِ ظاهِرَة ، وبُدُورُ مَعالِيهِ سافِرَةٌ باهِرَة ، ولا يُعْلَمُ مَوْقِفٌ حَضَرَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ إِلَّا وقَدَحُهُ القَدَحُ القامِر ، وطائِرُهُ أَيْمَنُ طائِر ، ولَقَدْ رَوَيْنا بالإِسْنادِ إلَى عَبْدِ اللّٰهِ بنِ الحَسَنِ بن الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : "بارَزَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ مُبَرِّزًا ، وكَمْ هُمام صَمَدَ لَهُ فَفَلَّ شَباه ، ورَدَّ أُولاهُ عَلَى أُخْراه ، لَمْ يَرِدْ قَطُّ مَعْرَكَةً إِلَّا خاضَ لَظاها ، وقَطَرَ فُرْسانَها ، وأَبادَ شُجْعانَها وناهِيكَ[1] بِشَهادَةِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ لَهُ بِأَنَّهُ كَرَّارٌ غَيْرُ فَرَّار .

---

(١) ناهِيكَ : أَنَّهُ غايَةٌ تَنْهاكَ عَنْ تَطَلُّبِ غَيْرِه .

قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى ؛ عَنْ أَبي رافِعٍ قالَ : ((لَمَّا قُتِلَ أَصْحابُ الأَلْوِيَةِ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ عَلِيٌّ اللِّواءَ ، فَقالَ جِبْرِيلُ عليه السلام : إنَّ هَذِهِ لَهِيَ المُواساةُ يا رَسُولَ الله ، فَقالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : (إنَّهُ مِنِّي وأَنا مِنْهُ) ، فَقالَ جِبْرِيلُ عليه السلام : ((وأَنا مِنْكُما يا رَسُولَ الله)) ، أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي المَناقِب .

غَزْوَةُ الخَنْدَق (الأَحْزاب) : وكانَتْ فِي شَوَّال سَنَةَ خَمْسٍ مِنْ هِجْرَتِهِ ﷺ ، وسُمِّيَتْ بِذَلِكَ بِسَبَبِ الخَنْدَقِ الَّذي أَشارَ سَلْمانُ رضي الله عنه بِحَفْرِهِ عَلَى عادَةِ الفُرْسِ بِحُرُوبِهِمْ ، وسُمِّيَتْ أَيْضًا بِالأَحْزابِ لِتَحَزُّبِ القَبائِلِ ؛ أَي اجْتِماعِها عَلَى حَرْبِ المُسْلِمين .

أَمَّا سَبَبُها : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا أَجْلَى بَنِي النَّضِير ، ولَحِقَ رَئِيسُهُمْ حُيَيُّ ابنُ أَخْطَبَ بـ (خَيْبَر) ، ذَهَبَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى (مَكَّةَ) فِي رِجالٍ مِنْ قَوْمِهِ ، ودَعَوْا قُرَيْشًا إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ومَنَّوْهُمْ (وَعَدُوهُم) المُساعَدَةَ ، فَسَأَلَتْهُمْ قُرَيْشٌ : أَيُّنا أَهْدَى سَبِيلًا نَحْنُ أَمْ مُحَمَّد ؟ فَقالُوا : بَلْ أَنْتُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنْهُ ، وفِيهِمْ أَنْزَلَ اللهُ تَعالَى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾

﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [1] .

فَلَمَّا أجابَتْهُمْ قُرَيْشٌ إلَى ذَلِكَ تَقَدَّمُوا إلَى قَبائِلِ قَيْس عَيْلانَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِف ، وغَطَفانَ ، وهَوازِنَ وغَيْرِهِمْ ، فَدَعَوْهُمْ إلَى مِثْلِ ذَلِك فَأَجابُوهُمْ .

وَابْنُ وُدٍّ مَنْ تَرَى قَطَّرَهُ ۞ وَهْوَ لَيْثٌ كَانَ فِي الْحَرْبِ جَرِيًّا

ابنُ وُدٍّ : عَمْرُو بنُ وُدٍّ ، وقَطَّرَهُ : أَلْقاهُ عَلَى قَطرِهِ وهُوَ النَّاحِيَة ، واللَّيْثُ الأَسَد ، والجَرِيُّ الشُّجاع ؛ مِنَ الجُرْأَةِ وقَدْ كانَ عَمْرُو بنُ وُدٍّ مِنْ مَشاهِيرِ الأَبْطالِ ومِنْ ذَوِي الجُرْأَةِ مِنَ الرِّجال .

والبَيْتُ إشارَةٌ إلَى قَتْلِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَهُ فِي يَوْمِ الخَنْدَق ؛ وهُوَ يَوْمٌ مَشْهُورٌ تَحَزَّبَ فِيهِ المُشْرِكُونَ واجْتَمَعُوا عَشَرَةَ آلافٍ وقَصَدُوا المَدِينَةَ ، وخَنْدَقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْهِ هُوَ وأَصْحابُهُ ، وأَقامَ المُشْرِكُونَ بِضْعًا وعِشْرِينَ لَيْلَةً ولَمْ يَتَّفِقْ قِتالٌ ؛ وقِصَّةُ الخَنْدَقِ هِيَ الَّتِي قَصَّها اللهُ تَعالَى فِي سُورَةِ ﴿ٱلْأَحْزَاب﴾ فِي قَوْلِهِ تَعالَى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ الآيات إلَى قَوْلِهِ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ، وتَفْصِيلُ

---

(1) سُورَةُ النِّساء : الآيَتان ٥١ ، ٥٢ .

القِصَّةِ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ والتَّفْسِير ، والمُرادُ بَيانُ ما أَشارَ إِلَيْهِ البَيْتُ مِنْ قَتْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِعَمْرِو بنِ وُدٍّ :

قالَ ابنُ إِسْحاقَ فِي سِيرَةِ ابنِ هِشام : خَرَجَ عَمْرُو بنُ وُدٍّ يَوْمَ الخَنْدَقِ وقَدْ كانَ شَهِدَ بَدْرًا وآبَ جَرِيحًا ولَمْ يَشْهَدْ أُحُدًا ، فَحَضَرَ الخَنْدَقَ شاهِرًا سَيْفَهُ مُعَلَّمًا[1] مُدِلًّا بِشَجاعَتِهِ وبَأْسِهِ ، وخَرَجَ مَعَهُ ضِرارُ بنُ الخَطَّاب الفِهْرِي وعِكْرَمَةُ بنُ أَبِي جَهْلٍ وهُبَيْرَةُ بنُ أَبِي وَهْب ونَوْفَلُ ابنُ عَبْدِ اللهِ بنِ المُغِيرَةِ المَخْزُومِيُّونَ ، وطافُوا بِخُيُولِهِمْ عَلَى الخَنْدَقِ إِصْعادًا وانْحِدارًا يَطْلُبُونَ مَوْضِعًا ضَيِّقًا يَعْبُرُونَهُ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى أَضْيَقِ مَوْضِعٍ فِيهِ فِي المَكانِ المَعْرُوفِ بِالمِرارِ فَأَكْرَهُوا خُيُولَهُمْ عَلَى العُبُورِ فَعَبَرَتْ وصارُوا مَعَ المُسْلِمِينَ عَلَى أَرْضٍ واحِدَةٍ ورَسُولُ اللهِ ﷺ جالِسٌ وأَصْحابُهُ قِيامٌ عَلَى رَأْسِهِ ﷺ ، فَتَقَدَّمَ عَمْرٌو فَدَعا إِلَى المُبارَزَةِ فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ قامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقالَ : أَنا أُبارِزُهُ يا رَسُولَ اللهِ ، فَأَمَرَهُ ﷺ بِالجُلُوس ، وعادَ عَمْرٌو لِلنِّداءِ والنَّاسُ سُكُونٌ كَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِهِمُ الطَّيْرُ فَقالَ : أَيُّها النَّاسُ إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ قَتْلاكُمْ فِي الجَنَّةِ وقَتْلانا فِي النَّار ، فَما يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْدُمَ إِلَى الجَنَّةِ أَوْ

---

(١) أَيْ عَلَيْهِ عَلامَةٌ يُعْرَفُ بِها لِيُرَى مَكانُهُ .

يُقَدِّمَ عَدوًّا لَهُ إِلَى النَّار ، فَلَمْ يَقُمْ إِلَيْهِ أَحَدٌ ، فَقامَ عَلِيٌّ دَفْعَةً ثانِيَةً وقالَ : أَنا لَهُ يا رَسُولَ اللّه ، فَأَمَرَهُ بِالجُلُوس ، فَجالَ عَمْرٌو بِفَرَسِهِ مُقْبِلًا ومُدْبِرًا ، وجاءَتْ عُظَماءُ الأَحْزاب فَوَقَفَتْ مِنْ وَراءِ الخَنْدَقِ ومَدَّتْ أَعْناقَها تَنْظُرُ فَلَمَّا رَأَى عَمْرٌو أَنَّ أَحَدًا لا يُجِيبُهُ قالَ :

وَلَقَدْ بُحِحْتُ مِنَ النِّدَا ۞ ءِ لِجَمْعِهِمْ : هَلْ مِنْ مُبارِزْ

وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الشُّجَا ۞ عُ بِمَوْقِفِ الْقِرْنِ الْمُنَاجِزْ

إِنِّي كَذَلِكَ لَمْ أَزَلْ ۞ مُتَسَرِّعًا نَحْوَ الْهَزَاهِزْ[1]

إِنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْفَتَى ۞ وَالْجُودَ مِنْ خَيْرِ الْغَرَائِزْ

فَقامَ عَلِيٌّ رضي الله عنه فَقالَ : ((يا رَسُولَ اللّه ، ائْذَنْ لِي فِي مُبارَزَتِه)) ، فَقالَ ﷺ : (ادْنُ) فَدَنا ، فَقَلَّدَهُ سَيْفَهُ وعَمَّمَهُ بِعِمامَتِهِ ، وقالَ لَهُ : (امْضِ لِشَأْنِكَ) ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قالَ ﷺ : (اللهُمَّ أَعِنْهُ عَلَيْه) .

فَلَمَّا قَرُبَ عَلِيٌّ رضي الله عنه قالَ مُجِيبًا عَنْ شِعْرِهِ :

لا تَعْجَلَنَّ فَقَدْ أَتَا ۞ كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرُ عاجِزْ

ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ ۞ يَرْجُو بِذَاكَ نَجَاةَ فَائِزْ

إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُقِيـ ۞ ـمَ عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِزْ

مِنْ طَعْنَةٍ نَجْلاءَ يَبْـ ۞ ـقَى ذِكْرُها عِنْدَ الْهَزَاهِزْ

---

(١) الهَزاهِز : تَحْرِيكُ البَلايا والحُرُوبِ للنَّاس .

فَقالَ عَمْرُو : مَنْ أَنْتَ ؟ وكانَ عَمْرُو شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ جاوَزَ الثَّمانِينَ وكانَ نَدِيمَ أَبِي طالِبِ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فِي الجاهِلِيَّة ، فَقالَ : ((أَنا عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ)) ، فَقالَ : أَجَل ، لَقَدْ كانَ لِي أَبُوكَ نَدِيمًا وصَدِيقًا فارْجِعْ فَإِنِّي لا أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ ، فَقالَ لَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((لَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَكَ)) ، فَقالَ : يا ابْنَ أَخِي إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أَقْتُلَ الرَّجُلَ الكَرِيمَ مِثْلَكَ ، فارْجِعْ وَراءَكَ خَيْرٌ لَكَ ، فَقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((إِنَّ قُرَيْشًا تُحَدِّثُ عَنْكَ أَنَّكَ لا تُدْعَى إِلَى ثَلاثٍ إِلَّا أَجَبْتَ وَلَوْ إِلَى واحِدَةٍ مِنْها)) ، فَقالَ : أَجَلْ ، فَقالَ عَلِيٌّ : ((إِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى الإِسْلام)) ، قالَ : دَعْ عَنْكَ هَذِهِ ، قالَ عَلِيٌّ : ((فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تَرْجِعَ بِمَنْ مَعَكَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى مَكَّة)) ، قالَ : إِذًا تَتَحَدَّثُ نِساءُ قُرَيْشٍ أَنَّ غُلامًا خَدَعَنِي ، قالَ عَلِيٌّ : ((فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى المُبارَزَة)) ، فَحَمِيَ عَمْرُو وقالَ : ما كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا مِنَ العَرَبِ يَرُومُها ، ثُمَّ نَزَلَ فَعَقَرَ فَرَسَهُ وقِيلَ ضَرَبَ وَجْهَهُ فَفَرَّ ، وتَجاوَلا فَثارَتْ بِهِما غَبَرَةٌ وارَتْهُما عَنِ العُيُونِ إِلَى أَنْ سَمِعَ النَّاسُ تَكْبِيرَ عَلِيٍّ رضي الله عنه مِنْ تَحْتِ الغَبَرَة ، فَعَلِمُوا أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه قَتَلَهُ ، وانْجَلَتْ الغَبَرَةُ عَنْهُما وعَلِيٌّ راكِبٌ صَدْرَهُ يَحُزُّ رَأْسَهُ ، وفَرَّ أَصْحابُهُ لِيَعْبُرُوا الخَنْدَقَ ، فَظَفِرَتْ بِهِمْ خَيْلُهُمْ إِلَّا نَوْفَلَ بنَ عَبْدِ اللهِ فَإِنَّهُ قَصَّرَ بِهِ فَرَسُهُ فَوَقَعَ فِي الخَنْدَقِ ،

فَرَماهُ المُسْلِمُونَ بِالحِجارَةِ فَقالَ : يا مَعْشَرَ النَّاسِ قَتْلَةٌ أَكْرَمُ مِنْ هَذا ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَتَلَهُ ، وأَدْرَكَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هُبَيْرَةَ بنَ أَبي وَهْبٍ فَضَرَبَهُ فَقَطَعَ ثَغْرَ فَرَسِهِ وسَقَطَتْ دِرْعٌ كانَ يَحْمِلُها مِنْ وَرائِهِ فَأَخَذَها الزُّبَيْرُ ، وأَلْقَى عِكْرَمَةُ رُمْحَهُ .

فَكَفَى بِهَذِهِ الواقِعَةِ شَرَفًا وفَضْلًا فَهِيَ أَجَلُّ مِنْ أَنْ تُوصَفَ وأَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُعَظَّمَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذي قالَ اللهُ تَعالَى فِيهِ إِنَّها : ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ فَعِنْدَها لا فَخْرَ لِمُفاخِرٍ .

قالَ أَبو الخَيْرِ مُصَدَّقُ بنُ شَبِيبٍ : ((واللهِ ما أَمَرَهُ بِالرُّجُوعِ إِبْقاءً عَلَيْه ، بَلْ خَوْفًا مِنْهُ ، فَقَدْ عَرَفَ قَتْلاهُ بِبَدْرٍ وأُحُدٍ ، وعَلِمَ أَنَّهُ إِنْ ناهَضَهُ قَتَلَهُ ، واسْتَحْيا أَنْ يُظْهِرَ الفَشَلَ فَأَظْهَرَ الإِبْقاءَ والإِرْعابَ وإِنَّهُ لَكاذِبٌ فِيهِما)) .

وفِي هَذِهِ القِصَّةِ ما تَقْصُرُ عَنْهُ العِباراتُ مِنَ الدَّلالَةِ عَلَى شَجاعَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وعَلَى بَذْلِهِ للهِ ولِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأَنَّهُ بَذَلَ نَفْسَهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ وقَدْ أَحْجَمَ النَّاسُ ولَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْ أَبْطالِ المُسْلِمِين ؛ ثُمَّ ما أَحْسَنَ ما خاطَبَ بِهِ عَمْرًا مِنَ الثَّلاثِ الخِلالِ الَّتِي عَرَضَها عَلَيْهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، ما أَثْبَتَ ذَلِكَ الجَنان ، وما أَعْجَبَ تِلْكَ اللِّسان ؛ إِنْ كَلَّمَ بِاللِّسانِ أَتْقَنَ ، وإِنْ كَلَّمَ بِالسِّنانِ أَثْخَنَ .

وفِي بَعْضِ الرِّواياتِ أَنَّهُ لَمَّا جَثَمَ عَلِيٌّ عَلَى صَدْرِ عَمْرٍو ، تَفَلَهُ عَمْرٌو ، فَسَكَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ المُسارَعَةِ بِقَتْلِهِ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقالَ : تَرَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ غَضَبِي لِنَفْسِي لأَقْتُلَهُ للهِ ، فَصَدَقَ فِي قَوْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ :

((أَرْجُو بِذاكَ نَجاةَ فائِزْ)) .

قالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ وُجُودَ الرِّيقِ فِي فَمِ عَمْرٍو فِي تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي تَتَقَلَّصُ فِيها الشِفاهُ وتَتَيَبَّسُ الأَفْواهُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ عَمْرًا فِي رُتْبَةٍ مِنَ الشَّجاعَةِ لا تُدانَى لَوْلا أَنَّهُ لاقاهُ مَنْ لَمْ تَلِدِ النِّساءُ مِثْلَهُ قَبْلَهُ ولا بَعْدَهُ ، وقَدْ أَشارَ المَنْصُورُ باللهِ فِي أَبْياتِهِ إِلَيْها فَقالَ :

وصَبِيحَةُ الخَنْدَقِ مَنْ ضَرَّجَ ۞ الضُّرْغامَ عَمْرًا ذَلِكَ القَسْوَرِيّ

وساقَ شارِحُها الفَقِيهُ حُمَيْدٌ الشَّهِيدُ القِصَّةَ بِقَرِيبٍ مِمَّا ذَكَرْناهُ إِلَّا أَنَّهُ زادَ أَنَّهُ قالَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ لَمَّا قَتَلَ عَمْرًا :

أَعَلَيَّ تَقْتَحِمُ الفَوارِسُ ؟ هَكَذا ۞ عَنِّي وَعَنْهُمْ خَبِّرُوا أَصْحَابِي

الْيَوْمَ تَمْنَعُنِي الْفِرَارَ حَفِيظَتِي ۞ وَمُصَمْصِمٌ(۱) فِي الْهَامِ لَيْسَ بِنَابِي

آلَى ابْنُ وُدٍّ حِينَ شَدَّ أَلِيَّةً ۞ وَحَلَفْتُ فَاسْتَمِعُوا مِنَ الكَذَّابِ

أَنْ لا يُصَدَّ ولا يُهَلِّلَ فَالْتَقَى ۞ رَجُلانِ يَضْطَرِبَانِ أَيَّ ضِرَابِ

---

(۱) السَّيْفُ الماضِي .

فَصَدَدْتُ حِينَ رَأَيْتُهُ مُتَقَطِّرًا ۞ كَالْجِذْعِ بَيْنَ دَكَادِكٍ وَرَوَابِي

وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ انَّنِي ۞ كُنْتُ الْمُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي

وقالَتْ أُمُّ كُلْثُوم أُخْتُ عَمْرِو بن عَبْدِ وُدٍّ تَرْثِيهِ وتَذْكُرُ قَتْلَ عَلِيٍّ رضي الله عنه لَهُ :

لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرٍو غَيْرَ قَاتِلِهِ ۞ بَكَيْتُهُ مَا أَقَامَ الرُّوحُ فِي جَسَدِي

لَكِنَّ قَاتِلَهُ مَنْ لا يُعَابُ بِهِ ۞ وَكَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ

يَا أُمَّ كُلْثُوم ابْكِيهِ وَلا تَسِمِي ۞ بُكَاءَ مُعْوِلَةٍ حُرًّا عَلَى وَلَدِ

مَشَى إِلَيْهِ عَلِيٌّ حِينَ قَاتَلَهُ ۞ مَشْيَ الْعَجُولِ بِصِلٍّ غَيْرَ مُتَّئِدِ[1]

فَجَلَّ الرَّأْسَ مِنْهُ حِينَ بَارَزَهُ ۞ صَافِي الحَدِيدَةِ عَضْبًا غَيْرَ ذِي أَوَدِ

وأَخْرَجَ الدَّيْلَمِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الخَنْدَق : (اللهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ مِنِّي عُبَيْدَةَ بنَ الحارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وحَمْزَةَ بنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ يَوْمَ أُحُدٍ ، وهَذا عَلِيٌّ فَلا تَذَرْنِي فَرْدًا وأَنْتَ خَيْرُ الوارِثِين) .

غَزْوَةُ فَتْحِ خَيْبَر :

وانْشُرِ الأَخْبَارَ عَنْ خَيْبَرَ يَا ۞ حَبَّذَا فَتْحٌ بِهَا كانَ بَهِيًّا

وَأَبُو السِّبْطَيْنِ يَشْكُو جَفْنَهُ ۞ وَبِرِيقِ الْمُصْطَفَىٰ عَادَ بَرِيًّا

(١) الصِلُّ : السَّيْفُ القاطِع ، مُتَّئِد : اسْم فاعِل ، والتُّؤَدَة : فِي مَشْيِهِ تَمَهُّل .

ثُـمَّ أَعْـطَاهُ بِـهَا رَايَتَـهُ ۞ بَعْدَ أَنْ بَشَّـرَ بِالْفَـتْحِ عَشِـيًّا

ذَاكِـرًا أَوْصَـافَ مَـنْ يَحْمِـلُهَا ۞ فَتَمَـنَّـى الْـكُلُّ لَـوْ كَانَ عَلِـيًّا

فَـدَحَـا الْبَـابَ وَأَرْدَى مَـرْحَـبًا ۞ بَعْـدَ أَنْ صَـارَعَ مِـنْهُ قَسْـوَرِيًّا

ثُـمَّ كَانَ الْفَتْـحُ وَالْفَـيْءُ بِـهَا ۞ وَاصْطَفَى الْمُخْتَارُ مِنْ تِلْكَ صَفِيًّا

وكانَ خُرُوجُهُ ﷺ إِلَى خَيْبَر فِي الْمُحَرَّم سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الهِجْرَة ، ونَزَلَ بـ (خَيْبَرَ) لَيْلًا ، فَلَمَّا أَصْبَحَ وخَرَجَ النَّاسُ ورَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ والجَيْشَ وَلَّوْا هَرَبًا وقالُوا : مُحَمَّدٌ والخَمِيس[1] ، فَقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (اللَّهُ أَكْبَر ، خَرِبَتْ خَيْبَر ، إنَّا نَزَلْنا بِساحَةِ قَوْمٍ فَساءَ صَباحُ المُنْذَرِين) .

وكانَتْ خَيْبَرُ حُصُونًا فَحاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَمانِي عَشْرَةَ لَيْلَةً وفَتَحَها حِصْنًا حِصْنًا ، وبَقِيَ مِنْ حُصُونِهِمُ الوَطِيحُ والسَّلالَمُ وفِيها كانَ مَرْحَبُ اليَهُودِيُّ ، وتَفْصِيلُ الغَزْوَةِ يَطُولُ وقَصْدُنا ما أَشَرْنا إِلَيْه ، قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى : عَنْ سَهْلِ بنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : (لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْه) ، فَباتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[2] لَيْلَتَهُمْ : أَيُّهُمْ يُعْطاها ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطاها ، فَقالَ ﷺ : (أَيْنَ

---

(١) الخَمِيس : الجَيْش ؛ أَيْ هَذا مُحَمَّدٌ مَعَ الجَيْش .
(٢) يَدُوكُون : يَخُوضُونَ ويَمُوجُونَ فِيمَنْ يَدْفَعُها إِلَيْه .

عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب ؟) ، فَقالُوا : يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يا رَسُولَ اللّه ، قالَ : (فَأَرْسِلُوا إِلَيْه) ، فَلَمَّا جاءَ ، بَصَقَ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ ودَعا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ وأَعْطاهُ الرَّايَةَ ، فَقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((أُقاتِلُهُمْ يا رَسُولَ اللّهِ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنا ؟ قالَ : (انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ[1] حَتَّى تَنْزِلَ بِساحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وأَخْبِرْهُمْ بِما يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّهِ فِيهِ ، فَوَاللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلًا واحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم)[2] .

وفِي رِوايَةٍ مِنْ حَدِيثِ سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه : (لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ أَوْ لَيَأْخُذَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّهُ اللّهُ ورَسُولُه) ، أَوْ قالَ : (يُحِبُّ اللّهَ ورَسُولَهُ يَفْتَحُ اللّهُ عَلَى يَدَيْه) ثُمَّ ذَكَرَ مَعْنَى ما بَقِيَ ؛ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وأَخْرَجَهُ أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ولَفْظُهُ : قالَ : قالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَوْمَ خَيْبَر : (لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللّهَ ورَسُولَهُ ، يَفْتَحُ اللّهُ عَلَى يَدَيْه) ، قالَ عُمَرُ رضي الله عنه : ((فَما أَحْبَبْتُ الإِمارَةَ إِلَّا يَوْمَئِذٍ فَتَشارَفْتُ))[3] ، فَدَعا رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلِيًّا فَأَعْطاهُ إِيَّاها ، ثُمَّ ذَكَرَ مَعْنَى ما مَضَى .

---

(١) الرِّسْلُ : المَهْلُ والتَّأَنِّي والرِّفْقُ والتُّؤَدَةُ ؛ يُقالُ عَلَى رِسْلِكَ أَيْ عَلَى مَهْلِكَ .
(٢) أَخْرَجَهُ البُخارِي ومُسْلِم .
(٣) تَشارَفْتُ : أَيْ تَطاوَلْتُ .

وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ الرَّايَةَ وهَزَّها ثُمَّ قالَ : (مَنْ يَأْخُذُها بِحَقِّها ؟) ، فَجاءَ فُلانٌ فقالَ : أَنا ، فَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (والَّذي كَرَّمَ وَجْهَ مُحَمَّدٍ لأُعْطِيَنَّها رَجُلًا لا يَفِرُّ ، ها كَها[1] يا عَلِيُّ) فانْطَلَقَ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ خَيْبَرَ ، وجاءَ بعَجْوَتِها وقَدِيدِها[2] .

وفِي تَفْسِيرِ الثَّعْلَبِي فِي سُورَةِ ﴿ٱلْفَتْح﴾ بَعْدَ أَنْ ساقَ القِصَّةَ قالَ : فَنَهَضَ عَلِيٌّ بالرَّايَةِ وعَلَيْهِ حُلَّةٌ أُرْجُوان[3] حَمْراءُ قَدْ أَخْرَجَ كُمَّيْها فَأَتَى مَدِينَةَ خَيْبَر ، فَخَرَجَ مَرْحَبٌ صاحِبُ الحِصْنِ وعَلَيْهِ مِغْفَرٌ مُصَفَّرٌ وحَجَرٌ قَدْ نَقَبَهُ مِثْلُ البَيْضَةِ عَلَى رَأْسِهِ وهُوَ يَرْتَجِزُ ويَقُولُ :

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ۞ شَاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أَطْعَنُ أَحْيانًا وَحِينًا أَضْرِبُ ۞ إِذا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ
كَانَ حِمايَ كَالْحِمَى لا يُقْرَبُ

فَبَرَزَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقالَ :

أَنَا الَّذي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ۞ كَلَيْثِ غَاباتٍ شَدِيدٍ قَسْوَرَهْ
أَكِيلُهُمْ بِالسَّيْفِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

---

(١) ها : اسْمُ فِعْلٍ ، بِمَعْنَى خُذْ ، أَيْ خُذْها يا عَلِيُّ ، ومِنْهُ : ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ .
(٢) أَخْرَجَهُ الإمام أَحْمَد .
(٣) الأَرْجُوان : صِبْغٌ شَدِيدُ الحُمْرَةِ وفيهِ تَقْرِيرٌ عَلَى جَوازِ لُبْسِ الأَحْمَر ؛ إِذْ كانَ النَّهْيُ مُتَقَدِّمًا .

فاختَلَفا بِضَرْبَتَيْنِ فَبَدَرَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه بالضَّرْبَةِ فَقَدَّ الحَجَرَ والمِغْفَرَ وفَلَقَ رَأْسَهُ حَتَّى أَخَذَ فِي الأَضْراس ، وأَخَذَ المَدِينَةَ وكانَ الفَتْحُ عَلى يَدَيْهِ ، وهَذِهِ القَضِيَّةُ مِنْ أَشْهَرِ القَضايا رَواها مِنْ أَصْحابِهِ ﷺ جَماعَةٌ رضي الله عنهم مِنْهُمْ : سَهْلُ بنُ سَعْدٍ وسَلَمَةُ بنُ الأَكْوَعِ وأَبو هُرَيْرَةَ مِنْ طَرِيقَيْنِ ، وأَبو سَعِيدٍ وأَبو رافِعٍ وعامِرُ بنُ سَعْدِ بنِ أَبي وَقَّاصٍ عَنْ أَبيهِ سَعْدٍ وهِيَ مِنْ أَشْهَرِ القَضايا عِنْدَ جَمِيعِ الطَّوائِف .

قالَ البُوصِيري :

وَعَلِـيٌّ لَـمَّا تَفَلْـتَ بِعَـيْنَيْـ ❁ ـهِ وَكِلْـتَاهُـمَا مَـعًا رَمْـدَاءُ

فَغَـدَا نَـاظِـرًا بِعَـيْنِ عُـقَابٍ ❁ فِي غَزَاةٍ لَهَا الْعُقابُ[1] لِوَاءُ

وقالَ سَيِّدُنا حَسَّانُ بنُ ثابت رضي الله عنه فِي ذَلِكَ شِعْرًا :

وَثَارَ عَلِيٌّ أَرْمَـدَ الْعَيْنِ يَبْتَغِي ❁ دَواءً فَلَـمَّا لَمْ يُحِـسَّ مُـدَاوِيَا

شَـفَاهُ رَسُـولُ اللهِ مِـنْهُ بِتَفْلَـةٍ ❁ فَـبُورِكَ مَـرْقِـيًّا وَبُورِكَ رَاقِـيَا

فَإِنْ شَاءَ يُعْطِي الرَّايَةَ الْيَوْمَ صَارِمًا ❁ كَمِـيًّا مُحِـبًّا لِلرَّسُـولِ مُـوالِيَا

يُحِـبُّ إِلَـهِـي وَالإِلَــهُ يُحِـبُّهُ ❁ بِهِ يَفْتَحُ اللهُ الْحُصُونَ الْعَوالِيَا

فَخَـصَّ بِـها دُونَ الْـبَرِيَّةِ كُلِّـهَا ❁ عَلِـيًّا وَسَمَّاهُ الْوَزِيرَ الْمُـوَاخِـيَا

---

(١) العُقابُ الأَوَّلُ طائِرٌ مِنَ الجَوارِحِ المَشْهُورَةِ بالفَتْك ، ويُقالُ فِي المَثَلِ : أَبْصَرُ مِنْ عُقاب ، والثَّانِي رايَةُ الرَّسُولِ الأَعْظَمِ ﷺ وكانَتْ سَوْداءَ كَلَوْنِ العُقاب .

وفِي شِعْرِ العَلَّامَةِ ابنِ أَبي الحَدِيد :

يَا قالِعَ الْبَابِ الَّذي عَنْ رَدِّهِ ۞ عَجَزَتْ أَكُفٌّ أَرْبَعُونَ وَأَرْبَعُ

وفِي الجامِعِ الكَبيرِ للحافِظِ السُّيُوطِي أَنَّ الإمامَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حَمَلَ البابَ يَوْمَ خَيْبَرَ حَتَّى صَعِدَ المُسْلِمُونَ فَفَتَحُوها ، وإِنَّهُ جُرِّبَ فَلَمْ يَحْمِلْهُ إِلَّا أَرْبَعُونَ رَجُلًا (أَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي شَيْبَة) .

وما أَحْسَنَ قَوْلَ الإمامِ المَنْصُورِ بِاللّهِ عَبْدِ اللّهِ بنِ حَمْزَةَ فِي أَبْياتٍ :

سَارُوا بِرَايَتِهِ فَاسْتَرْجَعُوا هَرَبًا ۞ فَالْخَيْلُ تَعْثُرُ وَالأَبْطالُ فُرَّارُ

حَتَّى إِذَا انْسَدَّ وَجْهُ الْفَتْحِ فَاخْتَلَجَتْ ۞ خَوَاطِرٌ مِنْ بَنِي الدُّنْيَا وَأَفْكَارُ

نَادَى أَبَا حَسَنٍ يُوفِي مُوَاعِدَهُ ۞ صُبْحًا وَقَدْ شَخَصَتْ فِي ذَاكَ أَبْصَارُ

فَجَاءَ كَاللَّيْثِ يَمْشِي خَلْفَ قَائِدِهِ ۞ وَكانَ فِي عَيْنِهِ ضُرٌّ وَعُوَّارُ

فَمَجَّ فِيهَا بِرِيقٍ طَعْمُهُ عَسَلٌ ۞ وَرِيحُهُ المِسْكُ لَمْ يَفْضُضْهُ عَطَّارُ

وَقَالَ خُذْهَا وَصَمِّمْ يا أَبَا حَسَنٍ ۞ وَكَانَ فَتْحٌ وَبَاقِي الْقَوْمِ صُدَّارُ

غَزْوَةُ حُنَيْن :

وَحُنَيْنًا سَلْ بِهَا أَبْطَالَهَا ۞ كَمْ بِهَا أَرْدَى مِنَ الكُفْرِ كَمِيًّا

خَرَجَ إِلَيْها رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ لِستٍّ لَيالٍ مِنْ شَوَّال بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ فِي عَشَرَةِ آلافٍ الَّذِينَ حَضَرُوا مَعَهُ ﷺ الفَتْحَ مُنْضَمًّا

إِلَيْهِمْ أَلْفانِ مِنَ الطُّلَقاءِ أَهْلِ مَكَّةَ وكانَ مِنْ أَمْرِها ما كانَ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ السِّيرَة ، والقَصْدُ الإشارَةُ إِلَى ما ثَبَتَ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنَ الثَّباتِ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ الَّذي فَرَّ فِيهِ مَنْ فَرَّ مِنَ المُسْلِمِينَ ؛ فَإِنَّها لَمَّا حَصَلَتِ الهَزِيمَةُ فِي المُسْلِمِينَ وبَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ فِيهِمُ العَبَّاسُ بنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وابنُ عَمِّهِ أَبُو سُفْيانَ بنُ الحارِثِ وعَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، ظَلَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُقاتِلُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُعْرَفْ لَهُ فِرارٌ فِي مَوْطِنٍ قَطُّ .

قالَ فِي الجامِعِ الكَبِيرِ فِي مُسْنَدِ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : لَمَّا كانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ قالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ) ، وكانَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ يُقاتِلُ أَشَدَّ القِتالِ بَيْنَ يَدَيْهِ[1] .

وقالَ الفَقِيهُ العَلَّامَةُ حُمَيْدٌ المَحَلِّي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعالَى بِإِسْنادِهِ إِلَى المُنْتَجِعِ بنِ قارِظٍ النَّهْدِي أَنَّ أَباهُ حَدَّثَهُ وكانَ جاهِلِيًّا ، قالَ : شَهِدْتُ هَوازِنَ وكُنْتُ امْرَءًا نَدَبًا[2] يُسَوِّدُنِي قَوْمِي ، ولَقِينا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَأَيْتُ فِي عَسْكَرِهِ رَجُلًا لا يَلْقاهُ قِرْنٌ إِلَّا دَهْدَهَهُ[3] ، ولا بَرَزَ إِلَيْهِ شُجاعٌ إِلَّا أَرْداهُ ، يَصْمُدُ لَهُ ، ويَبْرُزُ لَهُ ، وبَرَزَ لَهُ الجُلْمُوزُ ابنُ قَرِيعِ

---

(١) أَخْرَجَهُ العَسْكَرِي فِي الأَمْثالِ .
(٢) النَّدَبُ : الظَّرِيفُ النَّجِيب .
(٣) دَهْدَهَ الحَجَرُ : دَحْرَجَهُ .

وكانَ واللّهِ ما عَلِمْتُهُ حُوشِيَّ القَلْبِ[1] ، شَدِيدَ الضَّرْبِ ، فَأَهْوَى لَهُ الرَّجُلُ بِسَيْفِهِ فاخْتَلَى قَحْفَ رَأْسِهِ عَنْ أُمِّ دِماغِهِ ، فَحِدْتُ عَنْهُ وجَعَلْتُ أَرْمُقُهُ (أَلْحَظُهُ بِبَصَرِي) وهُوَ لا يَقْصُدُ رَكاكَةً ولا يَؤُمُّ إلَّا صَنادِيدَ الرِّجالِ ، لا يَدْنُو مِنْ رَجُلٍ إلَّا قَتَلَهُ ، وكانَتِ الدَّائِرَةُ لِمُحَمَّدٍ ﷺ عَلَيْنا ، فَأَسْلَمْتُ بَعْدَ ذَلِكَ فَتَعَرَّفْتُ الرَّجُلَ فَإذا هُوَ عَلِيُّ بنُ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وتاللّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ زِنْدَهُ فَخِلْتُهُ أَرْبَعَ أَصابِعٍ وإنَّ أَوَّلَ خِنْصَرِهِ كَآخِرِ مِفْصَلٍ مِنْ مِرْفَقِهِ .

قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللّه : قَدْ بَلَغَتْ شَجاعَتُهُ حَدَّ التَّواتُرِ وصارَتْ مَعْلُومَةً لِكُلِّ أَحَدٍ بِالضَّرُورَةِ بِحَيْثُ لا يُمْكِنُهُ دَفْعُ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ ، قالَ الفَقِيهُ حُمَيْدٌ رَحِمَهُ اللّه : مَواقِفُ شَرَفِهِ فِي الجِهادِ ظاهِرَة ، وبُدُورُ مَعالِيهِ باهِرَة ، ولا يُعْلَمُ مَوْقِفٌ حَضَرَهُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللّهِ ﷺ إلَّا وقَدَحُهُ المُعَلَّى القامِر ، وطائِرُهُ أَيْمَنُ طائِر ، ولَقَدْ رَوَيْنا بِالإسْنادِ إلَى عَبْدِ اللّهِ بنِ الحَسَنِ بن عَلِيٍّ بنِ أَبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : بارَزَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللّهِ ﷺ اثْنَيْنِ وسَبْعِينَ مُبَرِّزًا فَكَمْ هُمامٍ صَمَدَ لَهُ فَفَلَّ شَباهُ ، ورَدَّ أُولاهُ عَلَى أُخْراهُ ، لَمْ يَرِدْ مَعْرَكَةً قَطُّ إلَّا خاضَ

---

(١) حُوشِيُّ القَلْبِ : قَوِيُّهُ .

لَظاها ، وقَطرَ فُرْسانَها ، وأَبادَ شُجْعانَها .

وجَدِيرٌ بِالذِّكْرِ والتَّسْطِيرِ أَنَّ الإِمامَ عَلِيَّ بنَ أَبي طالِب رَضِيَ عَنْه شارَكَ فِي كُلِّ غَزَواتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ماعَدا غَزْوَةَ تبُوك ، والغَزَواتُ الَّتي شارَكَ فِيها رَضِيَ عَنْه هِيَ :

غَزْوَةُ وَدَّان (الأَبْواء) ، غَزْوَةُ بُواط ، غَزْوَةُ العُشَيْرَة ، غَزْوَةُ بَدْرٍ الكُبْرَى ، غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْم ، غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقاع ، غَزْوَةُ السَّوِيق ، غَزْوَةُ ذِي قُرْقُرَة ، غَزْوَةُ ذِي أَمْرٍ وغَطَفان ، غَزْوَةُ بُحْران ، غَزْوَةُ أُحُد ، غَزْوَةُ حَمْراءِ الأَسَد ، غَزْوَةُ بَنِي النَّضِير ، غَزْوَةُ ذاتِ الرِّقاع ، غَزْوَةُ دَوْمَةِ الجَنْدَل ، غَزْوَةُ الخَنْدَق (الأَحْزاب) ، غَزْوَةُ بَنِي قُرَيْظَة ، غَزْوَةُ بَنِي لَحْيان ، غَزْوَةُ الغابَة ، غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِق ، غَزْوَةُ الحُدَيْبِيَة ، غَزْوَةُ خَيْبَر ، غَزْوَةُ وادِي القُرَى ، غَزْوَةُ مُؤْتَة ، غَزْوَةُ الفَتْحِ الأَعْظَم (فَتْحُ مَكَّة) ، غَزْوَةُ حُنَيْن ، غَزْوَةُ الطَّائِف .

الخَصِيصَةُ الحادِيَةُ والعِشْرُون : اخْتِصاصُ عَلِيٍّ رَضِيَ عَنْه بِغُسْلِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وتَوَلِّي دَفْنِه :

لَمَّا أَكْمَلَ اللّهُ تَعالَى لَهُ ﷺ ولأُمَّتِهِ الدِّينَ ، وأَتَمَّ عَلَيْهِمْ بِفَضْلِهِ النِّعْمَةَ نَقَلَهُ إِلَى دارِ كَرامَتِهِ شَهِيدًا مِنْ أَكْلِهِ مِنَ الذِّراعِ المَسْمُومَةِ الَّتي

أُهْدِيَتْ لَهُ بِخَيْبَرَ لِيَجْمَعَ اللّٰهُ لَهُ بَيْنَ شَرَفِ النُّبُوَّةِ والشَّهادَة ، فابْتَدَأَ بِهِ مَرَضُهُ فِي العَشْرِ الأَخِيرِ مِنْ شَهْرِ صَفر سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ الهِجْرَةِ فِي بَيْتِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ مَيْمُونَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، فَلَمَّا اشْتَدَّ وَجَعُهُ ﷺ تَحَوَّلَ لِبَيْتِ أُمِّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ، وأَقامَ ﷺ مَرِيضًا نَحْوَ اثْنَي عَشَرَ يَوْمًا .

وتُوفِّيَ ﷺ يَوْمَ الإِثْنَيْن ثانِي عَشَرَ رَبِيع الأَوَّل عِنْدَ الجُمْهُور .

ثُمَّ غُسِّلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ ؛ وكانَ الَّذي يُغَسِّلُهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ ويُساعِدُهُ العَبَّاسُ وابْناهُ الفَضْلُ وقُثَم ، ومَعَهُما أُسامَةُ بنُ زَيْدٍ وصالِحٌ (شُقْران) مَوْلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ يَصُبَّانِ الماءَ ، وأَوْسُ بنُ خَوْلِيٍّ الخَزْرَجِيُّ يَنْقُلُ الماءَ مِنْ بِئْرِ غَرْس ، ولَمْ يُجَرَّدْ ﷺ مِنْ قَمِيصِهِ ، وكُفِّنَ ﷺ فِي ثَلاثَةِ أَثْوابٍ بِيضٍ لَيْسَ فِيها قَمِيصٌ ولا عِمامَة .

ولَمَّا فَرَغُوا مِنْ تَجْهِيزِهِ ﷺ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ ، ودَخَلَ النَّاسُ أَرْسالًا (أَيْ جَماعاتٍ) عَشَرَةً فَعَشَرَةً ، مُتَتابِعِينَ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ ﷺ ولَمْ يَؤُمَّهُمْ أَحَدٌ ؛ وصَلَّى عَلَيْهِ أَوَّلًا أَهْلُ عَشِيرَتِهِ ، ثُمَّ المُهاجِرُونَ ، ثُمَّ الأَنْصارُ ، وصَلَّتْ عَلَيْهِ النِّساءُ بَعْدَ الرِّجال ، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ الصِّبْيان .

ثُمَّ حَفَرَ لَهُ أَبو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَحْدًا فِي حُجْرَةِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حَيْثُ

تُوفِّي ﷺ ، وأَنْزَلَهُ القَبْرَ عَلِيٌّ والعَبَّاسُ ووَلَداهُ الفَضْلُ وقُثَمُ رضي الله عنهم ، ورَشَّ قَبْرَهُ بِلالٌ رضي الله عنه بالماء ، ورُفِعَ قَبْرُهُ ﷺ عَنِ الأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ . ودُفِنَ ﷺ لَيْلَةَ الأَرْبَعاءِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ، وإِنَّما تَأَخَّرَ دَفْنُهُ ﷺ لاخْتِلافِهِمْ فِي مَوْتِهِ ، حَتَّى أَزالَ الشَّكَّ عَنْهُمْ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه ، وحَتَّى انْتَهَى المُسْلِمُونَ مِنْ إقامَةِ خَليفَةٍ عَلَيْهِمْ .

ثُمَّ اخْتَلَفُوا أَيْضًا أَيْنَ يُدْفَنُ ؟ فَمِنْهُمْ مَنْ قالَ : فِي مَسْجِدِهِ ، ومِنْهُمْ مَنْ قالَ فِي البَقِيعِ حَيْثُ دُفِنَ ابْنُهُ إِبْراهِيمُ وأَصْحابُهُ ، ومِنْهُمْ مَنْ قالَ : يُحْمَلُ إِلَى القُدْسِ عِنْدَ قَبْرِ أَبِيهِ إِبْراهِيمَ عليه السلام ، حَتَّى أَزالَ الشَّكَّ خَلِيفَةُ رَسُولِ اللهِ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ، فَقالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (ما دُفِنَ نَبِيٌّ إِلَّا حَيْثُ يَمُوتُ)(١) .

وكانَتْ لَيْلَةً لَيْلاء (أَيْ مُظْلِمَة) لِفَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وانْقِطاعِ الوَحْي . قالَ أَنَسٌ رضي الله عنه : ما نَفَضْنا أَيْدِيَنا مِنْ تُرابِهِ ﷺ حَتَّى أَنْكَرْنا قُلُوبَنا . وكانَ مَوْتُهُ ﷺ أَعْظَمَ المَصائِبِ ، وأَفْظَعَ الدَّواهِي ، وارْتَدَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاس ؛ بَلْ قالُوا : ما بَقِيَ مَسْجِدٌ إِلَّا ارْتَدَّ بَعْضُ أَهْلِهِ إِلَّا ثَلاثَةَ مَساجِد ، ثُمَّ أَدْرَكَ اللهُ الأَنامَ بِلُطْفِهِ وخَذَلَ أَهْلَ الرِّدَّةِ ونَصَرَ الإِسْلامَ

---

(١) أَخْرَجَهُ مالِكٌ فِي المُوَطَّأ ، وابنُ ماجَهْ فِي السُّنَنِ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما .

وأَهْلَهُ ، فَأَطْفَأَ اللهُ نارَ الفِتْنَةِ عَلَى يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ، ولِهَذا قالَ أَبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : ((لَوْلا أَبو بَكْرٍ لَهلَكَتْ هَذِهِ الأُمَّة)) .

وهَذِهِ النُّبْذَةُ يَتَعَيَّنُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمِ الإحاطَةُ بِها عِلْمًا ؛ لأَنَّها خُلاصَةُ عِدَّةِ أَسْفار ، وشَرْحُها يَحْتَمِلُ مُجَلَّدات ، وهِيَ جَدِيرَةٌ بِأَنْ تُفْرَدَ وتُحْفَظَ ، واللهُ أَعْلَمُ وهُوَ حَسْبِي ونِعْمَ الوَكِيل .

الخَصِيصَةُ الثَّانِيَةُ والعِشْرُون : خَتَمَ اللهُ بِعَلِيٍّ رضي الله عنه الخِلافَةَ كَما خَتَمَ بِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم النُّبُوَّة : بابُ مَدِينَةِ العُلُوم والمَواهِب ، وَلِيُّ المُتَّقِين ، وإِمامُ العادِلِين ، أَقْدَمُهُمْ إِجابَةً وإِيمانًا ، وأَقْوَمُهُمْ قَضِيَّةً وإِيقانًا ، المُنْبِئُ عَنْ حَقائِقِ التَّوْحِيد ، المُشِيرُ إِلَى لَوامِعِ بَوارِقِ عِلْمِ التَّفْرِيد ، ذُو القَلْبِ العَقُولِ واللِّسانِ السَّؤُولِ والآذانِ الواعِيَةِ والعُهُودِ الوافِيَة ، خَتَمَ اللهُ بِهِ رضي الله عنه الخِلافَةَ كَما خَتَمَ بِسَيِّدِنا مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم النُّبُوَّة ، وهُوَ رضي الله عنه الأُخَيْشِنُ فِي دِينِ الله ، المَمْسُوسُ فِي ذاتِ الله .

خِلافَتُهُ رضي الله عنه (٣٥ - ٤٠ هـ) : لَمَّا حَلَّ القَضاءُ المُبْرَمُ واسْتُشْهِدَ سَيِّدُنا عُثْمانُ رضي الله عنه ، ظَلَّ المُسْلِمُونَ حَيارَى بَعْدَ الفِتْنَةِ الكُبْرَى وقَتْلِ الخَلِيفَةِ المَظْلُوم ، لا يَجِدُونَ لَهُمْ مَلْجَأً كَأَنَّهُمْ فَوْضَى ، لَمْ يَكُنْ أَمامَهُمْ مَنْ يَصْلُحُ للخِلافَةِ بَعْدَ عُثْمانَ إِلَّا عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب ؛ فَذَهَبَ إِلَيْهِ مُعْظَمُهُمْ

يَطْلُبُونَ مِنْهُ أَنْ يَلِيَ الخِلافَةَ ، فَقَدَّرَ المُسْتَقْبَلَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وعَلِمَ أَنَّهُ إِنَّما يَسْتَقْبِلُ فِتْنَةً سائِرَةً لا مَرَدَّ لَها ، فَقالَ ﵁ لَهُمْ : ((التَمِسُوا غَيْرِي ، فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ ، ولَهُ أَلْوانٌ ، لا تَقُومُ بِهِ القُلُوبُ ، ولا تَثْبُتُ عَلَيْهِ العُقُولُ)) .

فَناشَدُوهُ اللّٰهَ والدِّينَ ، وبايَعُوهُ بِالخِلافَةِ لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وثَلاثِينَ هِجْرِيَّة ، فَقامَ بِها ﵁ ما يُقارِبُ خَمْسَ سِنِينَ ، لَمْ يَصْفُ لَهُ فِيها يَوْمٌ ، وكانَ أَمْرُ اللّٰهِ قَدَرًا مَقْدُورًا .

قالَ العَلَّامَةُ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِي(١) : إِنَّ الإِجْماعَ انْعَقَدَ عَلَى صِحَّةِ بَيْعَةِ عَلِيٍّ ﵁ ، ووِجْهَةُ انْعِقادِها فِي زَمَنِ الشُّورَى عَلَى أَنَّها لَهُ أَوْ لِعُثْمانَ ﵁ ، وهَذا إِجْماعٌ عَلَى أَنَّهُ لَوْلا عُثْمانُ لَكانَتْ لِعَلِيٍّ ﵁ ، فَحِينَ قُتِلَ عُثْمانُ ﵁ بَقِيَتْ لِعَلِيٍّ ﵁ إِجْماعًا ، واتَّفَقَ عَلَى بَيْعَتِهِ أَهْلُ الحَلِّ والعَقْدِ .

قالَ إِمامُ الحَرَمَيْنِ عَبْدُ اللّٰهِ الجُوينِي رَحِمَهُ اللّٰهُ تَعالَى : ولا أَكْتَرِثُ بِقَوْلِ مَنْ قالَ لا إِجْماعَ عَلَى إِمامَةِ عَلِيٍّ ﵁ ، فَإِنَّ الإِمامَةَ لَمْ تُجْحَدْ لَهُ وإِنَّما هاجَتِ الفِتْنَةُ لأُمُورٍ أُخْرَى .

---

(١) الصَّواعِق : ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلاني .

وَلَمَّا تَمَّتِ البَيْعَةُ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ امْتَنَعَ مِنَ الدُّخُولِ فِي البَيْعَةِ جَماعَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وجَماعَةٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ ، وجَماعَةٌ مِنْ أَهْلِ العِراقِ ، وقالُوا : لا نُبايِعُ حَتَّى يُقْتَصَّ مِنْ قَتَلَةِ عُثْمانَ ، وهُمْ مُعْتَرِفُونَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُوَ الَّذي يَسْتَحِقُّ الخِلافَةَ بَعْدَ مَقْتَلِ عُثْمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الخَصِيصَةُ الثَّالِثَةُ والعِشْرُونَ : لِواءُ الحَمْدِ يَحْمِلُهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ القِيامَةِ :

وَلِوَاءُ الْحَمْدِ مَنْ يَحْمِلُهُ ؟! ۞ غَيْرُهُ أَكْرِمْ بِهِ فَخْرًا عَلِيَّا

إِشارَةً إِلَى الفَضِيلَةِ الَّتي تَتَضاءَلُ عِنْدَها الفَضائِل ، والمَنْقَبَةِ الَّتي تُنْشَرُ لَهُ عَلَى رُؤُوسِ الأَواخِرِ مِنَ العالَمِ والأَوائِل ؛ قالَ المُحِبُّ الطَّبَرِي : ذِكْرُ اخْتِصاصِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِحَمْلِ اللِّواءِ لِواءِ الحَمْدِ والوُقُوفِ تَحْتَ العَرْشِ بَيْنَ إِبْراهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ والنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأَنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْسَى كَما يُكْسَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَخْرَجَ ابنُ المُغازِلِي فِي كِتابِ المَناقِبِ مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ الباهِلِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آخَى بَيْنَ المُسْلِمِينَ وقالَ : (يا عَلِيُّ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ يُدْعَى بِي فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ فِي ظِلِّهِ فَأُكْسَى حُلَّةً خَضْراءَ مِنْ حُلَلِ الجَنَّة ، ثُمَّ يُدْعَى بِالنَّبِيِّينَ بَعْضُهُمْ عَلَى أَثَرِ بَعْضٍ فَيَكُونُونَ سِماطَيْنِ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ ثُمَّ يُكْسَوْنَ حُلَلًا خَضْراءَ مِنْ حُلَلِ

الجَنَّة ، وإنِّي أُخْبِرُكَ يا عَلِيُّ أَنَّ أُمَّتِي أَوَّلُ الأُمَمِ يُحاسَبُونَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى بِكَ لِقَرابَتِكَ مِنِّي ومَنْزِلَتِكَ عِنْدِي ، ويُدْفَعُ إِلَيْكَ لِوائِي وهُوَ لِواءُ الحَمْدِ ، وتَسِيرُ بِهِ بَيْنَ السِّماطَيْنِ ، آدَمُ وجَمِيعُ خَلْقِ اللّٰهِ يَسْتَظِلُّونَ بِظِلِّ لِوائِي يَوْمَ القِيامَةِ ؛ طُولُهُ مَسِيرَةُ أَلْفِ سَنَةٍ ، سِنانُهُ ياقُوتَةٌ حَمْراء ، قَصَبَتُهُ مِنْ فِضَّةٍ بَيْضاء ، زَجُّهُ دُرَّةٌ خَضْراء ، لَهُ ثَلاثُ ذَوائِبَ مِنْ نُور : ذُؤابَةٌ فِي المَشْرِقِ وذُؤابَةٌ فِي المَغْرِبِ والثَّالِثَةُ فِي وَسَطِ الدُّنْيا ، مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ ثَلاثَةُ أَسْطُرٍ : الأَوَّلُ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ، والثَّانِي ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَـٰلَمِينَ﴾ ، والثَّالِثُ ﴿لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ ، فَتَصِيرُ بِاللِّواءِ والحَسَنُ عَنْ يَمِينِكَ والحُسَيْنُ عَنْ يَسارِكَ حَتَّى تَقِفَ بَيْنَ يَدَي إِبْراهِيمَ فِي ظِلِّ العَرْشِ ثُمَّ تُكْسَى حُلَّةً خَضْراءَ مِنَ الجَنَّة ، ثُمَّ يُنادِي مُنادٍ مِنْ تَحْتِ العَرْشِ نِعْمَ الأَبُ أَبُوكَ إِبْراهِيمُ ونِعْمَ الأَخُ أَخُوكَ عَلِيٌّ ، أَبْشِرْ يا عَلِيُّ إِنَّكَ تُكْسَى إذا كُسِيتُ وتُدْعَى إذا دُعِيتُ) .

وجَزَى اللّٰهُ مُحَمَّدَ بنَ إِسْماعِيلَ الأَمِيرِ خَيْرَ الجَزاءِ جَزاءَ قَوْلِهِ :

قُلْ مِنَ المَدْحِ بِمَا شِئْتَ فَلَمْ ۞ تَـأْتِ فِيمَا قُلْـتَهُ شَـيْئًا فَـرِيَّا
كُـلُّ مَـنْ رَامَ يُـدَانِـي شَـأْوَهُ ۞ فِي العُلا فَاعْدُدْهُ دَوْمًا أَشْعَبِيَّا

هَذِهِ كالفَذْلَكَةِ لِما تَقَدَّمَ مِنْ فَضائِلِهِ رضي الله عنه كَأَنَّهُ قالَ : إذا عَرَفْتَ أَنَّهُ أَحْرَزَ كُلَّ كَمال ، وبَزَّ (سَبَقَ) فِي كُلِّ فَضِيلَةٍ كَمَلَةَ الرِّجال ، فَقُلْ بما شِئْتَ فِي مَدْحِهِ كَأَنْ تَمْدَحَهُ بالعِبادَةِ فَإِنَّهُ بَلَغَ رُتْبَتَها العَلِيَّة ، وبالشَّجاعَةِ فَإِنَّهُ أَنْسَى بِمَنْ سَبَقَهُ مِنْ أَبْطالِ البَرِيَّة ، وبالزَّهادَةِ فَإِنَّهُ إمامُها الَّذي بِهِ يُقْتَدَى ، وبِالجُودِ فَإِنَّ إلَيْهِ فِيهِ المُنْتَهَى ، فَلا فَضِيلَةَ إلَّا وهُوَ حامِلُ لِوائِها ، ومُقَدَّمُ أُمَرائِها ، فَقُلْ فِي صِفَتِهِ بما انْطَلَقَ بِهِ اللِّسان ، فَلَنْ يَعِيبَكَ فِي هَذا الشَّأْنِ إنْسان ، وهَذِهِ إشارَةٌ إلَى عَدَمِ انْحِصارِ فَضائِلِهِ كَما قَدْ أَشَرْنا إلَيْهِ سابِقًا ، وكَيْفَ تَنْحَصِرُ لَنا وقَدْ قالَ إمامُ المُحَدِّثِينَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل رَحِمَهُ اللهُ :

((إنَّهُ ما ثَبَتَ لأَحَدٍ مِنَ الفَضائِلِ الصَّحِيحَةِ مِثْلَ ما ثَبَتَ للإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه)) .

وقَدْ عُلِمَ أَنَّ كُتُبَ السُّنَّةِ قَدْ شَرَّقَتْ وغَرَّبَتْ وبَلَغَتْ مَبْلَغَ الرِّياحِ فَلا يُمْكِنُ حَصْرُها ، وما ذَكَرْناهُ ما هُوَ إلَّا تَتْمِيمًا للإفادَة ، وتَبَرُّكًا بِنَشْرِ بَعْضِ فَضائِلِهِ فَإِنَّها لا تُمَلُّ وإنْ أَمَلَّ المُعادُ فِي العادَة .

ولَقَدْ صَدَقَ مَنْ عَبَّرَ عَنْ فَضائِلِهِ ومَزاياهُ قائِلًا :

جُمِعَتْ فِيهِ وَفِيهِمْ فُرِّقَتْ ۞ فَلِهَذا فَوْقَهُمْ صارَ عَلِيًّا

وما أَحْسَنَ قَوْلَ الإمامِ زَيْدِ بنِ عَلِيٍّ زَيْنِ العابِدِين رضي الله عنه :

وَمَنْ فَضَلَ الأَقْوَامَ يَوْمًا بِرَأْيِهِ ۞ فَإِنَّ عَلِيًّا فَضَّلَتْهُ الْمَنَاقِبُ
وَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ وَالْحَقُّ قَوْلُهُ ۞ وَإِنْ رَغِمَتْ عَنْهُ الأُنُوفُ النَّوَاصِبُ
بِأَنَّكَ مِنِّي يَا عَلِيُّ بِمَنْزِلٍ ۞ كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى أَخٌ لِي وَصَاحِبُ

وبَعْدُ ، فَإِذا كانَ للّهِ خَواصٌّ فِي الأَزْمِنَةِ والأَمْكِنَةِ والأَشْخاص ، فَهَذِهِ بَعْضُ الخَصائِصِ الَّتي قُدِّرَ لِي الاطِّلاعَ عَلَيْها ، وكانَ القَصْدُ الإِفادَةَ والتَّبَرُّكَ بِنَشْرِ بَعْضِ فَضائِلِه رضي الله عنه فَإِنَّها لا تُمَلُّ وإِنْ أَمَلَّ المُعادُ فِي العادَة ، وذُرْوَةُ سَنام هَذِهِ الخَصائِصِ أَنَّ الانْقِيادَ والاسْتِسْلامَ كانَ شَأْنُهُ رضي الله عنه ، والتَّبَرِّي مِنَ الحَوْلِ والقُوَّةِ مَكانُهُ رضي الله عنه .

وَقَدْ قِيلَ : التَّصَوُّفُ إِسْلامُ الغُيُوبِ إِلَى مُقَلِّبِ القُلُوب ، وإِذا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَنْزِلَتَهُ رضي الله عنه مِنَ المُصْطَفَى صلى الله عليه وسلم فَتَأَمَّلْ صَنِيعَهُ فِي المُؤاخاةِ بَيْنَ الصَّحابَةِ ؛ جَعَلَ يَضُمُّ الشَّكْلَ إِلَى الشَّكْلِ والمِثْلَ إِلَى المِثْلِ فَيُؤَلِّفُ بَيْنَهُما إِلَى أَنْ آخَى بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما .

وادَّخَرَ صلى الله عليه وسلم عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ لِنَفْسِهِ واخْتَصَّهُ بِأُخُوَّتِهِ ، وناهِيكَ بِها مِنْ فَضِيلَةٍ وأَعْظِمْ بِها مِنْ شَرَفٍ ، وكانَ رضي الله عنه عَلَى الأَوْرادِ مُواظِبًا ولِلأَرْوادِ مُناجِيًا .

وقَدْ قِيلَ : التَّصَوُّفُ الرَّغْبَةُ فِي المَحْبُوبِ فِي دَرَكِ المَطْلُوبِ .

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا لَزِمَهُ فِي العَيْشِ الضِّيقُ والجَهْدُ أَعْرَضَ عَنِ الخَلْقِ ، وأَقْبَلَ عَلَى الكَسْبِ والكَدِّ .

وَقَدْ قِيلَ : التَّصَوُّفُ الارْتِقاءُ فِي الأَسْبابِ إِلَى المَقْدُوراتِ مِنَ الأَبْوابِ .

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُزَيَّنًا بِزِينَةِ العُبَّادِ ، مُتَحَقِّقًا بِحِلْيَةِ الأَبْرارِ والزُّهَّادِ ، زَهِدَ فِي الدُّنْيا فَكُشِفَ لَهُ الغِطاء ، بَلْ فِي الإِحْياءِ عَنِ ابنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانَ أَزْهَدَ الصَّحابَةِ .

وَقَدْ قِيلَ : التَّصَوُّفُ البُرُوزُ مِنَ الاحْتِجابِ إِلَى رَفْعِ الحِجابِ .

ومِمَّا حُفِظَ مِنْ رَشِيقِ عِباراتِهِ ودَقِيقِ إِشاراتِهِ : لا ظَفَرَ مَعَ بَغْيٍ ، ولا ثَناءَ مَعَ كِبْرٍ ، ولا صِحَّةَ مَعَ النَّهَمِ والتُّخَمِ ، ولا شَرَفَ مَعَ سُوءِ أَدَبٍ ، ولا راحَةَ مَعَ حَسَدٍ ، ولا سُؤْدَدَ مَعَ انْتِقامٍ ، ولا صَوابَ مَعَ تَرْكِ مَشُورَةٍ ، ولا مُروءَةَ لِكَذُوبٍ ، ولا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ ، ولا لِباسَ أَجْمَلُ مِنَ العافِيَةِ ، ولا رَأْيَ أَعْيا مِنَ الجَهْلِ ، والمَرْءُ عَدُوُّ ما جَهِلَ ، رَحِمَ اللهُ امْرَءًا عَرَفَ قَدْرَهُ ولَمْ يَتَعَدَّ طَوْرَهُ .

وَجْـهُ عَلِيٍّ إِذْ يُعَـدُّ النَّـاسُ ۞ فِي كُلِّ عَصْرٍ دُونَهُ الأَكْيَاسُ
يَنُـوبُ طَـهَ بِأَفَانِـينَ الْهُـدَى ۞ أَجَـلْ عَلَـيْهِ يُنْسَـقُ الْقِـيَاسُ
الْقَوْمُ أَهْـلُ اللَّهِ جِسْـمٌ طَيِّبٌ ۞ وَالْوَجْهُ مِنَ آلِ النَّبِيِّ الرَّاسُ

﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ (١)

ذِكْرُ بَعْضِ الآياتِ الَّتي نَزَلَتْ فِي فَضْلِ الإمامِ عَلِيٍّ مُبَيِّنات

• فَمِنَ الآياتِ قَوْلُهُ تعالَى : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾ (٢) .

أَخْرَجَ الواحِدِي : أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه جاءَهُ سائِلٌ وهُوَ راكِعٌ فَنَزَعَ خاتَمَهُ وَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِ فَنَزَلَتِ الآيَةُ .

• ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٣) .

قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رضي الله عنه ؛ كانَتْ مَعَهُ أَرْبَعَةُ دَراهِمَ ، فَأَنْفَقَ فِي اللَّيْلِ دِرْهَمًا ، وفِي النَّهارِ دِرْهَمًا ، ودِرْهَمًا فِي السِّرِّ ، ودِرْهَمًا فِي العَلانِيَةِ ، فَنَزَلَتِ الآيَة .

• ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ (٤) .

قالَ مُجاهِدٌ : نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وحَمْزَةَ رضي الله عنهما ، وأَبِي جَهْلٍ .

---

(١) سُورَةُ المائِدَة : مِنَ الآيَة ٥٤ .
(٢) سُورَةُ المائِدَة : الآيَة ٥٥ .
(٣) سُورَةُ البَقَرَة : الآيَة ٢٧٤ .
(٤) سُورَةُ القَصَص : الآيَة ٦١ .

• ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (١) .

قالَ مُحَمَّدُ بنُ الحَنَفِيَّة رضي الله عنه : لا يَبْقَى مُؤْمِنٌ إلَّا وفِي قَلْبِهِ وُدٌّ لِعَلِيٍّ وأَهْلِ بَيْتِه .

• ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ (٢) .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أَنَّهُ كانَ يُقْسِمُ أَنَّ هَذِهِ الآياتِ نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ ، وحَمْزَةَ ، وعُبَيْدَةَ بنِ الحارِث ، بارَزُوا عُتْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ ، وشَيْبَةَ بنَ رَبِيعَةَ ، والوَلِيدَ بنَ عُتْبَةَ يَوْمَ غَزْوَةِ بَدْر .

---

(١) سُورَةُ مَرْيَم : الآيَة ٩٦ .
(٢) سُورَةُ الحَجِّ : الآيات ١٩-٢٤ .

• ومِنْها قَوْلُهُ تعالَى : ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [1] .

قالَ الواحِدِي : نَزَلَتْ فِي علِيٍّ وحَمْزَةَ رضي الله عنه .

• ومِنْها قَوْلُهُ تعالَى : ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [2] .

رُوِيَ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قالَ : نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رضي الله عنه .

• ومِنْها قَوْلُهُ تعالَى : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [3] .

فَقَدْ أَخْرَجَ مِنْ طَرِيقِ الحافِظِ الكَبِيرِ ابنُ عُقْدَةَ [4] بإِسْنادِهِ عَنْ جابِرِ ابنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه قالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَأَقْبَلَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب ، فَقالَ : (قَدْ أَتاكُمْ أَخِي) ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الكَعْبَةِ فَضَرَبَها بِيَدِهِ فَقالَ : (والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ هَذا وشِيعَتَهُ هُمُ الفائِزُونَ يَوْمَ القِيامَة ، ثُمَّ إِنَّهُ أَوَّلُكُمْ إِيمانًا مَعِي ، وأَوْفاكُمْ بِعَهْدِ اللهِ ، وأَقْوَمُكُمْ بِأَمْرِ اللهِ ، وأَعْدَلُكُمْ فِي الرَّعِيَّة ، وأَقْسَمُكُمْ بِالسَوِيَّة ، وأَعْظَمُكُمْ عِنْدَ اللهِ مَزِيَّة) ، قالَ ونَزَلَتْ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ .

---

(١) سُورَةُ الزُّمَر : مِنَ الآيَة ٢٢ .
(٢) سُورَةُ الإِنْسانِ : الآيَة ٨ .
(٣) سُورَةُ البَيِّنَة : الآيَة ٧ .
(٤) ابنُ عُقْدَةَ الكُوفِي : فَضائِلُ أَمِيرِ المُؤْمِنين .

• ومِنْها قَوْلُه تَعالَى : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (١) .

وقَدْ ثَبَتَ فِي مَناقِبِ العَلّامَةِ ابنِ المُغازِلِي وغَيْرِهِ أَنَّهُ قالَ عَلِيٌّ للعَبَّاسِ رضي الله عنه : يا عَمُّ لَوْ هاجَرْتَ إِلَى المَدِينَةِ ، فَقالَ : أَوَ لَسْتُ فِي أَفْضَلِ مِنَ الهِجْرَةِ ؛ أَسْقِي حاجَّ بَيْتِ اللهِ وأَعْمُرُ المَسْجِدَ الحَرامَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ الآيَة : ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ .

• ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ (٢) .

الآيَةُ فِي وَصْفِ سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم والَّذينَ آمَنُوا مَعَهُ ، وبَيانُ مَثَلِهِمْ فِي التَّوْراةِ والإِنْجيل ، وعَلِيٌّ رضي الله عنه فِي صَدارَةِ المُؤْمِنينَ الَّذينَ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سُورَةُ التَّوْبَة : الآيَة ١٩ .

(٢) سُورَةُ الفَتْح : الآيَة ٢٩ .

• ومِنْها قَوْلُهُ تَعالَى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً﴾ (١) .

فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ سَيِّدَنا عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : ((آيَةٌ مِنْ كِتابِ اللهِ ما عَمِلَ بِها أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي آيَةُ النَّجْوَى ؛ كانَ لِي دِينارٌ فَبِعْتُهُ بِعَشَرَةِ دَراهِمَ ، كُلَّما أَرَدْتُ أَنْ أُناجِيَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصَدَّقْتُ بِدِرْهَمٍ ، ما عَمِلَ بِها أَحَدٌ قَبْلِي ولا بَعْدِي)) .

وثَبَتَ عَنْهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قالَ : لَمَّا نَزَلَتْ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةً﴾ ، قالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كَمْ تَرَى .. دِينارًا ؟) ، قُلْتُ : لا يُطِيقُونَهُ ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (فَكَمْ تَرَى ؟) ، قُلْتُ : شَعِيرَة ، قالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّكَ لَزَهِيدٌ) ، قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : فَنَزَلَتْ : ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ ، فَبِي خَفَّفَ اللهُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّة .

• وعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : لَيْسَ مِنْ آيَةٍ فِي القُرْآنِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ إِلَّا وعَلِيٌّ رَأْسُها وأَمِيرُها وشَرِيفُها .

---

(١) سُورَةُ المُجادِلة : مِنَ الآيَة ١٢ .

أَفْضالُ عَلِيٍّ الزَّاكِياتُ بِأَحادِيثَ مُتَواتِرات

• أَخْرَجَ الإِمامُ أَحْمَدُ عَنِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ ، قالَتْ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (إِنَّ السَّعِيدَ حَقَّ السَّعِيدِ مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فِي حَياتِهِ وبَعْدَ مَوْتِهِ)[1] .

• أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ آخَى بَيْنَ أَصْحابِهِ فَجاءَ عَلِيٌّ رضي الله عنه تَدْمَعُ عَيْناهُ ، فَقالَ : يا رَسُولَ اللّٰه ، آخَيْتَ بَيْنَ أَصْحابِكَ ولَمْ تُؤاخِ بَيْنِي وبَيْنَ أَحَدٍ ، فَقالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيا والآخِرَة)[2] .

• وأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ عَنْ جابِرٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قالَ : (النَّاسُ مِنْ شَجَرٍ شَتَّى ، وأَنا وعَلِيٌّ مِنْ شَجَرَةٍ واحِدَةٍ)[3] .

• وأَخْرَجَ الطَّبَرانِيُّ عَنِ جابِرٍ والخَطِيبُ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ : (إِنَّ اللّٰهَ جَعَلَ ذُرِّيَّةَ كُلِّ نَبِيٍّ فِي صُلْبِهِ ، وجَعَلَ ذُرِّيَّتِي فِي صُلْبِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب)[4] .

• أَخْرَجَ الإِمامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بنِ أَبِي لَيْلَى ، قالَ : كانَ أَبِي

---

(١) الفَتْحُ المُبِين : أَحْمَد بنُ زَيْنِي دَحْلان .

(٢) أَخْرَجَهُ الهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِد ، والسُّيُوطِي فِي الدُّرِّ المَنْثُور .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي المُعْجَمِ الكَبِير ، والهِنْدِي فِي كَنْزِ العُمَّال .

(٤) أَخْرَجَهُ أَبو نُعَيْم فِي الحِلْيَة .

يَسْمُرُ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكانَ عَلِيٌّ يَلْبَسُ ثِيابَ الصَّيْفِ فِي الشِّتاءِ وثِيابَ الشِّتاءِ فِي الصَّيْفِ ، فَقِيلَ لَهُ : لَوْ سَأَلْتَهُ ، فَسَأَلَهُ ، فَقالَ : إِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيَّ وأَنا أَرْمَدُ العَيْنِ ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللّٰهِ إِنِّي أَرْمَدُ العَيْنِ ، فَتَفَلَ فِي عَيْنِي ، فَقالَ : (اللهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الحَرَّ والبَرْدَ)[1] ، فَما وَجَدْتُ حَرًّا ولا بَرْدًا مُنْذُ يَوْمِئِذٍ .

وقالَ : (لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ ، ويُحِبُّهُ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ) ، فَتَشَرَّفَ لَها أَصْحابُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فَأَعْطانِيها .

• وأَخْرَجَ الإمامُ أَحْمَدُ بِسَنَدِهِ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ : (فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى أَبْغَضَهُ اليَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ ، وأَحَبَّهُ النَّصارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ بِالمَنْزِلَةِ الَّتِي لَيْسَ بِها)[2] ، ثُمَّ قالَ عَلِيٌّ : «يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلانِ مُحِبٌّ مُفْرِطٌ بِما لَيْسَ فِيَّ ، ومُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي»[3] .

• عَنْ عَمَّارِ بنِ ياسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ : قالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (إِنَّ اللّٰهَ قَدْ زَيَّنَكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنِ العِبادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ مِنْها هِيَ زِينَةُ

---

(١) أَخْرَجَهُ ابنُ ماجَه فِي سُنَنِهِ ، وأَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ ، وابنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البارِي .
(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي المُسْنَدِ ، والتِّبْرِيزِي فِي مِشْكاةِ المَصابِيحِ .
(٣) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ فِي المُصَنَّفِ .

الأَبْرارِ عِنْدَ اللّٰهِ تَعالَى : الزُّهْدُ فِي الدُّنْيا ؛ فَجَعَلَكَ لا تَرْزَأُ مِنَ الدُّنْيا ، ولا تَرْزَأُ الدُّنْيا مِنْك شَيْئًا ، وحَبَّبَ إِلَيْكَ المَساكِينَ ، فَجَعَلَك تَرْضَى بِهِمْ أَتْباعًا ، ويَرْضَوْنَ بِكَ إمامًا)[1] .

والأَحادِيثُ الوارِدَةُ فِي فَضْلِهِ رضي الله عنه كَثِيرَةٌ أُفْرِدَتْ بِالتَّأْلِيف ، ولَهُ رضي الله عنه كَراماتٌ ومُكاشَفاتٌ كَثِيرَةٌ :

مِنْها : أَنَّهُ مَرَّ بِالمَوْضِعِ الَّذي اسْتُشْهِدَ فِيهِ الحُسَيْنُ رضي الله عنه ، فَقالَ : ((هَهُنا مَناخُ رِكابِهِمْ ، وهَهُنا مَوْضِعُ رِحالِهِمْ ، وهَهُنا مِهْراقُ دِمائِهِمْ ، فِتْيَةٌ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم يُقْتَلُونَ بِهَذِهِ العَرْصَةِ[2] ، تَبْكِي عَلَيْهِمُ السَّماءُ والأَرْضُ)) .

وعَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قالَ : عُرِضَ لِعَلِيٍّ رضي الله عنه رَجُلانِ فِي خُصُومَةٍ ، فَجَلَسَ فِي أَصْلِ جِدارٍ ، فَقالَ رَجُلٌ : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ الجِدارُ يَقَعُ عَلَيْكَ ، فَقالَ عَلِيٌّ : ((امْضِ كَفَى بِاللّٰهِ حارِسًا)) ، وقَضَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ وقامَ فَسَقَطَ الجِدارُ .

وعَنِ الحارِثِ قالَ : كُنْتُ مَعَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ بِصِفِّينَ ، فَرَأَيْتُ بَعِيرًا مِنْ إِبِلِ الشَّامِ جاءَ وعَلَيْهِ راكِبُهُ وثِقْلُهُ فَأَلْقَى ما عَلَيْهِ وجَعَلَ

---

(١) أَخْرَجَهُ الهَيْثَمِي فِي مَجْمَعِ الزَّوائِد .

(٢) العَرْصَة : البُقْعَةُ الواسِعَةُ بَيْنَ الدُّورِ لَيْسَ فِيها بِناءٌ ، وعَرْصَةُ الدَّارِ : ساحَتُها ، والجَمْعُ عَرَصات ، وعِراص .

يَتَخَلَّلُ الصُّفُوفَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى عَلِيٍّ فَوَضَعَ مِشْفَرَهُ ما بَيْنَ رَأْسِ عَلِيٍّ ومَنْكِبِهِ ، فَقالَ عَلِيٌّ : ((واللهِ إِنَّها لَعَلامَةٌ بَيْنِي وبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ)) ، قالَ : فَجَدَّ النَّاسُ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ واشْتَدَّ قِتالُهُمْ .

وعَنْ عَلِيِّ بنِ زاذانَ أَنَّ عَلِيًّا رضي الله عنه حَدَّثَ حَدِيثًا فَكَذَّبَهُ رَجُلٌ ، فَقالَ عَلِيٌّ : ((أَدْعُو عَلَيْكَ إِنْ كُنْتُ صادِقًا ؟)) ، قالَ : نَعَمْ ، فَدَعا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَنْصَرِفْ حَتَّى ذَهَبَ بَصَرُهُ .

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قالَ : بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ أَدْعُو عَلِيًّا ، فَدَعَوْتُهُ فَلَمْ يُجِبْنِي ، فَعُدْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ فَقالَ : (عُدْ إِلَيْهِ فادْعُهُ فَإِنَّهُ فِي البَيْتِ) ، قالَ : فَعُدْتُ إِلَيْهِ أُنادِيه ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ رَحًى تَطْحَنُ ، فَشارَفْتُ فَإِذا الرَّحَى تَطْحَنُ ولَيْسَ مَعَها أَحَدٌ ، فَنادَيْتُهُ فَخَرَجَ إِلَيَّ مُنْشَرِحًا ، فَقُلْتُ : إِنَّ رَسُولَ اللهِ يَدْعُوكَ فَجاءَ ، ثُمَّ لَمْ أَزَلْ أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، ويَنْظُرُ إِلَيَّ ، ثُمَّ قالَ : (يا أَبا ذَرٍّ ما شَأْنُكَ ؟) ، فَقُلْتُ : يا رَسُولَ اللهِ ، عَجِبْتُ مِنَ العَجَبِ ؛ رَأَيْتُ رَحًى تَطْحَنُ فِي بَيْتِ عَلِيٍّ ، لَيْسَ مَعَها أَحَدٌ يُدِيرُها ، فَقالَ : (يا أَبا ذَرٍّ أَما عَلِمْتَ أَنَّ للهِ مَلائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ قَدْ وُكِّلُوا بِمَعُونَةِ آلِ مُحَمَّدٍ)(١) .

---

(١) أَخْرَجَ هَذِهِ الأَحادِيثَ المُلَّا فِي سِيرَتِهِ .

هِجْرَةُ سَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وكَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ

انْطَلَقَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي مَكَّةَ المُكَرَّمَةِ يَجُوبُ شَوارِعَها باحِثًا عَنْ أَصْحابِ الوَدائِعِ الَّتي خَلَّفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ أَجْلِها ورَدَّها إِلَى أَصْحابِها ، وظَلَّ يَرُدُّ هَذِهِ الأَماناتِ حَتَّى بَرِئَتْ مِنْها ذِمَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وهُنا تَأَهَّبَ للخُرُوجِ لِيَلْحَقَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَعْدَ ثَلاثِ لَيالٍ قَضاهُنَّ فِي مَكَّة .

وكانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَظْهَرُ للنَّاسِ فِي هَذِهِ الأَيَّامِ الثَّلاثَةِ ويَقْطَعُ شَوارِعَ مَكَّةَ ويَقِفُ عَلَى المَلأِ مِنْ أَهْلِها باحِثًا عَنْ أَصْحابِ الوَدائِعِ والأَمانات ، وبَعْدَ ذَلِكَ خَرَجَ للهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ وكانَ عُمْرُهُ اثْنَيْنِ وعِشْرِينَ ، واصْطَحَبَ مَعَهُ رَكْبَ الفَواطِمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُنَّ وهُنَّ : أُمُّهُ السَّيِّدَةُ فاطِمَةُ بِنْتُ أَسَد ، والسَّيِّدَةُ فاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ ﷺ ، والسَّيِّدَةُ فاطِمَةُ بِنْتُ الزُّبَيْر ، والسَّيِّدَةُ فاطِمَةُ بِنْتُ حَمْزَةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِب ، ولَمْ تَمْضِ غَيْرُ أَيَّامٍ قَلائِلَ حَتَّى وَصَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى قُباءَ حَيْثُ انْتَظَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بها ورَفَضَ الرَّحِيلَ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ عَلِيٌّ الَّذي أَنْهَكَهُ السَّفَرُ وتَوَرَّمَتْ قَدَماهُ حَتَّى نَزَفَ مِنْهُما الدَّمُ ، وبَعْدَ وُصُولِهِ بِيَوْمَيْنِ نَزَلَ مَعَ الحَبِيبِ الأَعْظَم ﷺ إِلَى المَدِينَةِ وعِنْدَ وُصُولِهِ إِلَيْها آخَى بَيْنَ المُهاجِرِينَ

والأَنْصارِ ، وآخَى ﷺ بَيْنَ عَلِيٍّ وبَيْنَ نَفْسِهِ وقالَ لَهُ : (أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيا والآخِرَة) .

أُسْرَةُ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رضي الله عنه

١) السَّيِّدَةُ البَتُول فاطِمَةُ الزَّهْراءُ بِنْتُ سَيِّدِنا الرَّسُول ﷺ زَوْجَتُهُ الأُولَى عَلَيْها السَّلامُ ، ولَمْ يَتَزَوَّجْ عَلَيْها .

أَوْلادُهُ مِنْها :

١- سَيِّدُنا الحَسَن رضي الله عنه
٢- سَيِّدُنا الحُسَيْن رضي الله عنه
٣- سَيِّدُنا مُحْسِن رضي الله عنه
٤- السَّيِّدَةُ زَيْنَب رضي الله عنها
٥- السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُوم رضي الله عنها .

٢) أُمُّ البَنِينَ بِنْتُ حِزامٍ الكِلابِيَّة (زَوْجَة) .

أَوْلادُهُ مِنْها : ١- العَبَّاس
٢- جَعْفَر
٣- عَبْدُ اللّٰه
٤- عُثْمان

(جَمِيعُهُمْ رضي الله عنهم اسْتُشْهِدُوا فِي كَرْبَلاء)

٣) لَيْلَى بِنْتُ مَسْعُود (زَوْجَة) مِنْ بَنِي تَمِيم .

أَوْلادُهُ مِنْها : ١- عَبْدُ اللّٰه
٢- أَبو بَكْر

٤) أُمُّ حَبِيب بِنْتُ زَمْعَة التَّغْلِبِيَّة (زَوْجَة) .

أَوْلادُهُ مِنْها : ١- عُمَر ٢- رُقَيَّة

٥) أُمُّ سَعِيد بِنْتُ عُرْوَةَ الثَّقَفِيَّة .

أَوْلادُهُ مِنْها : ١- أُمُّ الحَسَن ٢- رَمْلَة الكُبْرَى

٦) السَّيِّدَةُ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْس رَضِيَ اللهُ عَنْهَا :

صَحابِيَّةٌ جَلِيلَةٌ مِنَ المُهاجِراتِ الأَوائِل ، تَزَوَّجَها أَوَّلًا : سَيِّدُنا جَعْفَرُ ابنُ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فاسْتُشْهِدَ يَوْمَ مُؤْتَة ، فَتَزَوَّجَها سَيِّدُنا أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وماتَ عَنْها فَتَزَوَّجَها سَيِّدُنا عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

وأَوْلادُهُ مِنْها : ١- يَحْيَى ٢- مُحَمَّدٌ الأَصْغَر ٣- عَوْن

٧) السَّيِّدَةُ أُمامَةُ بِنْتُ أَبِي العاصِ بنِ الرَّبِيعِ القُرَشِيَّة ، بِنْتُ السَّيِّدَةِ زَيْنَب بِنْتِ حَضْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأَوْلادُهُ مِنْها : مُحَمَّدٌ الأَوْسَط .

٨) خَوْلَةُ بِنْتُ جَعْفَر الحَنَفِيَّة وهِيَ مِنْ حَنِيفَة ، مِنْ سَبْيِ خالِدِ بنِ الوَلِيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَيَّامَ حُرُوبِ الرِّدَّة ، وأَوْلادُهُ مِنْها :

مُحَمَّدٌ الأَكْبَرُ المُكَنَّى بِمُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّة .

٩) مُحَيَّاةُ بِنْتُ امْرِئِ القَيْسِ الكَلْبِيَّة : وَلَدَتْ لَهُ جارِيَةً وماتَتْ صَغِيرَة .

ويُلاحَظُ أَنَّ الإِمامَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ سَمَّى ثَلاثَةً مِنْ أَبْنائِهِ بِأَسْماءِ الخُلَفاءِ الثَّلاثَةِ قَبْلَهُ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ وسَيِّدِنا عُمَرَ وسَيِّدِنا عُثْمانَ ؛

تَيَمُّنًا وتَفاؤُلًا بِهِمْ رضي الله عنهم .

وذُرِّيَّةُ الإمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه مِنْ ساداتِنا الإمامِ الحَسَنِ والإمامِ الحُسَيْنِ ومُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ والعَبَّاسِ وعُمَرَ رضي الله عنهم ، وتَزَوَّجَ بَناتَ الإمامِ عَلِيٍّ عليه السلام بَنُو عَقِيلٍ وبَنُو العَبَّاسِ ما خَلا السَّيِّدَة زَيْنَب بِنْت السَّيِّدَة فاطِمَة عَلَيْها السَّلامُ فَتَزَوَّجَها سَيِّدُنا عَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَر بنِ أَبي طالِب ، وأَمَّا السَّيِّدَةُ أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ الزَّهْراء رضي الله عنها فَتَزَوَّجَها أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ سَيِّدُنا عُمَرُ بنُ الخَطّاب رضي الله عنه فَماتَ عَنْها فَتَزَوَّجَها مُحَمَّدُ بنُ جَعْفَر بنِ أَبي طالِب فَماتَ عَنْها فَتَزَوَّجَها هُبَيْرَةُ المَخْزُومِي .

يَقُولُ الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه مُتَحَدِّثًا بِنِعْمَةِ اللهِ وسابِغِ فَضْلِهِ :

مُحَمَّدٌ النَّبِيُّ أَخِي وَصِهْرِي ۞ وَحَمْزَةُ سَيِّدُ الشُّهَداءِ عَمِّي
وَجَعْفَرٌ الَّذِي يُضْحِي وَيُمْسِي ۞ يَطِيرُ مَعَ المَلائِكَةِ ابْنُ أُمِّي
وَبِنْتُ مُحَمَّدٍ سَكَنِي وَعِرْسِي ۞ مَشُوبٌ لَحْمُها بِدَمِي وَلَحْمِي
وَسِبْطَا أَحْمَدٍ وَلَدَايَ مِنْهَا ۞ فَمَنْ مِنْكُمْ لَهُ سَهْمٌ كَسَهْمِي
سَبَقْتُكُمُ إِلَى الإِسْلامِ طُرًّا ۞ صَغِيرًا مَا بَلَغْتُ أَوَانَ حُلْمِي

زَوالُ الارْتِياب

بِذِكْرِ ثَناءِ الصَّحابَةِ عَلَى القَرابَةِ والقَرابَةِ عَلَى الصَّحابَةِ بِالأَسانِيدِ اللُّباب

اعْلَمْ وَفَقَّنِي اللّهُ وإيَّاكَ لِلصَّواب ، وبَوَّأَنِي وبَوَّأَكَ الجَنَّةَ فِي دارِ الثَّواب ، وأَلْهَمَنِي وأَلْهَمَكَ السَّداد ، ويَسَّرَنِي ويَسَّرَكَ للرَّشاد : أَنَّ أَهْلَ بَيْتِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وأَصْحابَهُ رضي الله عنهم عُصْبَةٌ واحِدَةٌ ، ومَحَبَّةَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ ثابِتَةٌ راسِخَةٌ ، مُلْتَئِمِينَ مُجْتَمِعِينَ عَلَى تَعْظِيمِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وإنِ اخْتَلَفَتْ بِهِمُ المَسائِلُ وتَفاوَتَتْ بِهِمُ المَنازِلُ ، وسَنَذْكُرُ مِنْ قَوْلِ الإمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما ، وقَوْلِ الشَّيْخَيْنِ فِي عَلِيٍّ رضي الله عنه ما يَدُلُّ النَّاظِرَ عَلَى اتِّفاقِ كَلِمَتِهِمْ واجْتِماعِ نِحْلَتِهِمْ ، وأَنَّهُمْ لَمْ يُضْمِرُوا التَّباغُضَ والتَّهاجُرَ ، ولَمْ يُظْهِرُوا التَّعادِيَ والتَّشاجُرَ ، ولَمْ يَرَوا التَّبَرِّيَ والتَّعَدِّيَ ، ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى ما ابْتَدَعَهُ المُفْتَرِي عَلَيْهِمُ المُتَعَدِّي ، بَلْ كانُوا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُم أَجْمَعِينَ فِي التَّناصُرِ والتَّعاوُنِ والتَّزاوُرِ والتَّآزُرِ فِي البِرِّ والتَّقْوَى ، وإنارَةِ سُبُلِ الهُدَى ومُجانَبَةِ مَطارِحِ الرَّدَى ، فَكانُوا جَدِيرِينَ بِصُحْبَةِ النَّبِيِّ المُصْطَفَى ﷺ ، وصارُوا الأُسْوَةَ والقُدْوَةَ الَّتِي تُحْتَذَى ، ولِلْمُؤْمِنِينَ مَصابِيحَ الهُدَى .

فاعْرِفْ هَذِهِ الجُمْلَةَ يَنْفَعْكَ اللّٰهُ بِها إِنْ كُنْتَ تَأْخُذُكَ الحَمِيَّةُ فِي مَعْرِفَةِ قَدْرِ أَئِمَّةِ الدِّينِ وشُمُوسِ الإِسْلامِ ورُؤُوسِ الأَعْلامِ ، فَبِها تَزُولُ الأَوْهامُ ، ويَحِقُّ لِمَنِ اعْتَقَدَها مُوالاةُ المَلِكِ العَلَّامِ وشَفاعَةُ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلام .

ثَناءُ الصَّحابَةِ عَلَى القَرابَةِ

• فَمِمَّا رُوِيَ عَنْ سَيِّدِنا أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فِي فَضْلِ سَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ما أُسْنِدَ[1] عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قالَ : مَنْ كانَتْ لَهُ عِنْدَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَةٌ فَلْيَقُمْ ، فَقامَ رَجُلٌ فَقالَ : يا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللّٰه ، إِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَنِي ثَلاثَ حَثَياتٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَقالَ أَبو بَكْرٍ : أَرْسِلُوا إِلَى عَلِيِّ بن أَبِي طالِب ، فَأَتَى .

فَقالَ أَبو بَكْر : يا أَبا الحَسَن ، إِنَّ هَذا يَزْعُمُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَدَهُ أَنْ يَحْثِيَ لَهُ ثَلاثَ حَثَياتٍ مِنْ تَمْرٍ ، فَاحْثِها لَه ، فَحَثاها لَهُ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِب رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ، فَقالَ أَبو بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : عُدُّوها ، فَعَدُّوها ، فَوَجَدُوها فِي كُلِّ حَثْيَةٍ سِتِّينَ تَمْرَةً لا تَزِيدُ واحِدَةٌ عَلَى الأُخْرَى ، فَقالَ أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : صَدَقَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قالَ لِي ونَحْنُ خارِجانِ مِنَ الغارِ نُرِيدُ

---

(١) رَواهُ أَبو بَكْرٍ أَحْمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بن صالِح التَّمَّارُ عَنْ مُحَمَّدِ بن مُسْلِم بن وارَةَ عَنْ عَبْدِ اللّٰهِ بن رَجاء عَنْ إِسْرائِيلَ عَنْ أَبِي إِسْحاقَ عَنْ حُبْشِي بن جُنادَةَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ ، كَما فِي (مِيزانِ الاعْتِدال) للذَّهَبِي .

المَدِينَةَ : (يا أَبا بَكْر ، كَفِّي وكَفُّ عَلِيٍّ فِي العَدْلِ سَواءٌ)[1] .

وهَذا تَفْضِيلٌ عَظِيمٌ ومَحَلٌّ مِنَ الدِّينِ الشَّرِيف .

• ومِمَّا رُوِيَ أَيْضًا ما رَواهُ الشَّعْبِي ، قالَ : بَيْنَما أَبو بَكْرٍ جالِسٌ ، إِذْ طَلَعَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ مِنْ بَعِيدٍ ، فَلَمَّا رَآهُ ، قالَ أَبُو بَكْر : ((مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَقْرَبِ النَّاسِ قَرابَةً مِنْ نَبِيِّهِمْ ، وأَعْظَمِهِمْ عَنْهُ غَناءً ، وأَحْفَظِهِمْ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب))[2] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّب ، قالَ : قُلْتُ لِسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ وإِنِّي أَتَّقِيكَ ، قالَ : سَلْ عَمَّا بَدا لَكَ فَإِنَّما أَنا عَمُّكَ ، قُلْتُ : قامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ غَدِيرِ خُمّ ؟[3] ، قالَ : نَعَمْ ، قامَ فِينا بالظَّهِيرَةِ فَأَخَذَ بيَدِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ ، فَقالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاهُ ، اللهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ) ، فَقالَ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ : أَمْسَيْتَ يا ابنَ أَبِي طالِبٍ مَوْلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنَة[4] .

---

(١) تارِيخُ بَغْداد : للبَغْدادِي . (٢) الرِّياضُ النَّضِرَة : الطَّبَري .

(٣) غَدِيرُ خُمّ : هُوَ مَكانٌ عَلى بُعْد ثَلاثَة أَمْيالٍ مِنَ الجُحْفَةِ يُسْرَةً عَنِ الطَّرِيق ، وهَذا الغَدِيرُ تَصُبُّ فِيهِ عَيْنٌ وحَوْلَهُ شَجَرٌ كَثِيفٌ (مُعْجَمُ البُلْدان : ياقُوت الحَمَوي) .

(٤) فَيْضُ القَدِير : المُناوِي ، ورُوِيَ بِطَرِيقٍ آخَرَ عَنْ البَراءِ بنِ عازِب (مُصَنَّفُ ابنُ أَبِي شَيْبَة) .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رَوَى مَعْقَلُ بنُ يَسار ، قالَ : سَمِعْتُ أَبا بَكْرٍ يَقُولُ : (عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ عِتْرَةُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ)[1] .

• ورُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ أَنَّهُ قالَ :

(إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ ، ما إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِما لَنْ تَضِلُّوا ، كِتابَ اللّٰهِ وعِتْرَتِي)[2] .

وفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَعْظِيمِ العِتْرَةِ الطَّاهِرَة ، وأَحَقُّ مَنْ تُمُسِّكَ بِهِ مِنَ العِتْرَةِ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ فِي فَضْلِهِ وعِلْمِهِ وإِحاطَتِهِ بالنُّصُوصِ ومُسْتَنْبَطاتِها ، ورَفِيعِ قَدْرِهِ وعُلُوِّ دَرَجَتِه .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه أَنَّهُ قالَ :

(أَيُّها النَّاسُ ارْقُبُوا مُحَمَّدًا فِي أَهْلِ بَيْتِه)[3] .

قُلْتُ[4] : إِنَّما قَصَدَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه بِهَذا التَّعْرِيفِ حَقَّ أَهْلِ البَيْت ، وما يَجِبُ لَهُمْ مِنَ التَّعْظِيمِ والتَّوْقِيرِ والإِجْلالِ والاحْتِرام .

واعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الوَصِيَّةَ مِنَ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه مُعْظَمُها لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب

---

(١) سُنَنُ البَيْهَقِي الكُبْرَى ، ولِسانُ المِيزانِ لابنِ حَجَر .

(٢) سُنَنُ التِّرْمِذِي : عَنْ جابِر بنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه ، المُعْجَمُ الأَوْسَطُ للطَّبَرانِي : عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رضي الله عنه .

(٣) صَحِيحُ البُخارِي .

(٤) ابنُ سَيِّدِ الكُلِّ القِفْطِي (الأَنْباءُ المُسْتَطابَة فِي مَناقِبِ الصَّحابَةِ والقَرابَة) .

رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ لأَنَّهُ إِذا انْضَمَّ إِلَى ما رَواهُ الشَّعْبِي مِنَ الحَدِيثِ المُتَقَدِّمِ دَلَّ عَلَى أَنَّهُ المُراد .

• قالَ القاضِي أَبو بَكْر : وأَمَّا اسْتِشارَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ورُجُوعُهُ إِلَى رَأْيِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ؛ فَمِمَّا رَواهُ الدَّراوَرْدِي عَنِ ابنِ سَمْعانَ : أَنَّ خالِدَ بنَ الوَلِيدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَتَبَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي رَجُلٍ يُؤْتَى كَما تُؤْتَى المَرْأَةُ ، فَدَعا أَبو بَكْرٍ المُهاجِرِينَ والأَنْصارَ وشاوَرَهُمْ فِي ذَلِكَ ، فَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((إِنَّ العَرَبَ لا تَجْزَعُ مِنْ شَيْءٍ كَما تَجْزَعُ مِنَ التَّمْثِيل ، أَرَى أَنْ تُحَرِّقَهُ)) ، فَأَخَذَ بِرَأْيِهِ وأَمَرَ بِهِ فَحُرِّقَ حَتَّى عُيِّرَ بَنُوهُ بِذَلِكَ بَعْدَهُ ، قالَ الشَّاعِرُ :

وَمَا حَرَّقَ الصِّدِّيقُ جَدِّي وَلا أَبِي ۞ إِذَا الْمَرْءُ أَلْهاهُ الْخَنَا عَنْ حَلائِلِه[1]

• ومِمَّا رُوِيَ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي فَضْلِ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب وفِي أَهْلِ البَيْتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ مِمَّا خَرَّجَهُ الدَّارَقُطْنِي بِسَنَدِهِ عَنْ عُرْوَةَ بنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقَعُ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقالَ عُمَرُ : ((وَيْحَكَ ، أَتَعْرِفُ عَلِيًّا ؟ هَذا ابنُ عَمِّهِ ، وأَشارَ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، واللهِ ما آذَيْتَ إِلَّا هَذا فِي قَبْرِه))[2] .

---

(١) نَصْبُ الرَّايَة لأَحادِيثِ الهِدايَة : جَمالُ الدِّينِ الزَّيْلَعِي .
(٢) كَنْزُ العُمَّال : المُتَّقِي الهِنْدِي ، وفَيْضُ القَدِير : المُناوِي .

• ورُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ كانَ يَقُولُ : ((أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ فِيها أَبو حَسَنٍ))[1] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بنِ المُسَيِّبِ ، قالَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((تَحَبَّبُوا إلَى الأَشْرافِ ، واتَّقُوا عَلَى أَعْراضِهِمْ مِنَ السَّفَلَةِ ، واعْلَمُوا أَنَّهُ لا يَتِمُّ شَرَفٌ إلَّا بوِلايَةِ عَلِيٍّ))[2] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ عُبَيْدِ بنِ رِفاعَةَ عَنْ أَبِيهِ ، قالَ : جَلَسَ إلَى عُمَرَ عَلِيٌّ والزُّبَيْرُ وسَعْدٌ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَذاكَرُوا العَزْلَ ، فَقالُوا : لا نَأْمُرُ بِهِ ، فَقالَ عُمَرُ : ((إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ المَوْؤُدَةُ الصُّغْرَى)) ، فَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((لا تَكُونُ مَوْؤُدَةً حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْها التَّاراتُ السَّبْعُ حَتَّى تَكُونَ سُلالَةً مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ تَكُونَ نُطْفَةً ، ثُمَّ تَكُونَ عَلَقَةً ، ثُمَّ تَكُونَ مُضْغَةً ، ثُمَّ تَكُونَ عَظْمًا ثُمَّ تَكُونَ لَحْمًا ، ثُمَّ تَكُونَ خَلْقًا آخَرَ)) ، قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((صَدَقْتَ أَطالَ اللهُ بَقاءَكَ))[3] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ جابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ : كانَ لأَهْلِ بَدْرٍ مَجْلِسٌ مَعَ عُمَرَ لا يَجْلِسُهُ غَيْرُهُمْ ، فَكانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَوَّلَهُمْ دُخُولًا وآخِرَهُمْ خُرُوجًا[4] .

---

(١) رَواهُ سَعِيدُ بنُ المُسَيِّبِ كَما فِي الطَّبَقاتِ الكُبْرَى لابنِ سَعْد ، وأَنْسابِ الأَشْرافِ للبلاذُرِي ، وتارِيخِ دِمَشْق لابنِ عَساكِر .

(٢) فَتْحُ البارِي : ابنُ حَجَرِ العَسْقَلانِي .

(٣) جامِعُ العُلُومِ والحِكَمِ فِي شَرْحِ خَمْسِينَ حَدِيثًا مِنْ جَوامِعِ الكَلِمِ : ابنُ رَجَبِ الحَنْبَلِي .

(٤) تارِيخُ دِمَشْقَ: ابنُ عَساكِر .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ زَيْدِ بنِ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ ، قالَ : قالَ عُمَرُ رضي الله عنه للزُّبَيْر : ((انْطَلِقْ بِنا نَعُودُ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ)) ، فَكَأَنَّ الزُّبَيْرَ تَلَكَّأَ ، فَقالَ عُمَرُ رضي الله عنه : ((أَما عَلِمْتَ أَنَّ عِيادَةَ بَنِي هاشِمٍ فَرِيضَةٌ ، وزِيارَتَهُمْ نافِلَةٌ))[1] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ قَصَدَ عَلِيًّا فِي بُسْتانٍ لَهُ فِي جَماعَةٍ مِنَ الصَّحابَةِ لِزِيارَتِهِ والحَدِيثِ مَعَهُ ، فَقالَ لَهُ عَلِيٌّ : ((يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ أَرَأَيْتَ لَوْ جاءَكَ قَوْمٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ فَقالَ لَكَ أَحَدُهُمْ : أَنا ابنُ عَمِّ مُوسَى ، أَكانَتْ لَهُ عِنْدَكَ أَثَرَةٌ عَلَى أَصْحابِهِ ؟)) قالَ عُمَرُ : ((نَعَمْ)) ، فَقالَ عَلِيٌّ : ((فَأَنا واللهِ أَخُو رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وابنُ عَمِّهِ)) ، فَنَزَعَ عُمَرُ رِداءَهُ فَبَسَطَهُ ، وقالَ : ((واللهِ لا يَكُونُ لَكَ مَجْلِسٌ غَيْرُهُ حَتَّى نَفْتَرِقَ)) ، فَلَمْ يَزَلْ عَلِيٌّ جالِسًا عَلَيْهِ حَتَّى تَفَرَّقُوا رضي الله عنهم[2] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رَوَى زَيْدُ بنُ أَسْلَمَ عَنْ أَبِيهِ أَسْلَمَ ، أَنَّ عُمَرَ بنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه دَخَلَ عَلَى السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ رضي الله عنها ، فَقالَ : يا ابْنَةَ رَسُولِ اللهِ ، ما مِنَ الخَلْقِ أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنا مِنْ أَبِيكِ ، ولا أَحَدٌ أَحَبُّ إِلَيْنا مِنْكِ بَعْدَ أَبِيكِ[3] .

---

(١) عِلَلُ الحَدِيث : عَبْدُ الرَّحْمن الرَّازِي . (٢) الصَّواعِقُ المُحْرِقَة : ابنُ حَجَر .
(٣) مُصَنَّفُ ابن أَبِي شَيْبَة .

• وروَى حمَّادُ بنُ زَيْدٍ عَنْ معْمَرٍ عَنِ الزُّهْرِيِّ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كسا أَصْحابَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلَمْ يكُنْ فِيها ما يَصْلُحُ للحَسَنِ والحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، فَبَعَثَ إلَى اليَمَنِ فَأَتَى لَهُما بِكِسْوَةٍ ، فقالَ : ((الآنَ طابَتْ نَفْسِي))(١) .

• ومِنْ ذلِكَ ما رُوِيَ عَنْ يَحْيَى بنِ سَعِيدٍ الأَنْصارِيِّ عَنْ عُبَيْدِ بنِ حُنَيْنٍ ، قالَ : اسْتَأْذَنَ حُسَيْنُ بنُ عَلِيٍّ عَلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ فَجَلَسَ يَنْظُرُ فَجاءَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ يَسْتَأْذِنُ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، فَقالَ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : إنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ لا يُؤْذَنْ لِي ، فانْصَرَفَ ، قالَ : وقالَ عُمَرُ : عَلِيَّ بِحُسَيْنٍ ، قالَ : فَجِيءَ بِهِ ، قالَ : يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ اسْتَأْذَنْتُ فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي ، فَجَلَسْتُ ، فَجاءَ عَبْدُ اللهِ فاسْتَأْذَنَ فَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ، قُلْتُ : إنْ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ لا يُؤْذَنْ لِي ، قالَ عُمَرُ : ((أَنْتَ أَحَقُّ بالإِذْنِ مِنْهُ ، وهَلْ أَنْبَتَ الشَّعْرَ فِي الرَّأْسِ بَعْدَ اللهِ إلَّا أَنْتُمْ))(٢) .

• ومِنْ ذلِكَ ما رَوَى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ : قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ويُحِبُّهُ اللهُ ورَسُولُهُ ويَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ) ، قالَ عُمَرُ : ما تَمَنَّيْتُ الإمارَةَ إلَّا يَوْمَئِذٍ ، قالَ : فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ تَطاوَلْتُ لَها فَأَعْطاها عَلِيًّا

---

(١) سِيَرُ أَعْلامِ النُّبَلاءِ : الذَّهَبِي ، وتارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر .
(٢) عِلَلُ الدَّارَقُطْنِي .

وقالَ لَهُ : (لا تَلْتَفِتْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَيْكَ)[1] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رَوَى جابِرُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه عَنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه قالَ : قالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : (ابْنايَ هَذانِ سَيِّدَا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ ، وأَبُوهُما خَيْرٌ مِنْهُما)[2] .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ جابِرٍ رضي الله عنه ، قالَ عُمَرُ رضي الله عنه :

((لأَصْحابِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ثَمانِيَ عَشْرَةَ خَصْلَةً خُصَّ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ مِنْها بِثَلاثَةَ عَشَرَ ، وشارَكَنا فِي الخَمْسِ))[3] .

• ومِمَّا ذَكَرَهُ القاضِي أَبو بَكْرِ بنُ الطَّيِّبِ[4] مِنْ أَقْوالِ سَيِّدِنا عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه فِي فَضائِلِ الإِمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رضي الله عنه :

فَمِنْ ذَلِكَ ما رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَوْلُهُ المَشْهُور :

((لَوْلا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ)) [5] .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُعْضِلَةٍ لَيْسَ لَها أَبو حَسَنٍ)) .

ومِنْها قَوْلُهُ : ((أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَعِيشَ فِي قَوْمٍ لَيْسَ فِيهِمْ أَبو حَسَنٍ))[6] .

---

(١) السُّنَّة : ابنُ أَبِي عاصِم ، والمُعْجَمُ الكَبِيرُ : الطَّبَرانِي ، وتارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر .

(٢) مِيزانُ الاعْتِدال : الذَّهَبِي . (٣) المَناقِب : المُوَفَّق الخوارِزْمِي .

(٤) هُوَ القاضِي : أَحْمَدُ بنُ الطَّيِّب الأَشْعَرِيُّ المُتَكَلِّمُ البَغْدادِي .

(٥) مُسْنَدُ زَيْدِ بنِ عَلِيّ .

(٦) سُبُلُ السَّلام : ابنُ حَجَر ، وتارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر ، وجَواهِرُ المَطالِب : الباعُونِي .

ولا يَسْتَعِيذُ مِثْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقَدْ ضَرَبَ اللهُ بالحَقِّ عَلَى لِسانِهِ وقَلْبِهِ مِنَ البَقاءِ فِي قَوْمٍ لَيْسَ فِيهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلَّا لِعَظِيمِ مَنْزِلَتِهِ فِي العِلْمِ ورُسُوخِهِ فِيه ، وإنَّ غَيْرَهُ مِنْ أَصْحابِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يَقُومُ لَهُ مَقامَهُ فِي الرُّجُوعِ إلَيْهِ فِيما أَشْكَلَ مِنَ المَسائِلِ وأَعْضَلَ .

• ومِنْها أَنَّ سَيِّدَنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا تَزَوَّجَ السَّيِّدَةَ أُمَّ كُلْثُوم بِنْتَ سَيِّدِنا عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، قالَ عَلَى المِنْبَر : أَيُّها النَّاسُ لَقَدْ كُنْتُ يَوْمِي هَذا غَنِيًّا عَنِ الباءَة ، وقَدْ وَضَعْتُ نَفْسِي وَسَطَ قُرَيْش ، وما حَمَلَنِي عَلَى هَذا إلَّا أَنَّنِي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ :
(يَنْقَطِعُ كُلُّ سَبَب ونَسَب إلَّا سَبَبِي ونَسَبِي) ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وبَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَسَبٌ أَوْ سَبَبٌ[1] .

• ومِنْها قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي تَفْضِيلِ عَلِيٍّ ووَلَدِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (كُلُّ بَنِي أُنْثَى فَإنَّ عَصَبَتَهُمْ لأَبِيهِمْ ، ما خَلا وَلَدَ فاطِمَةَ فَأَنا عَصَبَتُهُمْ ، وأَنا أَبُوهُمْ)[2] .

• ومِنْها ما رَوَى عَبْدُ اللهِ بنُ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قالَ : قالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (عَلِيٌّ أَقْضانا وأُبَيٌّ أَقْرَؤُنا)[3] .

---

(١) سُنَنُ البَيْهَقِي الكُبْرَى ، والمُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْن : الحاكِم ، والذُّرِّيَّةُ الطَّاهِرَةُ النَّبَوِيَّة : الدُّولابي .
(٢) المُعْجَمُ الكَبِيرُ : الطَّبَرانِي ، وفَيْضُ القَدِير : المُناوِي .
(٣) الطَّبَقاتُ الكُبْرَى : ابنُ سَعْد ، وعِلَلُ الدَّارَقُطْنِي .

• ومِنْها ما رُوِيَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَسَّمَ مالاً فَأَعْطَى الحَسَنَ والحُسَيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وأَعْطَى وَلَدَهُ عَبْدَ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دُونَ عَطاياهُما ، فَقالَ عَبْدُ اللهِ : يا أَبَتِ مالَكَ قَصَّرْتَ بِي عَنِ الحَسَنِ والحُسَيْنِ ، فَقالَ عُمَرُ : ((يا بُنَيَّ حَتَّى يَكُونَ لَكَ أَبٌ كَأَبِيهِما وأُمٌّ كَأُمِّهِما وجَدٌّ كَجَدِّهِما))[١] .

• وكَذَلِكَ ما رُوِيَ فِي كِتاب (بَهْجَة الأَسْرار ولَوامِع الأَبْصار) للقاسِمِ ابنِ مُحَمَّد المَنْصُورِي ؛ قالَ : جاءَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ يَسْتَعْدِي عَلَى عَلِيٍّ ، فَقالَ عُمَرُ : ((إِنَّ للهِ فِي أَرْضِهِ عُيُونًا ، وإِنَّ عَلِيًّا مِنْ عُيُونِ اللهِ فِي أَرْضِهِ))[٢] .

وبَعْدُ : فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ فِعْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقَوْلِهِ ومَعْرِفَتِهِ بِحَقِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَّا ما رُوِيَ لَكَفَى .

وللهِ دَرُّ السَّيِّد أَبِي الهُدَى الصَّيَّادِي فِي شَدْوِهِ :

بِنَـاءُ الدِّيـنِ قَـامَ بِصَحْـبِ طَه ۞ وَحُـبُّ بَنِـيهِ طَـوْقٌ فِي الرِّقَـاب

سَحَابُ الْفَضْلِ قَدْ هَمَعَتْ عَلَيْهِمْ ۞ وَحَسْبُكَ فَضْلُ رَبِّكَ مِنْ سَحَاب

واللهَ نَسْأَلُ أَنْ يَهْدِيَنَا سُبُلَ الصَّحابَةِ سُفُنِ النَّجاةِ والهُدَى والرَّشاد .

رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الْمَعِيشَةِ سُؤْلِي ۞ وَارْضَ عَنِّي بِحَـقِّ آلِ الرَّسُولِ

وَاسْقِـنْي شَـرْبَـةً بِكَـفِّ عَلِـيٍّ ۞ سَـيِّدِ الأَوْصِـيَا وَزَوْجِ الْبَتُـولِ

---

(١) تارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر .

(٢) نَوادِرُ الأُصُول : التِّرمِذي .

ثَناءُ القَرابَةِ عَلى الصَّحابَة

نَذْكُرُ مِنْ ذَلِكَ قَوْلَ الإِمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، وقَوْلَ وَلَدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ الَّذينَ قالَ اللّهُ فِيهِمْ : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١] .

• فَمِنْ ذَلِكَ : ما أَسْنَدَهُ الإِمامُ عَلِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ ، قالَ : ((ما ماتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتَّى عَرَّفَنا أَنَّ أَفْضَلَنا بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وما ماتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتَّى عَرَّفَنا أَنَّ أَفْضَلَنا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ عُمَرُ ، وما ماتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتَّى عَرَّفَنا أَنَّ أَفْضَلَنا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رَجُلٌ آخَرُ لَمْ يُسَمِّهِ))[٢] .

قالَ صاحِبُ كِتابِ الحُجَّةِ[٣] (بَعْدَ ما ذَكَرَ إِسْنادَهُ) : تَأَمَّلْ سَنَدَ هَذا الحَدِيثِ ، فَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الأَسانِيدِ وأَفْضَلِها ؛ لِشُهْرَةِ رِجالِهِ وإِتْقانِهِمْ وضَبْطِهِمْ ومَوْضِعِهِمْ مِنَ الحِفْظِ وشُهْرَتِهِمْ بِالعَدالَةِ .

• ومِنْ ذَلِكَ ما رَواهُ الدَّارَقُطْنِي ، قالَ : حَدَّثَنا عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدِ بنِ كاسٍ النَّجَفِي ، قالَ حَدَّثَنا يَعْقُوبُ بنُ أَيُّوبَ ، قالَ : حَدَّثَنا مُحَمَّدُ

---

(١) سُورَةُ الأَحْزابِ : مِنَ الآيَةِ ٣٣ .

(٢) السُّنَّة : ابنُ أَبِي عاصِم ، وسُبُلُ الهُدَى والرَّشاد فِي سِيرَةِ خَيْرِ العِباد : مُحَمَّدُ بنُ يُوسُف الصَّالِحِي الشَّامِي ، وتارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر .

(٣) الحُجَّة : إِسْماعِيلُ بنُ مُحَمَّد الأَصْبَهانِي (ت : ٥٣٥ هـ) .

ابنُ بِشْرٍ الحَرِيرِي قالَ : حَدَّثَنا مُوسَى بنُ مُطَيْرٍ عَنْ صَعْصَعَةَ بنِ صَوْحانَ : قالَ : دَخَلْنا عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه حِينَ ضَرَبَهُ ابنُ مُلْجَم ، فَقُلْنا : يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ اسْتَخْلِفْ عَلَيْنا ، فَقالَ : لا ، ولَكِنْ أَتْرُكُكُمْ كَما تَرَكَنا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم ؛ قُلْنا يا رَسُولَ اللهِ اسْتَخْلِفْ عَلَيْنا ، قالَ صلى الله عليه وسلم : خَيْرًا (إِنْ يَعْلَمِ اللهُ فِيكُمْ خَيْرًا يُوَلِّ عَلَيْكُمْ خِيارَكُمْ) ، قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((فَعَلِمَ اللهُ فِينا خَيْرًا فَوَلَّى عَلَيْنا أَبا بَكْرٍ رضي الله عنه))[1] .

قُلْتُ[2] : فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ التَّوْلِيَةَ إِنَّما يَسْتَحِقُّها مَنْ هُوَ خَيْرُ الجَماعَة ، وفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَبا بَكْرٍ رضي الله عنه خَيْرُهُمْ ، وفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الخِلافَةَ انْعَقَدَتْ لَهُ بالاخْتِيار ، وفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم إِنَّما تَرَكَ النَّصَّ عَلَى الخَلِيفَةِ لأَنَّ اللهَ تَعالَى أَطْلَعَهُ عَلَى ما سَيَقَعُ ، وأَنَّهُ لا يَكُونُ إِلاَّ عَلَى الوَجْهِ الأَفْضَل ؛ فَأَرادَ صلى الله عليه وسلم أَنْ لا يَحْرِمَ أُمَّتَهُ ثَوابَ الاجْتِهادِ مَعَ عِلْمِهِ بِحَقِيقَةِ الحالِ فِيهِ ، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم : (يَأْبَى اللهُ والمُسْلِمُونَ إِلاَّ أَبا بَكْرٍ) ، بَعْدَما قالَ : (ائْتُونِي بِدَواةٍ أَكْتُبْ لأَبِي بَكْرٍ كِتابًا لا يُخْتَلَفُ عَلَيْهِ بَعْدِي)[3] .

---

(١) السُّنَّة : ابنُ أَبِي عاصِم ، وتارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر .
(٢) ابنُ سَيِّدِ الكُلِّ القِفْطِي صاحِبُ كِتاب (الأَنْباءُ المُسْتَطابَة فِي مَناقِبِ الصَّحابَة والقَرابَة) .
(٣) تارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر .

وبذَلِكَ يَتَّضِحُ أَنَّ الأَخْبارَ المَوْقُوفَةَ عَلَى الإمام عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي خَيْرِيَّةِ أَبي بَكْرٍ رضي الله عنه وتفضِيلِهِ كَثِيرَةٌ ؛ فَمِنْها ما رُوِيَ عَنْ أَصْحابِ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم الَّذينَ أَمَرَنا رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم بالاقْتِداءِ بِهِمْ ووَصَفَهُمْ صلى الله عليه وسلم بِأَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُونِ وأَمَرَنا عِنْدَ اضْطِرابِ الآراءِ وتَشَتُّتِ الأَهْواءِ أَنْ نَتَمَسَّكَ بما كانُوا عَلَيْهِ ؛ فَقَدْ سُئِلَ صلى الله عليه وسلم حِينَ ذَكَرَ أَنَّهُ : (فِي آخِرِ الزَّمانِ يَكُونُ دُعاةٌ عَلَى أَبْوابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجابَهُمْ قَذَفُوهُ فِيها) ، قالُوا : ما نَأْخُذُ يا رَسُولَ اللّٰه ؟ قالَ : (عَلَيْكَ بِالجَماعَةِ) قالُوا : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ جَماعَةٌ ، قالَ صلى الله عليه وسلم : (ما أَنا عَلَيْهِ وأَصْحابِي)[1] .

فالصَّحابَةُ كُلُّهُمْ عُدُولٌ بِتَزْكِيَةِ رَسُولِ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم وثَناءِ اللّٰهِ عَزَّ وجَلَّ .

ومِنْ هَذِهِ الأَخْبارِ ما رَواهُ عَنْهُ أَهْلُ بَيْتِهِ ووَلَدُهُ الَّذينَ هُمُ العِتْرَةُ الطَّاهِرَةُ الَّذينَ أَذْهَبَ اللّٰهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّهِمْ صلى الله عليه وسلم بِذَلِكَ يَوْمَ جَمَعَهُمْ فِي العَباءِ ، وقالَ : (اللهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا) ؛ فَناهِيكَ بِرِوايَةِ هَؤُلاءِ صِحَّةً ، والاعْتِمادِ عَلَيْها حُجَّةً .

• ومِنْها ما رَوَى عَنْهُ أَصْحابُهُ وأَتْباعُهُ وهُمْ جِلَّةُ التَّابِعِينَ وأَهْلُ القَرْنِ الثَّانِي الَّذينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم بِالفَضْلِ عَلَى مَنْ

---

(١) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

بَعْدَهُمْ بِقَوْلِهِ ﷺ : (خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ يَأْتِي قَوْمٌ يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ ويُؤْتَمَنُونَ فَيَخُونُونَ)[1] .

قُلْتُ[2] : فَضَّلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الصَّحابَةَ ، ثُمَّ ذَكَرَ فَضِيلَةَ القَرْنِ الثَّانِي بَعْدَهُمْ ، واقْتَصَرَ فِي ظُهُورِ الفَسادِ بَعْدَهُمْ عَلَى شَهادَةِ الزُّورِ والخِيانَةِ فِي الأَمانَةِ ؛ فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى طَهارَةِ مَنْ قَبْلَهُمْ عَنْ هَذا الدَّنَس ، فَكانُوا أَحَقَّ مَنْ يُعْتَمَدُ عَلَى قَوْلِهِ فِي الرِّوايَةِ والشَّهادَةِ لِثُبُوتِ عَدالَتِهِمْ ، وقَدْ شَهِدُوا عَلَى الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه بِأَنَّهُ نَطَقَ بِأَنَّ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما خَيْرَا هَذِهِ الأُمَّة ، وما نَرْوِيهِ عَنْهُمْ مَحْذُوفُ الإِسْنادِ لِئَلَّا يَطُولَ الكِتابُ فَيَقَعَ المَلامُ مِنْ كَثْرَةِ الإِطْناب ، وأَحَلْنا ذَلِكَ عَلَى أَئِمَّةِ الحَدِيثِ الَّذِينَ كَفَلُوا ذَلِكَ وحَمَلُوا عَنِ الأُمَّةِ مَؤُونَتَهُ :

• فَمِمَّا رَواهُ الصَّحابَةُ رضي الله عنهم عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه مِنْ ذَلِكَ ، حَدِيثُ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قالَ : قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها ؟ قُلْنا : بَلَى ، قالَ : أَبو بَكْر ، قالَ : أَلا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها وبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ ؟ قُلْنا : بَلَى ، قالَ : عُمَرُ ، ولَوْ شِئْتُ أَخْبَرْتُكُمْ بِالثَّالِث))[3] .

---

(١) الشَّرْحُ الكَبِير : عَبْدُ الرَّحمن بنُ قُدامَة . (٢) ابنُ سَيِّدِ الكُلِّ القِفْطِي .
(٣) مُسْنَدُ الإِمام أَحْمَد بن حَنْبَل .

رَوَى هَذا عَنِ الإمام عَلِيٍّ أَبو مُوسَى عَبْدُ اللّهِ بنُ قَيْسٍ الأَشْعَرِي (مِنَ المُهاجِرِينَ ، ثَبَتَتْ لَهُ الهِجْرَتان : هِجْرَةُ الحَبَشَة ، وهِجْرَةٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ) .

• ومِنْهُمْ أَبو الطُّفَيْلِ عامِرُ بنُ واثِلَةَ الكِنانِي ، قالَ : قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها صِدِّيقُها أَبو بَكْرٍ ، وخَيْرُها بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ فارُوقُها عُمَرُ))(١) .

• ومِنْهُمْ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ ، قالَ : قالَ لِي عَلِيٌّ : ((يا أَبا سَعِيد ، رَحِمَ اللّهُ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ ، أَما واللّهِ إِنَّهُما خَيْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها ﷺ))(٢) .

• ومِنْهُمْ عَمَّارُ بنُ ياسِر رضي الله عنه ، قالَ : ((مَنْ فَضَّلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ أَحَدًا مِنْ أَصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ أَزْرَى بِالمُهاجِرِينَ والأَنْصار ، وطَعَنَ عَلَى أَصْحابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ))(٣) .

وقالَ : قالَ عَلِيٌّ : ((لا يُفَضِّلُنِي أَحَدٌ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ إِلَّا وقَدْ أَنْكَرَ حَقِّي وحَقَّ النَّبِيِّ ﷺ))(٤) .

---

(١) أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِي . (٢) أَخْرَجَهُ الدَّارَقُطْنِي .
(٣) المُعْجَمُ الأَوْسَط : الطَّبَراني ، وتَهْذِيبُ الكَمال : المَزِّي ، وسِيَر أَعْلام النُّبَلاء : الذَّهَبِي .
(٤) تارِيخُ دِمَشْق : ابنُ عَساكِر ، وكَنْزُ العُمَّال : المُتَّقِي الهِنْدِي .

وهَذا الخَبَرُ مِنْ قَوْلِ عَمَّارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شاهِدٌ بِأَنَّ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَفْضَلُ الأُمَّة ، وهَذا رَأْيُ السَّلَف ، واسْتَشْهَدَ عَمَّارٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِهِ بِقَوْلِ الإمامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِذْ كانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مِنْ ساداتِ المُهاجِرِينَ ، وأَفاضِلِ السَّلَفِ الماضِينَ ، وإذا كانَ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ أَفْضَلَ هَذِهِ الأُمَّةِ ، فَمَنْ نَسَبَ إِلَيْهِما أَوْ إِلَى أَحَدِهِما الكُفْرَ أَوِ الفِسْقَ أَوِ الكَذِبَ أَوِ الغَصْبَ كَما تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ فَقَدْ بَرِئَ مِنْ خَيْرِ قُرونِ هَذِهِ الأُمَّة ، فَهَذا رَأْيُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحابَةِ والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسان ، الَّذينَ شَهِدَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُمْ خَيْرُ القُرُون ، فَلا يَأْتِي أَحَدٌ بَعْدَهُمْ بِما يُخالِفُ آراءَهُمْ إِلَّا كانَ ذَلِكَ بِدْعَةً مَرْدُودَةً عَلَيْه .

• ومِنْهُمْ أَبو جُحَيْفَةَ وَهْبُ بنُ عَبْدِ الله ، قالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقُلْتُ : ما خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَقالَ : ((مَهْلًا يا أَبا جُحَيْفَة ، أَلا أُخْبِرُكَ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ ، وَيْحَكَ يا أَبا جُحَيْفَة ، لا يَجْتَمِعُ حُبِّي وبُغْضُ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ فِي قَلْبِ مُؤْمِنٍ))[1] .

• وفِيما رَواهُ الدَّارَقُطْنِي ، قالَ : حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ هارُونَ بنِ عَبْدِ

(١) مُسْنَدُ الإمامِ أَحْمَدَ بنِ حَنْبَل ، والمُعْجَمُ الأَوْسَط : الطَّبَرانِي ، ومَجْمَعُ الزَّوائِد : الهَيْثَمِي .

اللّٰهِ الحَضْرَمِي ثَنَّا أُبَيٌّ أبو هِشام بنُ خَوْشَب ، ثَنَّا عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بنُ عَبْدِ رَبِّهِ اليَشْكُرِي ، قالَ : سَمِعْتُ أَبا حَنِيفَةَ ، قالَ : قَدِمْتُ المَدِينَةَ فَأَتَيْتُ أَبا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ الباقِرَ بنَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ رضي الله عنهم ، فَقالَ : يا أَخا العِراقِ لا تَجْلِسْ إِلَيْنا فَإِنَّكُمْ قَدْ نُهِيتُمْ عَنِ الجُلُوسِ إِلَيْنا ، قالَ : فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ ، فَقُلْتُ : أَصْلَحَكَ اللّٰهُ ما تَقُولُ فِي أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ ؟ قالَ : رَحِمَ اللّٰهُ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ ، قُلْتُ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ عِنْدَنا بِالعِراقِ أَنَّكَ تَتَبَرَّأُ مِنْهُما ، قالَ : مَعاذَ اللّٰهِ ، كَذَبُوا ورَبِّ الكَعْبَةِ أَوَ لَسْتَ تَعلَمُ أَنَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه زَوَّجَ ابْنَتَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ - مِنْ فاطِمَةَ رضي الله عنها - مِنْ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب ؟

وهَلْ تَدْرِي مَنْ جَدَّتُها ؟ خَدِيجَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهْلِ الجَنَّة ، وجَدُّها رَسُولُ اللّٰهِ صلى الله عليه وسلم خاتَمُ النَّبِيِّينَ وسَيِّدُ المُرْسَلِينَ ، ورَسُولُ رَبِّ العالَمِينَ ، وأُمُّها فاطِمَةُ سَيِّدَةُ نِساءِ العالَمِينَ ، وأَخُوها الحَسَنُ والحُسَيْنُ سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّة ، وأَبُوها عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ ذُو الشَّرَفِ والمَنْقَبَةِ فِي الإِسْلام ؛ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَها أَهْلاً - يَعْنِي عُمَرَ رضي الله عنه - لَما زَوَّجَها إِيَّاه .

وبِهَذا : احْتَجَّ الباقِرُ رضي الله عنه عَلَى أَنَّ الَّذي يَصْدُرُ مِنْ أَهْلِ البَيْتِ رضي الله عنهم فِي حَقِّ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما مِنَ التَّوْقِيرِ والمُوالاةِ لَمْ يَكُنْ عَلَى جِهَةِ

التَّقِيَّةِ بِتَزْوِيجِ عَلِيٍّ رضي الله عنه عُمَرَ مِنَ السَّيِّدَةِ أُمِّ كُلْثُوم رضي الله عنها ، لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَرَهُ كُفْئًا لَها فِي الدِّينِ والحَسَبِ لَما زَوَّجَهُ إِيَّاها ، فَجَعَلَ ذَلِكَ حُجَّةً لَهُ عَلَى عُلُوِّ دَرَجَتِهِ فِي الدِّين ؛ إِذْ يَسْتَحِيلُ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه أَنْ يَبْذُلَ ابْنَتَهُ لِغَيْرِ مَنْ هُوَ كُفْءٌ لَها ، فَإِنَّهُ رضي الله عنه كانَ أَعْظَمَ مَنْزِلَةً فِي الشَّجاعَةِ ، وأَجَلَّ قَدْرًا فِي البَسالَةِ ، وأَعْلَى رُتْبَةً فِي الأَنَفَةِ مِنْ ذَلِك .

ومِنْهُمْ سُوَيْدُ بنُ غَفَلَةَ(١) ، قالَ : مَرَرْتُ بِنَفَرٍ يَتَناوَلُونَ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ ، ويَقُولُونَ فِيهِما غَيْرَ الَّذي هُما لَهُ أَهْلٌ ، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا ، فَقُلْتُ : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ إِنِّي مَرَرْتُ بِنَفَرٍ يَتَناوَلُونَ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ ، ويَقُولُونَ فِيهِما غَيْرَ الَّذي هُما لَهُ مِنَ الأُمَّةِ أَهْلٌ ، ولَوْلا أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّكَ تُضْمِرُ لَهُما مِثْلَ ذَلِكَ ما اجْتَرَؤُوا عَلَى ذَلِكَ فَقالَ عَلِيٌّ : أَعُوذُ بِاللهِ ! رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِما ، ثُمَّ نَهَضَ دامِعَةً عَيْناهُ يَبْكِي وأَخَذَ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي المَسْجِدَ ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ فَقَعَدَ عَلَيْهِ قابِضًا أَوْ واضِعًا يَدَهُ عَلَى لِحْيَتِهِ ، فَخَطَبَ خُطْبَةً مُوجَزَةً بَلِيغَةً ، فَقالَ : «ما بالُ أَقْوامٍ يَذْكُرُونَ سَيِّدَي قُرَيْشٍ وأَبَوَي المُسْلِمِينَ بِما أَنا مِنْهُ بَرِيءٌ وعَنْهُ مُتَنَزِّهٌ وعَلَى ما يَقُولُونَ مُعاقِبٌ ، أَما والَّذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ لا يُحِبُّهُما إِلَّا مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ ، ولا يُبْغِضُهُما

---

(١) هُوَ سُوَيْدُ بنُ غَفَلَةَ أَبُو أُمَيَّةَ الجُعْفِيُّ الكُوفِيُّ ، عاشَ ١٢٨ سَنَةً ، وتُوُفِّيَ سَنَةَ ٨٠ هـ ، كَما فِي التَّارِيخِ الكَبِيرِ لِلبُخارِي ، والكُنَى والأَسْماء لِمُسْلِم ، والمُقْتَنَى فِي سَرْدِ الكُنَى لِلذَّهَبِي .

إِلَّا فاجِرٌ رَدِيٌّ ، صاحِبا رَسُولِ اللهِ ﷺ ووَزِيراهُ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِما ، صَحِبا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الصِّدْقِ والوَفاءِ يَأْمُرانِ ويَنْهَيانِ ، ولا يُجاوِزانِ فِيما يَصْنَعانِ رَأْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، لا يَرَى مِثْلَ رَأْيِهِما رَأْيًا ، ولا يُحِبُّ كَحُبِّهِما حُبًّا ، مَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ وهُوَ عَنْهُما راضٍ ، ومَضَيا والمُؤْمِنُونَ عَنْهُما راضُونَ ، أَمَّرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى صَلاةِ المُؤْمِنِينَ ، فَصَلَّى بِهِمْ تِسْعَةَ أَيَّام عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ ، وَلَّاهُ المُؤْمِنُونَ ذَلِكَ عَلَى ما وَلَّاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنَ الصَّلاةِ ، وأَعْطَوْهُ البَيْعَةَ طائِعِينَ غَيْرَ مُكْرَهِينَ ، أَنا أَوَّلُ مَنْ سَنَّ لَهُ ذَلِكَ مِنْ وَلَدِ عَبْدِ المُطَّلِب وهُوَ لِذَلِكَ كارِهٌ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ أَحَدًا مِنَّا كَفاهُ ذَلِكَ ، فَكانَ واللهِ خَيْرَ مَنْ بَقِيَ ، أَرْحَمَهُ رَحْمَةً وأَرْأَفَهُ رَأْفَةً وأَبْيَنَهُ وَرَعًا وأَقْدَمَهُ سِنًّا وإِسْلامًا ، شَبَّهَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمِيكائِيلَ رَأْفَةً ورَحْمَةً ، وبِإِبْراهِيمَ حِلْمًا ووَقارًا ، فَسارَ فِينا بِسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى قُبِضَ عَلَى ذَلِكَ ، ثُمَّ وَلِيَ عُمَرُ مِنْ بَعْدِهِ فاسْتَشارَ المُسْلِمِينَ ، فَمِنْهُمْ مَنْ رَضِيَ ومِنْهُمْ مَنْ كَرِهَ ، فَأَقامَ الأَمْرَ عَلَى مِنْهاجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وصاحِبِهِ يَتَّبِعُ آثارَهُما كاتِّباعِ الفَصِيلِ بِأَثَرِ أُمِّهِ ، وكانَ واللهِ رَفِيقًا بِالضُّعَفاءِ مِنَ المُؤْمِنِينَ ، وعَوْنًا وناصِرًا للمَظْلُومِينَ عَلَى الظَّالِمِينَ ،

ولا يَخافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لائِم ، ضَرَبَ اللهُ بالحَقِّ عَلَى لِسانِهِ ، وجَعَلَ الصِّدْقَ مِنْ شَأْنِهِ ، حَتَّى كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ مَلَكًا يَنْطِقُ عَلَى لِسانِهِ ، أَعَزَّ اللهُ بِإِسْلامِهِ الإِسْلامَ ، وجَعَلَ هِجْرَتَهُ للدِّينِ قَوامًا ، وأَلْقَى فِي قُلُوبِ المُنافِقِينَ لَهُ الرَّهْبَةَ ، وفِي قُلُوبِ المُؤْمِنينَ لَهُ المَحَبَّةَ ، فَظًّا غَلِيظًا عَلَى الأَعْداءِ وحَنْقًا مُغِيظًا عَلَى الكُفَّار ، الضَّرَّاءُ عَلَى طاعَةِ اللهِ آثَرَ عِنْدَهُ مِنَ السَّرَّاءِ عَلَى مَعْصِيَةِ الله ، فَمَنْ لَكُمْ بِمِثْلِهِما ؟ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِما ، ورَزَقَنِي المُضِيَّ عَلَى سَبِيلِهِما ، فَإِنَّهُ لا يُبْلَغُ مَبْلَغُهُما إِلَّا باتِّباعِ آثارِهِما والحُبِّ لَهُما ، فَمَنْ أَحَبَّنِي فَلْيُحِبَّهُما ، ومَنْ لَمْ يُحِبَّهُما فَلَقَدْ أَبْغَضَنِي وأَنا مِنْهُ بَرِيءٌ ، أَلا فَمَنْ أُوتَى بِهِ يَقُولُ فِيهِما قَبِيحًا بَعْدَ اليَوْمِ فَعَلَيْهِ ما عَلَى المُفْتَرِي ، أَلا إِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّها ﷺ : أَبُو بَكْرِ بنُ قُحافَةَ ثُمَّ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ ، ثُمَّ اللهُ أَعْلَمُ بِالخَيْرِ حَيْثُ هُوَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذا وأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي ولَكُمْ»(١) .

• ومِنْهُمْ أَبو جَعْفَرٍ الصَّادِقُ مُحَمَّدُ الباقِرُ بنُ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ ، يَذْكُرُ عَنْ أَبِيهِ زَيْنِ العابِدِينَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ ، قالَ : قالَ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ لِعَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلاةِ الجُمُعَةِ :

---

(١) تارِيخُ واسِط : أَسْلَمُ بنُ سَهْلٍ الرَّزَّازُ الواسِطي ، والرِّياضُ النَّضِرَة : الطَّبَري .

يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ ، سَمِعْتُكَ تَخْطُبُ آنِفًا فِي الجُمُعَةِ تَقُولُ : اللهُمَّ أَصْلِحْنا بِما أَصْلَحْتَ بِهِ الخُلَفاءَ الرَّاشِدِينَ ، مَنْ هُمْ ؟

فاغْرَوْرَقَتْ عَيْناهُ ثُمَّ أَهْمَلَها ، وقالَ : ((هُما حَبِيبايَ وعَمَّاكَ أَبو بَكْرٍ وعُمَرُ إِماما الهُدَى وشَيْخا الإِسْلامِ ورَجُلا قُرَيْشٍ ، والمُقْتَدَى بِهِما ، هُما حِزْبُ اللهِ وحِزْبُ اللهِ هُمُ الغالِبُونَ))(١) .

• ومِنْهُمْ الإِمامُ جَعْفَرٌ الصَّادِقُ فِي قَوْلِهِ : ((ما أَرْجُو مِنْ شَفاعَةِ عَلِيٍّ شَيْئًا إِلَّا وأَنا أَرْجُو مِنْ شَفاعَةِ أَبِي بَكْرٍ مِثْلَهُ ، ولَقَدْ وَلَدَنِي مَرَّتَيْنِ))(٢) .

ونَخْتِمُ هَذِهِ الباقَةَ العَطِرَةَ مِنَ الواحَةِ المُزْدَهِرَةِ بِعَبَقِ العِتْرَةِ ، بِقَوْلِ الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه : ((إِذا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فَحَيَّهَلا بِعُمَرَ ، ما كُنَّا نُبْعِدُ أَنَّ السَّكِينَةَ تَنْطِقُ عَلَى لِسانِ عُمَرَ))(٣) .

والأَخْبارُ الوارِدَةُ عَنِ الإِمامِ عَلِيٍّ وعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ووَلَدِهِ رضي الله عنهم فِي تَخْيِيرِ الشَّيْخَيْنِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ رضي الله عنهما خارِجَةٌ عَنِ الحَصْرِ ، وقَدْ خَرَجَتْ عَنْ نَقْلِ الآحادِ إِلَى نَقْلِ التَّواتُرِ والاسْتِفاضَةِ الَّتِي يَحْصُلُ مَعَها العِلْمُ الضَّرُورِيُّ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ خاصَّةً وأَصْحابِ الآثارِ ، فَأَمَّا مَنْ تَرَكَ هَذِهِ البِضاعَةَ ورَفَضَ الأَخْبارَ فَلا يَحْصُلُ لَهُ هَذا العِلْمُ ، ولا يَبْعُدُ أَنْ يَتَواتَرَ

---

(١) صِفَةُ الصَّفْوَةِ : ابنُ الجَوْزِي . (٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي الأَوْسَطِ .

(٣) الرِّياضُ النَّضِرَةُ : الطَّبَرِي ، المُعْجَمُ الأَوْسَطُ : الطَّبَرانِي .

خَبَرٌ عِنْدَ قَوْمٍ ويَضْطَرُّونَ العِلْمَ بِمُخْبِرِيهِ وإِنْ لَمْ يُنْقَلْ عَلَى هَذا الوَجْهِ إِلَى غَيْرِهِمْ ، فَلا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ العِلْمِ ما حَصَلَ لأُولَئِكَ لِعَدَمِ الشَّرْطِ فِيهِمْ ، فَلا يَكُونُ عَدَمُ المَعْرِفَةِ مِنْ هَؤُلاءِ حُجَّةً عَلَى مَنْ عَرَفَ ذَلِكَ ، وهُوَ كَما أَنَّ أَهْلَ المِلَلِ يُكَذِّبُونَ المُسْلِمِينَ فِي تَواتُرِ الأَخْبارِ ، ويَقُولُونَ لَمْ يَحْصُلْ لَنا العِلْمُ بِما تَدَّعُونَ .

فَيَكُونُ **الجَوابُ** : إِنَّكُمْ لَمْ تُخالِطُوا أَهْلَ التَّواتُرِ ولَمْ تُشارِكُوهُمْ فِيما نَقَلُوا ، ولَوْ سَمِعْتُمْ كَما سَمِعُوا لَحَصَلَ لَكُمُ العِلْمُ ، فَإِنْ كَذَّبْتُمْ بَعْدَ ذَلِكَ عُلِمَ عِنادُكُمْ وكَذِبُكُمْ ، فَلَيْسَ جَهْلُ الجاهِلِ ولا عِنادُ المُعانِدِ حُجَّةً عَلَى إِبْطالِ عِلْمِ العالِمِ .

وإِنَّما نَقَلْتُ فِي كِتابِي هَذا بَعْضًا مِنْ كُلٍّ ، فَمَنْ أَرادَ تَحْصِيلَ مَرْتَبَةِ العِلْمِ بِذَلِكَ فَلْيَتَّبِعِ الآثارَ وكُتُبَ الأَخْبارِ ، ولْيُخالِطْ أَهْلَها ويُجالِسْ نَقَلَتَها ، فَلَسْنا نَدَّعِي أَنَّنا مِنْ أَهْلِ صِناعَةِ الحَدِيثِ ولا مِنْ جُلَّةِ الحُفَّاظِ ، وإِنَّما كانَ غَرَضُنا مِنْ هَذا النَّقْلِ فِي هَذا الكِتابِ تَلْقِينَ الأَحْبابِ ما يَجِبُ أَنْ يَعْتَقِدُوا فِي أَصْحابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وغَرَضُنا فِي نَقْلِ ما نَقَلْنا عَنِ الإِمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ ووَلَدِهِ وأَهْلِ البَيْتِ وأَعْلامِ التَّابِعِينَ : أَنَّ القَوْمَ مُتَحابُّونَ فِي اللهِ مُتَواصِلُونَ مُتَعاضِدُونَ عَلَى ما يُرْضِي اللهَ ؛

لأَنَّ العامَّةَ قُلُوبُهُمْ ساذَجَةٌ ، فَرُبَّما سَمِعُوا مِنْ بَعْضِ المُبْتَدِعِينَ كَلامًا يُوهِمُ بِنَقْصِ أَحَدٍ مِنْهُمْ ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَيِّنَ ما يَعْتَقِدُونَهُ مِنْ تَعْظِيمِ الصَّحابَةِ وتَوْقِيرِهِمْ ، وأَنْ لا يَتَعَرَّضُوا لِما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ؛ فَإِنَّ مَنْ ثَبَتَتْ عَدالَتُهُ وإيمانُهُ وصُحْبَتُهُ بِشَهادَةِ اللهِ لَهُ وشَهادَةِ رَسُولِهِ ﷺ حَقِيقٌ بِأَنْ يُحْسَنَ الظَّنُّ بِهِ ويُسَلَّمَ للهِ حالُهُ ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِنا وبِهِ .

والحَمْدُ للهِ عَلَى ما خَصَّنا بِهِ مِنْ مَحَبَّةِ سائِرِ الصَّحابَةِ والقَرابَةِ وأَئِمَّةِ المُسْلِمِين ، والحَمْدُ للهِ عَلَى ما خَصَّنا مِنَ اتِّباعِ السُّنَّةِ ولُزومِ الجَماعَةِ والانْتِظامِ فِي سِلْكِ مَنْ مَدَحَهُ اللهُ تَعالَى بِقَوْلِهِ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١) .

ونَحْنُ نَسْأَلُ اللهَ تَعالَى أَنْ يُثَبِّتَنا عَلَى هَذا الاعْتِقادِ حَتَّى نَلْقَى الأَحِبَّةَ مُحَمَّدًا وحِزْبَهُ ، ونَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى خِيرَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ وأَنْ يُرَضِّيَهُ عَنَّا ، ونَسْأَلُهُ تَعالَى أَنْ يَرْضَى عَلَى أَصْحابِهِ وأَزْواجِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ ، وأَنْ يُرَضِّيَهُمْ عَنَّا ، ونَسْأَلُهُ تَعالَى أَنْ يُنْجِزَ لَنا ما وَعَدَنا بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِهِ : (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ) (٢) ؛ فَقَدْ أَحْبَبْنا اللهَ ورَسُولَهُ وأَصْحابَهُ وعِتْرَتَهُ وكُلَّ مَنْ آمَنَ بِهِ واتَّبَعَهُ .

---

(١) سُورَةُ الحَشْرِ : الآيَة ١٠ .

(٢) صَحِيحُ البُخارِي ومُسْلِم .

اللهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ ونَتَوَجَّهُ إلَيْكَ ، ونَتَوَسَّلُ بأَقْرَبِ وأَكْرَمِ الخَلْقِ عَلَيْكَ أَنْ لا تُخَيِّبَنا مِنْ هَذا الأَمَلِ الشَّرِيف ، وأَنْ تُحَقِقَ لَنا هَذا الرَّجاءَ المُنِيف .

يا سَيِّدِي يا رَسُولَ اللّه

أَتَيْتُكَ بالصِّدِّيقِ أَرْجُو لِنَظْرَةٍ ۞ وَبالسَّنَدِ الْفَارُوقِ وَفِّ كَرَامَتِي

بِعُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ جِئْتُكَ سَيِّدِي ۞ بِجَاهِكَ يَا مَوْلايَ أُدْرِكُ حَاجَتِي

بِبَحْرِ عُلُومِ الْحَقِّ بَحْرِ جَنَابِكُمْ ۞ وَمَنْ هُوَ سَيْفُ اللّهِ بَحْرُ الْفُتُوَّةِ

أَبُو الْحَسَنَيْنِ الطَّاهِرَيْنِ الَّذِي سَمَا ۞ عَلِيُّ الَّذِي أَحْيَا عُلُومَ الْحَقِيقَةِ

بِحَمْزَةَ وَالْعَبَّاسِ وَالْآلِ كُلِّهِمْ ۞ بِأَنْصَارِكَ الرَّاقِينَ أَرْقَى مَكَانَةِ

بِمَنْ هَاجَرُوا للّهِ يَبْغُونَ فَضْلَهُ ۞ بِبَدْرٍ وَأُحْدٍ وَالْكِرَامِ الْأَجِلَّةِ

وَبِالطَّاهِرَاتِ الطَّيِّبَاتِ وَفَضْلِهِمْ ۞ وَمَنْ سَلَكُوا سُبْلَ الصَّفَا وَالْهِدَايَةِ

تَتِمَّةٌ فِيها فَوائِدُ مُهِمَّة

• أَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي عَنْ عَبْدِ اللّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما ، قالَ :

"لَمَّا بَرَزَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه واسْتَوَى عَلَى الرَّاحِلَةِ ، أَخَذَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه بِزِمامِها ، وقالَ : إِلَى أَيْنَ يا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللّه ؟ أَقُولُ لَكَ ما قالَ لَكَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ أُحُدٍ : شِمْ سَيْفَكَ ولا تَفْجَعْنا بِنَفْسِكَ وارْجِعْ إِلَى المَدِينَة ، فَواللّهِ لَئِنْ فُجِعْنا بِكَ لا يَكُونُ للإِسْلامِ نِظامٌ أَبَدًا" .

ولَمَّا أَلَحُّوا عَلَيْهِ فِي الرُّجُوعِ رَجَعَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنْ بَعَثَ الأُمَراءَ فِي كُلِّ ناحِيَةٍ لِقِتالِ أَهْلِ الرِّدَّة .

• وعَنْ أَبِي بَكْرٍ العَبْسِي ، قالَ : دَخَلْتُ مَعَ عُمَرَ وعُثْمانَ وعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم مَكانَ إبلِ الصَّدَقَةِ فَجَلَسَ عُثْمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي الظِّلِّ يَكْتُبُ ، وقامَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى رَأْسِهِ يُمْلِي عَلَيْهِ ما يَقُولُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وعُمَرُ قائِمٌ فِي الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ الحَرِّ عَلَيْهِ بُرْدَتانِ سَوْداوانِ مُؤْتَزِرٌ بِواحِدَةٍ وقَدْ وَضَعَ الأُخْرَى عَلَى رَأْسِهِ وهُوَ يَتَفَقَّدُ إبلَ الصَّدَقَةِ يَكْتُبُ أَلْوانَها وأَسْنانَها ، فَقالَ عَلِيٌّ لِعُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَما سَمِعْتَ قَوْلَ ابْنَةِ شُعَيْبٍ عَلَيْهِ السَّلام فِي كِتابِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ :

﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ (١) .

وأَشارَ إِلَى عُمَرَ ، وقالَ : هُوَ القَوِيُّ الأَمِين .

• وأَخْرَجَ عَبْدُ اللهِ بنُ الإمامِ أَحْمَدَ فِي زَوائِدِ المُسْنَدِ عَنْ أَنَسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ : (إِنِّي لأَرْجُو لأُمَّتِي فِي حُبِّهِمْ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ ما أَرْجُو لَهُمْ فِي قَوْلِ لا إِلَهَ إِلَّا اللّه) .

• وأَخْرَجَ أَبو ذَرٍّ الهَرَوِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قالَ :

(عُمَرُ مَعِي وأَنا مَعَ عُمَرَ والحَقُّ بَعْدِي مَعَ عُمَرَ حَيْثُ كانَ)

---

(١) سُورَةُ القَصَص : مِنَ الآيَة ٢٦ .

وهَذا مِثْلُ ما قالَ ﷺ فِي حَقِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (وأَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دارَ) .
فَكُلٌّ مِنْ عُمَرَ وعَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما كانَ مَعَ الحَقِّ ، ولِهَذا كانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَعَ الخُلَفاءِ الثَّلاثَةِ قَبْلَهُ فِي زَمَنِ خِلافَتِهِمْ ولَمْ يُنازِعْ أَحَدًا مِنْهُمْ لِعِلْمِهِ بِأَنَّهُمْ كانُوا مَعَ الحَقِّ فَكانَ هُوَ مَعَهُمْ ، فَلَمَّا جاءَتْ نَوْبَةُ خِلافَتِهِ ونُوزِعَ فِي ذَلِكَ قاتَلَ مَنْ نازَعَهُ ؛ فَلا يَصِحُّ أَنْ يُنْسَبَ إِلَيْهِ أَنَّ سُكُوتَهُ فِي زَمَنِ الخُلَفاءِ الثَّلاثَةِ كانَ تَقِيَّةً ؛ فَلَقَدْ حَماهُ اللهُ مِنَ المُحاباةِ فِي دِينِ اللهِ تَعالَى .

- وأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي عَنْ عَبْدِ اللهِ المَحْضِ بن الحَسَنِ المُثَنَّى ابنِ الحَسَنِ السِّبْطِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ المَسْحِ عَلَى الخُفَّيْنِ ، فَقالَ لِلسَّائِلِ : امْسَحْ فَقَدْ مَسَحَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقالَ لَهُ السَّائِلُ : إِنَّما أَسْأَلُكَ أَنْتَ تَمْسَحُ ؟ فَقالَ : ذَلِكَ أَعْجَزُ لَكَ ، أُخْبِرُكَ عَنْ عُمَرَ وتَسْأَلُنِي عَنْ رَأْيِي ، فَعُمَرُ خَيْرٌ مِنِّي ومِلْءِ الأَرْضِ مِثْلِي .

فَقِيلَ لَهُ : هَذِهِ تَقِيَّةٌ ، فَقالَ : ((نَحْنُ بَيْنَ القَبْرِ والمِنْبَرِ ، اللهُمَّ هَذا قَوْلِي فِي السِّرِّ والعَلانِيَةِ ، ثُمَّ قالَ : مَنْ هَذا الَّذي يَزْعُمُ أَنَّ عَلِيًّا كانَ مَقْهُورًا ، وأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُ بِأَمْرٍ فَلَمْ يُنَفِّذْهُ !! فَكَفَى بِهَذا ازْدِراءً ومَنْقَصَةً ، وحاشا عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ ذَلِك)) .

فانْظُرْ إلَى كَلامِ هَذا الإمامِ وإسْنادِهِ مَسْحَ الخُفَّيْنِ إلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، مَعَ أَنَّ المَسْحَ أَيْضًا ثابِتٌ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَما فِي صَحِيحِ البُخارِي ، فَلَمْ يُسْنِدْهُ إلَى سَيِّدِنا عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، بَلْ أَسْنَدَهُ إلَى سَيِّدِنا عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، لِيَرُدَّ عَلَى مَنْ يَزْعُمُ تَنْقِيصَهُ .

• وأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدٍ النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ ابنِ عَبْدِ اللهِ المَحْضِ أَنَّهُ قالَ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الشَّيْخَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما : «إنَّهُما عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ » .

• وأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ مُحَمَّدٍ الباقِرِ بنِ زَيْنِ العابِدِينَ بنِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : أَنَّهُ قالَ : أَجْمَعَ بَنُو فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها عَلَى أَنْ يَقُولُوا فِي الشَّيْخَيْنِ أَحْسَنَ ما يَكُونُ مِنَ القَوْلِ .

• وأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ الباقِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَنَّ رَجُلًا جاءَ إلَى أَبِيهِ زَيْنِ العابِدِينَ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، فَقالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ ؟ فَقالَ : عَنِ الصِّدِّيقِ ؟ فَقالَ : وتُسَمِّيهِ الصِّدِّيقَ ؟ فَقالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ قَدْ سَمَّاهُ صِدِّيقًا رَسُولُ اللهِ والمُهاجِرُونَ والأَنْصارُ ومَنْ لَمْ يُسَمِّهِ الصِّدِّيقَ فَلا صَدَّقَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ قَوْلَهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة ، اذْهَبْ فَأَحِبَّ أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما .

• وأَخْرَجَ أَيْضًا : أَنَّ أَبا جَعْفَرٍ مُحَمَّدًا الباقِر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سُئِلَ عَنْ حِلْيَةِ السَّيْفِ ، فَقالَ : لا بَأْسَ قَدْ حَلَّى أَبو بَكْرٍ الصِّدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَيْفَهُ ، فَقِيلَ لَهُ : وتَقُولُ الصِّدِّيق ؟

فَقالَ : نَعَم الصِّدِّيق .. نَعَم الصِّدِّيق .. نَعَم الصِّدِّيق ، فَمَنْ لَمْ يَقُلِ الصِّدِّيقَ فَلا صَدَّقَ اللهُ قَوْلَهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَة .

• وأَخْرَجَهُ ابنُ الجَوْزِي فِي صِفَةِ الصَّفْوَةِ وزادَ فِيهِ : فَوَثَبَ وَثْبَةً واسْتَقْبَلَ القِبْلَةَ وقالَ : نَعَم الصِّدِّيق ... إِلَى آخِرِ الخَبَر .

• وأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ زَيْدِ بنِ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَنَّهُ قالَ لِمَنْ يَتَبَرَّأُ مِنْهُما : واللهِ إِنَّ البَراءَةَ مِنْهُما بَراءَةٌ مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَقَدَّمَ أَوْ تَأَخَّرَ .

وزَيْدٌ هَذا كانَ إِمامًا جَلِيلًا خَرَجَ عَلَى هِشام بنِ عَبْدِ المَلِكِ ، واسْتُشْهِدَ سَنَةَ ١٢٢ هـ ، ولَمَّا أَرادَ الخُرُوجَ تابَعَهُ خَلْقٌ مِنَ الكُوفَة ، وحَضَرَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الشِّيعَة ، فَقالُوا لَهُ : ابْرَأْ مِنَ الشَّيْخَيْنِ ونَحْنُ نُبايِعُكَ ، فَأَبَى فَقالُوا : إِنَّا نَرْفُضُكَ ، فَقالَ : اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الرَّافِضَة ، فَمِنْ حِينَئِذٍ سُمُّوا الرَّافِضَة .

• وأَخْرَجَ ابنُ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّ الإِمامَ زَيْدَ بنَ عَلِيٍّ زَيْنِ العابِدِينَ بنِ الحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ قِيلَ لَهُ : إِنَّ أَبا بَكْرٍ انْتَزَعَ مِنْ فاطِمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فَدَك ،

فَقالَ : إِنَّ أَبا بَكْرٍ كانَ رَحِيمًا وكانَ يكْرَهُ أَنْ يُغيِّرَ شَيْئًا تركَهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ ، واللّٰهِ لَوْ رَجعَ الأَمْرُ إِلَيَّ لَقَضَيْتُ بِقَضاءِ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه .

• وأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي عَنْ سالِمِ بنِ أَبي حَفْصَةَ ، قالَ : سَأَلْتُ أَبا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بنَ عَلِيٍّ رضي الله عنه عَنِ الشَّيْخَيْنِ ؟ فَقالَ : يا سالِمُ تَوَلَّهُما وابْرَأْ مِنْ عَدُوِّهِما ، فَإِنَّهُما كانا إِمامَي هُدًى .

• وأَخْرَجَ عَنْهُ أَيْضًا ، قالَ : دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرٍ ، فَقالَ : اللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَوَلَّى أَبا بَكْرٍ وعُمَرَ وأُحِبُّهُما ، اللّٰهُمَّ إِنْ كانَ فِي نَفْسِي غَيْرُ هَذا فَلا نالَتْنِي شَفاعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ يَوْمَ القِيامَةِ .

• وأَخْرَجَ الدَّارَقُطْنِي أَيْضًا عَنْ أَبي جَعْفَرٍ عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بنِ الحُسَيْنِ رضي الله عنهم أَنَّهُ قالَ لِجَماعَةٍ خاضُوا فِي أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ ، ثُمَّ فِي عُثْمانَ رضي الله عنهم : أَلا تُخْبِرُونِي ؟ أَنْتُمُ المُهاجِرُونَ الأَوَّلُونَ : ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ (١) ؟

قالُوا : لا .

قالَ : فَأَنْتُم : ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ

---

(١) سُورَةُ الحَشْرِ : مِنَ الآيَةِ ٨ .

هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [1] ؟

قالُوا : لا .

قالَ : أَمَّا أَنْتُمْ فَقَدْ بَرِئْتُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي أَحَدِ هَذَيْنِ الفَرِيقَيْنِ وأَنا أَشْهَدُ أَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [2] .

• وأَخْرَجَ أَيْضًا عَنِ الفُضَيْلِ بنِ مَرْزُوقٍ ، قالَ : سَمِعْتُ الحَسَنَ المُثَنَّى ابنَ الحَسَنِ السِّبْطِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنَ الرَّافِضَةِ : واللهِ لَئِنْ أَمْكَنَنِي اللهُ مِنْكُمْ لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ ولا أَقْبَلُ مِنْكُمْ تَوْبَةً .

• وأَخْرَجَ الإمامُ مالِكٌ عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدٍ الباقِرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَقَفَ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ وَفاتِهِ وهُوَ مُسَجًّى ، فَقالَ : ((ما أَقَلَّتِ الغَبْراءُ ولا أَظَلَّتِ الخَضْراءُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ بِصَحِيفَةِ هَذا المُسَجَّى)) .

---

(١) سُورَةُ الحَشْر : الآيَة ٩ .

(٢) سُورَةُ الحَشْر : الآيَة ١٠ .

قالَ العَلَّامَةُ ابنُ حَجَرٍ فِي (الصَّواعِقِ المُحْرِقَة لإِخْوانِ الضَّلالِ والزَّنْدَقَة) : فَما الَّذي أَحْوَجَ عَلِيًّا أَنْ يَقُولَ ذَلِكَ تَقِيَّةً ؟ وما الَّذي أَحْوَجَ الباقِرَ أَنْ يَرْوِيَ ذَلِكَ لابْنِهِ جَعْفَرٍ تَقِيَّةً ؟

وما الَّذي أَحْوَجَ جَعْفَرَ أَنْ يَرْوِيَهُ لِمالِكٍ تَقِيَّةً ؟

فَكَيْفَ يَسَعُ العاقِلُ أَنْ يَتْرُكَ هَذِهِ النُّقُولَ الصَّحِيحَةَ عَنْ أَهْلِ البَيْتِ النَّبَوِيِّ ويَحْمِلَها عَلَى التَّقِيَّةِ الَّتي تُؤَدِّي إِلَى وَصْفِ الإِمامِ عَلِيٍّ رضي الله عنه بِالعَجْزِ والذُّلِّ والمُداهَنَةِ ، وكِتْمانِ الحَقِّ ؛ بَرَّأَهُ اللَّهُ وحَماهُ مِنْ ذَلِكَ ، ولَيْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مُسْتَنَدٌ صَحِيحٌ وإِنَّما هُوَ مِنْ خَيالاتِهِمْ وكَذِبِهِمْ وحُمْقِهِمْ ، وما أَحْسَنَ ما سَلَكَهُ بَعْضُ الشِّيعَةِ المُنْصِفِينَ ، فَإِنَّهُ قالَ : أُفَضِّلُ الشَّيْخَيْنِ بِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ إِيَّاهُما عَلَى نَفْسِهِ وإِلَّا لَما فَضَّلْتُهُما ؛ كَفَى بِي وِزْرًا أَنْ أُحِبَّهُ ثُمَّ أُخالِفَهُ .

• فِي حَضْرَةِ المُسْتَنْصِرِ بِاللَّه (الخَلِيفَة العَبَّاسِي ٦٢٣ - ٦٤٩) قامَ الوَجِيهُ القَيْرَوانِي يَمْدَحُهُ بِقَصِيدَةٍ يَقُولُ فِيها :

لَوْ كُنْتَ فِي يَوْمِ السَّقِيفَةِ حاضِرًا ۞ كُنْتَ المُقَدَّمَ وَالإِمَامَ الأَوْرَعا

فَقالَ لَهُ قائِلٌ بِحَضْرَتِهِ : أَخْطَأْتَ قَدْ كانَ حاضِرًا العَبَّاسُ جَدُّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، ولَمْ يَكُنِ المُقَدَّمَ إِلَّا أَبو بَكْرٍ ، فَأَقَرَّ ذَلِكَ المُسْتَنْصِرُ ،

وَخَلَعَ عَلَى قائِلِ ذَلِكَ خِلْعَةً ، وأَمَرَ بِنَفْيِ الوَجيهِ فَخَرَجَ إِلَى مِصْرَ .

الْعُـمَـرَانِ وَابْـنُ أَرْوَى وَعَـلِـي ۞ فِي الْقِمَّةِ الشَّمَّاءِ وَالْمَجْدِ الْعَلِي

والعُمَرانِ : سَيِّدُنا أَبو بَكْرٍ وسَيِّدُنا عُمَرُ رضي الله عنهما ، وابنُ أَرْوَى : سَيِّدُنا عُثْمانُ رضي الله عنه .

فَهَذا مِنْ بَعْضِ ما نُقِلَ عَنْ فَضْلِ الصَّحابَةِ ، وقَدْ ذَكَرْتُ مِنْهُ طَرَفًا ، وما قَصَدْتُ بِهِ سَرَفًا ، وإِنَّما نَبَّهْتُ بِالشَّهِيرِ عَلَى الخَفِيِّ ، وبِالقَلِيلِ الجَلِيِّ عَلَى الكَثِيرِ الخَفِيِّ ؛ لِتَكُونَ فِي سَماءِ المَعارِفِ نُجُومًا ، ولِلشَّياطِينِ المُنْكِرِينَ قَدْ أُعِدَّتْ رُجُومًا ، فَإِنَّ اللَّمْحَةَ مِنْ ذَلِكَ تُثَبِّتُ أَفْئِدَةَ ذَوِي الأَلْبابِ ، واللُّمْعَةَ مِنْهُ نُورُ كُلِّ بَصِيرَةٍ مَعْصُومَةٍ مِنَ الغِشاوَةِ والحِجابِ ، لِيَزْدادَ قُوَّةً عَلَى قُوَّةٍ يَقِينُ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الصَّحابَةَ وتابِعِيهِمْ بِإِحْسانٍ راضِينَ مَرْضِيِّين .

أَخْرَجَ الإِمامُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ عَنْ سَيِّدِنا عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قالَ : ((إِنَّ اللهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم خَيْرَ قُلُوبِ العِبادِ فاصْطَفاهُ لِنَفْسِهِ فابْتَعَثَهُ لِرِسالَتِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ العِبادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ العِبادِ ، فَجَعَلَهُمْ وُزَراءَ نَبِيِّهِ ، يُقاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ)) .

وَمْضَةٌ مِنْ سَنا أَشْعارِ الإمامِ عَلِيٍّ الكَرَّار رضي الله عنه

قِـيمَةُ العِلْـم

النَّـاسُ مِـنْ جِهَةِ الآبَـاءِ أَكْفَاءُ ❁ أَبُــوهُــمُ آدَمٌ والْأُمُّ حَــــوَّاءُ

وَإِنَّـمَا أُمَّـهَاتُ النَّـاسِ أَوْعِـيَـهٌ ❁ مُسْتَوْدَعاتٌ وَلِلْأَحْسَابِ آبَــاءُ

فَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ مِنْ أَصْلِهِمْ شَرَفٌ ❁ يُفَاخِـرُونَ بِـهِ فَالطِّينُ وَالْـمَاءُ

مَا الْفَضْلُ إِلَّا لِأَهْلِ الْعِلْمِ إِنَّهُمُ ❁ عَلَى الْهُدَى لِمَنِ اسْتَهْدَى أَدِلَّاءُ

وَقِيمَةُ الْمَرْءِ مَا قَدْ كانَ يُحْسِنُهُ ❁ وَالْجَاهِلُونَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَعْدَاءُ

فَقُـمْ بِعِلْـمٍ وَلا تَطْلُـبْ بِـهِ بَدَلًا ❁ فَالنَّاسُ مَوْتَى وأَهْلُ الْعِلْمِ أَحْيَاءُ

الإِنْسانُ مُسَيَّرٌ فِي عَيْنِ اخْتِيارِه

وَكَـمْ سَـاعٍ لِيُـثْرِيَ لَـمْ يَنَلْـهُ ❁ وَآخَـرُ مَـا سَـعَى نَـالَ الثَّـرَاءَ

وَسَـاعٍ يَجْـمَعُ الْأَمْـوَالَ جَـمْعًا ❁ لِيُــورِثَـهَا أَعَــادِيَـهِ شَـقَـاءَ

وَمَـا سِيَّانِ ذُو خُـبْرٍ بَصِـيرٌ ❁ وَآخَـرُ جَـاهِـلٌ لَيْسُوا سَـوَاءَ

وَمَـنْ يَسْتَعْتِبِ الْحَدَثَانِ يَـوْمًا ❁ يَكُـنْ ذَاكَ الْعِـتَابُ لَـهُ عَـنَاءَ

وَيُـزْرِي بِالْفَتَى الْإِعْدَامُ حَتَّى ❁ مَتَى يُصِبِ الْمَقَالَ يُقَلْ : أَسَاءَ

ولَـهُ رضي الله عنه :

رَضِـيتُ بِـمَا قَسَـمَ اللّٰهُ لِـي ❁ وَفَوَّضْتُ أَمْـرِي إِلَى خَالِقِي

كَمَا أَحْسَنَ اللّٰهُ فِيمَا مَضَى ❁ كَـذَلِكَ يُحْسِـنُ فِـيمَا بَقِي

تَذْكِيرٌ بِاللَّه ، لابْنِهِ سِبْطِ رَسُولِ اللَّه ﷺ

أَحُسَيْنُ إِنِّي وَاعِظٌ وَمُؤَدِّبٌ ۞ فَافْهَمْ فَأَنْتَ الْعَاقِلُ الْمُتَأَدِّبُ
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ ۞ يَغْذُوكَ بِالْآدَابِ كَيْلا تَعْطَبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ ۞ فَعَلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ فِيمَا تَطْلُبُ
لا تَجْعَلَنَّ الْمَالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا ۞ وَتُقَى إِلَهِكَ فَاجْعَلَنْ مَا تَكْسِبُ
كَفَلَ الْإِلَهُ لِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ ۞ وَالْمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ
وَالرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ نَاظِرٍ ۞ سَبَبًا إِلَى الْإِنْسَانِ حِينَ يُسَبَّبُ
وَمِنَ السُّيُولِ إِلَى مَقَرِّ قَرَارِهَا ۞ وَالطَّيْرِ لِلْأَوْكَارِ حِينَ تُصَوَّبُ
أَبُنَيَّ إِنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ ۞ فَمَنِ الَّذِي بِعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ
فَاقْرَأْ كِتَابَ اللَّهِ جَهْدَكَ وَاتْلُهُ ۞ فِيمَنْ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ وَيَنْصَبُ
بِتَفَكُّرٍ وَتَخَشُّعٍ وَتَقَرُّبٍ ۞ إِنَّ الْمُقَرَّبَ عِنْدَهُ الْمُتَقَرِّبُ
وَاعْبُدْ إِلَهَكَ ذَا الْمَعَارِجِ مُخْلِصًا ۞ وَانْصِتْ إِلَى الْأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعْظِيَّةٍ ۞ تَصِفُ الْعَذَابَ فَقِفْ وَدَمْعُكَ يُسْكَبُ
يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ۞ لا تَجْعَلَنِّي فِي الَّذِينَ تُعَذِّبُ
إِنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي ۞ هَرَبًا إِلَيْكَ وَلَيْسَ دُونَكَ مَهْرَبُ
وَإِذَا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا ۞ وَصْفُ الْوَسِيلَةِ وَالنَّعِيمُ الْمُعْجِبُ
فَاسْأَلْ إِلَهَكَ بِالْإِنَابَةِ مُخْلِصًا ۞ دَارَ الْخُلُودِ سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ

دُرَرٌ مَنْثُورَة ... لِذَوِي الحَظِّ مَيْسُورَة

لَعَمْـرُكَ مَـا الْإِنْسَـانُ إِلَّا بِـدِينِـهِ ۞ فَلا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلَى النَّسَبْ

فَقَدْ رَفَعَ الْإِسْلامُ سَلْمَانَ فَارِسٍ ۞ وَقَدْ وَضَعَ الشِّرْكُ الشَّرِيفَ أَبَا لَهَبْ
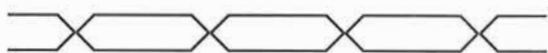
يُغَطِّي عُـيُوبَ الْمَرْءِ كَثْرَةُ مَالِهِ ۞ يُصَدَّقُ فِـيمَا قَـالَ وَهْـوَ كَـذُوبُ

وَيُـزْرِي بِعَقْـلِ الْمَـرْءِ قِلَّـةُ مَالِهِ ۞ يُحَـمِّـقُهُ الْأَقْـوَامُ وَهْـوَ لَـبِيبُ

أَدَّبْتُ نَفْسِي فَـمَا وَجَدْتُ لَـهَا ۞ بِغَـيْرِ تَقْـوَى الْإِلَـهِ مِـنْ أَدَبِ
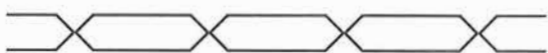
فِـي كُلِّ حَـالاتِـهَا وَإِنْ قَصُـرَتْ ۞ أَفْضَلَ مِنْ صَمْتِها عَلى الْكُرَبِ

وَغِـيبَـةِ النَّـاسِ إِنَّ غِيبَتَـهُمْ ۞ حَـرَّمَـها ذُو الْجَلالِ فِي الْكُتُبِ

إِنْ كانَ مِـنْ فِضَّـةٍ كَـلامُـكِ يَا ۞ نَفْسُ فَإِنَّ السُّكُوتَ مِنْ ذَهَـبِ
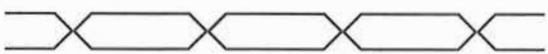
إِذَا عَـاشَ الْفَتَـى سِـتِّينَ عَـامًا ۞ فَنِصْفُ الْعُمْرِ تَمْحَقُهُ اللَّـيَالِي

وَنِصفُ النِّصْفِ يَذْهَبُ لَيْسَ يَدْرِي ۞ لِغَفْلَـتِهِ يَـمِـينًا مَـعْ شِـمَالِ

وَثُلْـثُ النِّصْفِ آمَـالٌ وَحِـرْصٌ ۞ وَشُـغْـلٌ بِالْمَكَاسِـبِ وَالْعِـيَالِ

وَبَـاقِـي الْعُمْـرِ أَسْقَامٌ وَشَيْبٌ ۞ وَهَـمٌّ بِـارْتِـحَـالٍ وَانْـتِـقَالِ

فَحُبُّ الْمَـرْءِ طُولَ الْعُـمْرِ جَهْلٌ ۞ وَقِسْمَـتُهُ عَلَـى هَـذَا الْـمِـثَالِ

وقالَ الإمامُ عَلِيٌّ مُخاطِبًا وَلَدَهُ الحَسَنَ رضي الله عنهما :

تَرَدَّ رِداءَ الصَّبْرِ عِنْدَ النَّوائِبِ ۞ تَنَلْ مِنْ جَميلِ الصَّبْرِ حُسْنَ العَواقِبِ

وَكُنْ صَاحِبًا لِلحِلْمِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ ۞ فَمَا الحِلْمُ إلَّا خَيْرَ خِدْنٍ وصَاحِبِ

وَكُنْ حافِظًا عَهْدَ الصَّدِيقِ ورَاعِيًا ۞ تَذُقْ مِنْ كَمالِ الْحِفْظِ صَفْوَ الْمَشَارِبِ

وَكُنْ شَاكِرًا لِلّهِ فِـي كُلِّ نِعْـمَةٍ ۞ يُثِبْكَ عَلَى النُّعْمَى جَزِيلَ الْمَوَاهِبِ

وَمَا الْمَرْءُ إلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ۞ فَكُنْ طَالِبًا فِي النَّاسِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ

وَكُنْ طَالِبًا لِلرِّزْقِ مِنْ بَابِ حِلِّهِ ۞ يُضاعَفْ عَلَيْكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وَصُنْ مِنْكَ مَاءَ الْوَجْهِ لا تَبْذُلَنَّهُ ۞ وَلا تَسْأَلِ الأَرْذالَ فَضْلَ الرَّغائِبِ

وَكُنْ مُوجِبًا حَقَّ الصَّدِيقِ إذَا أَتَى ۞ إلَيْكَ بِبِرٍّ صَادِقٍ مِنْكَ وَاجِبِ

وَكُنْ حافِظًا لِلْوالِدَيْنِ وَناصِرًا ۞ لِجارِكَ ذِي التَّقْوَى وَأَهْلِ التَّقَارُبِ

وقالَ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ :

مَـا وَدَّنِـي أَحَـدٌ إلَّا بَـذَلْـتُ لَـهُ ۞ صَفْـوَ الْمَـوَدَّةِ مِنِّـي آخِـرَ الأَبَدِ

وَلا قَلانِي وَإنْ كانَ المُسِيءَ بِنَا ۞ إلَّا دَعَوْتُ لَهُ الرَّحْمٰنَ بِالرَّشَدِ

وَلا ائْتُمِنْتُ عَلَى سِرٍّ فَبُحْتُ بِهِ ۞ وَلا مَدَدْتُ إلَى غَيْرِ الجَمِيلِ يَدِي

وَلا أَقُـولُ نَعَـمْ يَـوْمًا فَـأُتْبِـعَهُ ۞ بِلا وَلَـوْ ذَهَـبَتْ بِالمَـالِ وَالوَلَـدِ

نَصِيحَةُ نَصُوح

وَاجْـهَدْ لَعَـلَّكَ أَنْ تَحِلَّ بِأَرْضِهَا ۞ وَتَنَـالَ رُوحَ مَسَاكِنٍ لا تَخْـرَبُ

وَتَنَـالَ عَيْشًا لا انْقِطَاعَ لِوَقْتِهِ ۞ وَتَنَـالَ مُـلْكَ كَـرَامَةٍ لا تُسْلَـبُ

بَادِرْ هَـوَاكَ إِذَا هَـمَمْتَ بِصَالِحٍ ۞ خَوْفَ الْغَوَايَةِ إِذْ تَجِيءُ وَتَغْلِبُ

وَإِذَا هَمَمْتَ بِسَيِّئٍ فَاغْمِضْ لَهُ ۞ وَتَجَـنَّبِ الأَمْـرَ الَّـذِي يُتَجَـنَّبُ

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيقِ وَكُنْ لَهُ ۞ كَـأَبٍ عَلَـى أَوْلادِهِ يَتَحَـدَّبُ

وَالضَّيْفَ أَكْرِمْ مَا اسْتَطَعْتَ جِوَارَهُ ۞ حَـتَّى يَعُـدَّكَ وَارِثًـا يَتَنَـسَّبُ

وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إِذَا آخَيْتَهُ ۞ حَفِظَ الإِخَاءَ وَكَانَ دُونَكَ يُضْرَبُ

وَاطْلُبْهُمُ طَلَبَ الْمَرِيضِ شِفَاءَهُ ۞ وَدَعِ الْكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ

وَاحْفَظْ صَدِيقَكَ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا ۞ وَعَلَيْكَ بِالْمَرْءِ الَّذِي لا يَكْذِبُ

وَاقْلِ الْكَـذُوبَ وَقُـرْبَهُ وَجِوَارَهُ ۞ إِنَّ الْكَذُوبَ مُلَطِّخٌ مَنْ يَصْحَبُ

يُعْطِيكَ مَا فَوْقَ الْمُنَـى بِلِسَانِهِ ۞ وَيَرُوغُ مِـنْكَ كَمَا يَـرُوغُ الثَّعْلَبُ

وَاحْذَرْ ذَوِي الْمَلَقِ اللِّئَامِ فَإِنَّهُمْ ۞ فِي النَّائِبَاتِ عَلَيْكَ مِمَّنْ يَخْطُبُ

يَسْعَوْنَ حَوْلَ الْمَرْءِ مَا طَمِعُوا بِهِ ۞ وَإِذَا نَبَـا دَهْـرٌ جَـفَوْا وَتَغَـيَّبُوا

وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ طَلَبْتَ نَصِيحَتِي ۞ وَالنُّصْحُ أَرْخَصُ مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ

اسْتِشارَتُهُ رضي الله عنه فِي حادِثَةِ الإِفْكِ أَزالَ كَرْبًا وبَدَّدَ الوِشايَة وكانَ سَبَبًا واسْتِبْشارًا للمُعاناةِ بالنِّهايَة

فَعَلِيٌّ رضي الله عنه لَمْ يَنَلْ أُمَّ المُؤْمِنينَ السَّيِّدَةَ عائِشَةَ رضي الله عنها بِأَدْنَى كَلِمَةٍ تَمَسُّ عِرْضَها أَوْ تَناوَلَها بِسُوء ، بَلْ كانَ رَأْيُه خَيْرًا لَها ؛ فَهُوَ يَقُولُ للحَبِيبِ الأَعْظَم صلى الله عليه وسلم : إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَرْتاحَ مِنَ المُشْكِلَةِ فَإِنَّ غَيْرَها مِنَ النِّساءِ كَثِيرٌ ، وإِنْ أَرَدْتَ الوُصُولَ للحَقِيقَةِ فاسْأَلِ الجارِيَةَ فَسَتُوَصِّلُكَ إِلَى بَراءَةِ عائِشَةَ ، وهاكَ البَيان :

حَدِيثُ الإِفْك : رَمْيُ عائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ زَوْجِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِالإِفْكِ ، فاتَّهَمُوها بِصَفْوانَ بنِ المُعَطَّلِ ؛ وكانَ ذَلِكَ فِي السَّنَةِ الخامِسَةِ مِنْ هِجْرَتِهِ صلى الله عليه وسلم أَثْناءَ عَوْدَةِ المُسْلِمِينَ مِنْ غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِق ؛ وذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمَّا دَنَوا مِنَ المَدِينَةِ آذَنَ صلى الله عليه وسلم لَيْلًا بِالرَّحِيل ، وكانَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رضي الله عنها قَدْ مَضَتْ لَقَضاءِ حاجَتِها حَتَّى جاوَزَتِ الجَيْشَ ، فَلَمَّا قَضَتْ شَأْنَها أَقْبَلَتْ إِلَى رَحْلِها فَلَمَسَتْ صَدْرَها فَإِذا عِقْدٌ لَها مِنْ جَزْعِ ظَفارٍ[1] قَدِ انْقَطَعَ ، فَرَجَعَتْ تَلْتَمِسُ عِقْدَها ، فَحَبَسَها ابْتِغاؤُهُ ، فَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كانُوا يُرَحِّلُونَها فاحْتَمَلُوا هَوْدَجَها ظانِّينَ أَنَّها

(١) الجَزْعُ : الخَرَزُ ، وظَفارٌ : مَدِينَةٌ بِاليَمَنِ يُنْسَبُ إِلَيْها الخَرَزُ .

فِيهِ (لأَنَّ النِّساءَ كُنَّ إِذْ ذاكَ خِفافًا لَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ ، وكانَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ حَدِيثَةَ السِّنِّ) ، فَجاءَتْ مَنْزِلَ الجَيْشِ بَعْدَ أَنْ وَجَدَتْ عِقْدَها ولَيْسَ بِالمَكانِ داعٍ ولا مُجيبٌ ، فَغَلَبَتْها عَيْناها فَنامَتْ ، وكانَ الَّذي يَسِيرُ وَراءَ الجَيْشِ يَفْتَقِدُ ضائِعَهُ صَفْوانُ بنُ المُعَطَّل ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِها فَعَرَفَها ؛ لأَنَّهُ كانَ رَآها قَبْلَ الحِجاب ، فاسْتَرْجَعَ (قالَ : إِنَّا للهِ وإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُون) ، فاسْتَيْقَظَتْ رضي الله عنها بِاسْتِرْجاعِهِ ، وسَتَرَتْ وَجْهَها بِجِلْبابِها ، فَأَناخَ رضي الله عنه راحِلَتَهُ وأَرْكَبَها مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَكَلَّما بِكَلِمَةٍ ، ثُمَّ انْطَلَقَ يَقُودُ بِها الرَّاحِلَةَ حَتَّى وَصَلَ الجَيْشَ وهُوَ نازِلٌ للرَّاحَة ، فَقامَتْ قِيامَةُ أَهْلِ الإِفْكِ وقالُوا فِي عائِشَةَ وصَفْوانَ ، والَّذي تَوَلَّى كِبْرَهُ (مُعْظَمَهُ) عَبْدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ سَلُول .

ولَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ مَرِضَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ شَهْرًا ، والنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ ، وهِيَ لا تَشْعُرُ بِشَيْءٍ ، وكانَتْ تَعْرِفُ فِي رَسُولِ اللهِ رِقَّةً إذا مَرِضَتْ ، فَلَمْ يُعْطِها ﷺ نَصِيبًا مِنْها فِي هَذا المَرَض ، بَلْ كانَ يَمُرُّ ﷺ عَلَى بابِ الحُجْرَةِ لا يَزِيدُ عَلَى قَوْلِهِ : كَيْفَ حالُكُمْ ؟ مِمَّا جَعَلَها فِي رَيْبٍ عَظِيم .

فَلَمَّا نَقَهَتْ (شُفِيَتْ) خَرَجَتْ هِيَ وأُمُّ (مِسْطَح) إِلَى البَرازِ خارِجَ البُيُوت ، فَعَثَرَت أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِها (كِساءٌ مِنْ صُوف) ، فَقالَتْ :

تَعِسَ مِسْطَح ، فَقالَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ : بِئْسَ ما قُلْتِ لِرَجُلٍ شَهِدَ بَدْرًا ، فَقالَتْ : أَلَمْ تَسْمَعِي ما قالَ ؟ (وكانَ مِمَّنْ خاضَ فِي حَدِيثِ الإِفْك) .

ثُمَّ أَخْبَرَتِ السَّيِّدَةَ عائِشَةَ الخَبَرَ ، فازْدادَتْ مَرَضًا عَلَى مَرَضِها ، ولَمَّا جاءَها ﷺ كَعادَتِهِ ، اسْتَأْذَنَتْهُ أَنْ تُمَرَّضَ فِي بَيْتِ أَبِيها ، فَأَذِنَ لَها . فَسَأَلَتْ أُمَّها (أُمَّ رُومان) عَمَّا يَقُولُ النَّاسُ ، فَقالَتْ : يا بُنَيَّة ، هَوِّنِي عَلَى نَفْسِكِ الأَمْرَ ، فَقَلَّما حَظِيَتِ امْرَأَةٌ عِنْدَ زَوْجِها إِلَّا حُسِدَت ، فَقالَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ : سُبْحانَ اللّه !! أَوَ قَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذا ؟ وبَكَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ لا يَرْقَأُ[1] لَها دَمْعٌ ، ولا تَكْتَحِلُ بِنَوْم .

وفِي خِلالِ ذَلِكَ كانَ ﷺ يَسْتَشِيرُ كِبارَ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيما يَفْعَلُ ، فَقالَ لَهُ أُسامَةُ بنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِما يَعْلَمُهُ مِنْ بَراءَةِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ : يا رَسُولَ اللّهِ ، أَهْلُكَ أَهْلُكَ ، واللّهِ ما نَعْلَمُ عَلَيْهِمْ إِلَّا خَيْرًا ، وقالَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : يا رَسُولَ اللّهِ ، لَنْ يُضَيِّقَ اللّهُ عَلَيْكَ ، والنِّساءُ سِواها كَثِيرٌ ، وسَلِ الجارِيَةَ[2] تَصْدُقْكَ .

فَدَعا ﷺ بَرِيرَةَ : فَقالَ لها : (يا بَرِيرَةُ ، هَلْ رَأَيْتِ فِي عائِشَةَ شَيْئًا يُرِيبُكِ ؟) .

---

(١) يَرْقَأُ الدَّمْعُ : يَسْكُنُ ويَجِفُّ ويَنْقَطِعُ جَرَيانُهُ . (٢) الجارِيَة : الخادِمَةُ المُلازِمَةُ لَها .

قالَتْ : والَّذي بَعَثَك بالحَقِّ ما رَأَيْتُ عَلَيْها أَمْرًا قَطُّ أَعِيبُهُ عَلَيْها ، غَيْرَ أَنَّها جارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنامُ عَنْ عَجِينِها فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ .

فَقامَ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ وصَعِدَ المِنْبَرَ والمُسْلِمُونَ مُجْتَمِعُونَ وقالَ : (مَنْ يَعْذِرُنِي[1] مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذاهُ فِي أَهْلِي ؟ فَوَاللَّهِ ما عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، ولَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا ما عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا) .

فَقامَ سَعْدُ بنُ مُعاذٍ (سَيِّدُ الأَوْسِ) ، فَقالَ : أَنا واللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ مِنْهُ ؛ فَإِنْ كانَ مِنَ الأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ ، وإِنْ كانَ مِنْ إِخْوانِنا الخَزْرَجِ أَمَرْتَنا فَفَعَلْنا فِيهِ أَمْرَكَ ، فَقامَ سَعْدُ بنُ عُبادَةَ الخَزْرَجِيُّ (وكانَ رَجُلًا صالِحًا ، ولَكِنِ احْتَمَلَتْهُ الحَمِيَّةُ) ، فَقالَ لِسَعْدِ ابنِ مُعاذ : كَذَبْتَ ، واللَّهِ لا تَقْتُلُهُ ولا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ، ولَوْ كانَ مِنْ رَهْطِكَ ما أَحْبَبْتَ أَنَّهُ يُقْتَلُ ، فَقامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ وقالَ لِسَعْدِ بنِ عُبادَةَ : كَذَبْتَ ، واللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ ، فَإِنَّكَ مُنافِقٌ تُجادِلُ عَنِ المُنافِقِينَ .

وكادَتْ تَشْتَعِلُ الفِتْنَةُ بَيْنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ ، لَوْلا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ المِنْبَرِ وخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا .

أَمَّا السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رضي الله عنها فَبَقِيَتْ لَيْلَتَيْنِ لا يَرْقَأُ لَها دَمْعٌ ولا تَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ،

---

(١) أَعْذَرَ فُلانٌ فُلانًا مِنْ فُلان : أَنْصَفَهُ مِنْهُ ، أَي اسْتَوْفَى لَهُ حَقَّهُ مِنْهُ .

وبَيْنَما هِيَ مَعَ أَبَوَيْها (أَبو بَكْرٍ وأُمُّ رُومان) رضي الله عنهما إِذْ دَخَلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَلَسَ عِنْدَها (ولَمْ يَجْلِسْ عِنْدَها مِنْ يَوْمِ قِيلَ ما قِيلَ ، وقَدْ مَكَثَ ﷺ شَهْرًا لا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِها بِشَيْءٍ) ، ثُمَّ قالَ : (أَمَّا بَعْدُ يا عائِشَةُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذا وكَذا ، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللّٰهُ ، وإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ ، فاسْتَغْفِرِي اللّٰهَ وتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذا اعْتَرَفَ وتابَ تابَ اللّٰهُ عَلَيْهِ) .

فَقالَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ لأَبَوَيْها : أَجِيبا رَسُولَ اللّٰهِ ، فَقالا : واللّٰهِ ما نَدْرِي ما نَقُولُ ، فَقالَتْ : واللّٰهِ لَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي بَرِيئَةٌ (واللّٰهُ يَعْلَمُ ذَلِكَ) لا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ ، وقَدِ اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ ما تَحَدَّثَ بِهِ النَّاسُ ، ولَئِنِ اعْتَرَفْتُ بِذَنْبٍ واللّٰهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ لَبَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُنِّي ، فَواللّٰهِ ما أَجِدُ لِي ولَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبا يُوسُفَ[1] إِذْ قالَ :

﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [2] .

ثُمَّ تَحَوَّلَتْ واضْطَجَعَتْ رضي الله عنها عَلَى فِراشِها ، ولَمْ يُزاوِلْ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ مَجْلِسَهُ حَتَّى نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآياتُ مِنْ سُورَةِ ﴿ٱلنُّور﴾ بِبَراءَةِ السَّيِّدَةِ المُطَهَّرَةِ عائِشَةَ الصِّدِّيقَة :

---

(١) تَقْصِدُ سَيِّدَنا يَعْقُوبَ عليه السلام .

(٢) سُورَةُ يُوسُف : مِنَ الآيَة ١٨ .

۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ
خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ
مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ
بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴿١٢﴾ لَّوۡلَا جَآءُو عَلَيۡهِ بِأَرۡبَعَةِ
شُهَدَآءَۚ فَإِذۡ لَمۡ يَأۡتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ
فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ
لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ
سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ
عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾
وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن
تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ
وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ
وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ
ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ
وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ
ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ

أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ (١) .

فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُو يَضْحَكُ ، وقالَ : (أَبْشِرِي يا عائِشَةُ ، فَقَدْ بَرَّأَكِ اللهُ) ، فَقالَتْ لَها أُمُّها : قُومِي واشْكُرِي رَسُولَ اللهِ ، فَقالَتْ : لا واللهِ ، لا أَشْكُرُ إِلَّا اللهَ الَّذي بَرَّأَنِي .

وبَعْدَ ذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنْ يُجْلَدَ مَنْ صَرَّحَ بِالإِفْكِ ثَمانِينَ جَلْدَةً (وهِيَ حَدُّ القاذِفِ) ، وكانُوا ثَلاثَةً : حَمْنَةَ بِنْتَ جَحْش ، ومِسْطَحَ بنَ أُثاثَة ، وحَسَّانَ بنَ ثابِت ، وكانَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بنِ أُثاثَةَ لِقَرابَتِهِ مِنْهُ ، فَلَمَّا تَكَلَّمَ بِالإِفْكِ قَطَعَ عَنْهُ النَّفَقَةَ ، فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ ، فَقالَ أَبو بَكْرٍ رضي الله عنه : بَلَى نُحِبُّ ذَلِكَ يا رَسُولَ اللهِ ، وأَعادَ النَّفَقَةَ عَلَى مِسْطَح .

وكانَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رضي الله عنها تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَها حَسَّان ، وتَقُولُ إِنَّهُ الَّذي يَقُولُ :

---

(١) سُورَةُ النُّور : الآيات ١١-٢٢ .

فَإِنَّ أَبِي ووالِدَهُ وعِرْضِي ۞ لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقاءُ

وكانَ حسَّانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَيْضًا يعْتَذِرُ عَنْ ذَلِكَ ، ومِنْ شِعْرِهِ فِي مَدْحِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَوْلُهُ :

مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيْمَها[1] ۞ وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ

إِشارَةٌ .. واسْتِنارَةٌ : لا يَخْفَى أَنَّ بَيْنَ حَدِيثِ نُزُولِ سُورَةِ ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ وحَدِيثِ الإِفْكِ مُناسَبَةً مِنْ وُجُوه :

مِنْها : أَنَّهُما وَقَعا فِي الرُّجُوعِ مِنْ غَزْوَةٍ واحِدَة .

ومِنْها : أَنَّ سُورَةَ ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ﴾ فِي بَراءَةِ زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ مِنَ الإِفْكِ ؛ وهُوَ الكَذِبُ المُتَّهَمُ بِهِ ، وحَدِيثَ الإِفْكِ فِي بَراءَةِ السَّيِّدَةِ عائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِمَّا قُذِفَتْ بِهِ ، فَهِيَ بَراءَةٌ قَطْعِيَّةٌ بِنَصِّ القُرْآنِ ، حَتَّى إِنَّ مَنْ يُشَكِّكُ فِي بَراءَتِها فَهُوَ كافِرٌ بِالإِجْماع ، بَلْ قالَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تعالَى : ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ [2] ، أَيْ : امْرَأَةُ نُوحٍ نُوحًا ، وامْرَأَةُ لُوطٍ لُوطًا : لَمْ تَزْنِ امْرَأَةُ نَبِيٍّ قَطُّ .

وفِي (الصَّحِيحَيْنِ) أَنَّ صَفْوانَ بنَ **المُعَطَّلِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : واللّهِ ما كَشَفْتُ عَنْ كَنَفِ أُنْثَى قَطُّ، (أَيْ : أَنَّهُ كانَ حَصُورًا لا يَأْتِي النِّساءَ) .

---

(١) خِيْمَها : طَبْعَها .

(٢) سُورَةُ التَّحْرِيم : مِنَ الآيَة ١٠ .

وَقْعَةُ الجَمَل

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾

وإذا أَرادَ اللهُ نفاذَ أَمْرٍ هَيَّأَ لَهُ أَسْبابَهُ .. وإذا أَرادَ اللهُ نَفاذَ أَمْرٍ سَلَبَ مِنْ ذَوِي العُقُولِ عُقُولَهُمْ ، ثُمَّ بَعْدَ نَفاذِ قَضائِهِ سُبْحانَهُ ، أَنابُوا إِلَى الحَقِّ ، فَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَرادُوا الحَقَّ وأَخْطَأُوا طَرِيقَهُ .

وهَذا ما حَدَثَ مَعَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ عائِشَةَ رضي الله عنها ؛ فَقَدِ اسْتَطاعَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ رضي الله عنهما (وقَدْ خَرَجا مِنْ مَكَّةَ بِجيْشٍ إِلَى البَصْرَةِ) إِقْناعَها بِالخُرُوجِ مَعَهُما لِيَتِمَّ الصُّلْحُ بَيْنَ المُؤْمِنِينَ عَلَى يَدَيْها وهِيَ أُمُّ الجَمِيع .

وحاوَلَتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ السَّيِّدَةُ أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنْ تُثْنِيَها عَنِ الخُرُوجِ ، ولَكِنَّها خَرَجَتْ وكانَ مَعَها عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ وهُوَ ابنُ أُخْتِها أَسْماء ، فَلَمَّا اخْتَلَفَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ فِي الطَّرِيقِ عَلَى الإِمامَةِ قَدَّمَتْ هِيَ رضي الله عنها عَبْدَ اللهِ فَصَلَّى بِالنَّاس .

قالَ العَلَّامَةُ المُحَدِّثُ العامِرِيُّ فِي (الرِّياض المُسْتَطابَة) فِي تَرْجَمَةِ رِفاعَة بنِ رافِعِ الأَنْصاري ، ورَوَى الشَّعْبي ، قالَ : لَمَّا خَرَجَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ كَتَبَتْ أُمُّ الفَضْلِ زَوْجَةُ العَبَّاسِ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه تُخْبِرُهُ بِخُرُوجِهِمْ ، فَقالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : «العَجَبُ وَثَبَ النَّاسُ عَلى

عُثْمانَ فَقَتَلُوهُ ، وبايَعُونِي غَيْرَ مُكْرَهِينَ ، وبايَعَنِي طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وقَدْ خَرَجا إلَى العِراقِ بِالجَيْشِ)) ، فَقالَ رِفاعَةُ فِي كَلامٍ خاطَبَ بِهِ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : قَدْ بايَعْناكَ ولَمْ نَأْلُ[1] ، وقَدْ خالَفَكَ مَنْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْهُ وأَرْضَى ، فَمُرْنا بِأَمْرِكَ .

وقامَ الحَجَّاجُ بنُ غَزِيَّةَ الأَنْصارِي وقالَ : دِراكَها[2] (ثَلاثَ مَرَّات) قَبْلَ الفَوْت ، لا وأَلَتْ[3] نَفْسِي إنْ خِفْتُ المَوْتَ ، يا مَعْشَرَ الأَنْصارِ انْصُروا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ثانِيَةً كَما نَصَرْتُمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، واللهِ إنَّ الآخِرَةَ لَشَبِيهَةٌ بِالأُولَى إلَّا أَنَّ الأُولَى أَفْضَلُهُما .

وفِي الطَّرِيقِ إلَى البَصْرَةِ تَحَقَّقَتْ مُعْجِزَةٌ نَبَوِيَّةٌ ؛ فَإنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ مَرَّةً لأَزْواجِهِ : (أَيَّتُكُنَّ صاحِبَةُ الجَمَلِ الأَحْدَبِ تَنْبَحُها كِلابُ الحَوْأَبِ ؟) ، ثُمَّ نَظَرَ ﷺ إلَى السَّيِّدَةِ عائِشَةَ وقالَ لَها : (أَخْشَى أَنْ تَكُونِيها يا حُمَيْراء) .

وفِعْلًا نَبَحَتْها كِلابُ الحَوْأَب ، وهَمَّتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها بِالعَوْدَةِ إلَّا أَنَّهُمْ أَتَوْا إلَيْها بِجَماعَةٍ مِنَ البَدْوِ فَشَهِدُوا لَها أَنَّ تِلْكَ الجِهَةَ لَيْسَت

---

(١) أَيْ : قَصَّرَ ، وفُلانٌ لا يَأْلُوكَ نُصْحًا .
(٢) الدِّراك : المُدارَكَة .
(٣) أَلَ : طَلَبَ النَّجاةَ ؛ فَيَكُونُ مَعْناهُ : لا طَلَبَتْ نَفْسِي النَّجاةَ إنْ خِفْتُ المَوْتَ .

الحَوْأب ، [وكانَتْ تِلْكَ أَوَّلَ شَهادَةِ زُورٍ وَقَعَتْ فِي الإِسْلام] ، فَسارَتْ أُمُّ المُؤْمِنينَ عائِشَةُ مَعَ الجَيْشِ مَكْذُوبَةً مَخْدُوعَةً ، وكانَ ما قَدَّرَ اللهُ أَنْ يَلْتَقِيَ الجَيْشانِ بِالبَصْرَةِ جَيْشُ طَلْحَةَ والزُّبَيْرِ وجَيْشُ أَميرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ فِي المَعْرَكَةِ الَّتي عُرِفَتْ بِمَعْرَكَةِ الجَمَلِ نِسْبَةً إِلَى الجَمَلِ الَّذي كانَتْ تَرْكَبُهُ أُمُّ المُؤْمِنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وكانَ ذَلِكَ فِي جُمادَى الآخِرَة سَنَةَ ٣٦ مِنَ الهِجْرَة .

وكانَ مِنْ عادَةِ أَميرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَبْدَأَ بِإِقْناعِ خُصُومِهِ قَبْلَ أَنْ يُحارِبَهُمْ تَفادِيًا لإِراقَةِ دِماءِ المُسْلِمينَ ؛ فَعَلَ ذَلِكَ حَتَّى مَعَ الخَوارِجِ كَما يَشْهَدُ التَّارِيخُ ، فَإِذا اسْتَنْفَدَ النَّصِيحَةَ ولَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنَ القِتالِ قاتَلَ صِيانَةً لِحَقِّهِ وسُلْطانِهِ .

ولَمَّا الْتَقَى الفَرِيقانِ يَوْمَ الجَمَلِ صَفَّ أَميرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ النَّاسَ ثُمَّ نادَى أَلا لا يَرْمِيَنْ رَجُلٌ بِسَهْمٍ ، ولا يَطْعَنُ بِرُمْحٍ ، ولا يَضْرِبُ بِسَيْفٍ ، ولا تَبْدَأُوا القَوْمَ بِالقِتال ، وكَلِّمُوهُمْ بِأَلْطَفِ كَلام لأَنَّ هَذا مَقامٌ مَنْ فَلَجَ[1] فِيهِ فَلَجَ يَوْمَ القِيامَة ، فَلَمْ يَزَلِ النَّاسُ وُقُوفًا حَتَّى تَعالَى النَّهارُ فَنادَى القَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ : يا ثارات عُثْمان ، فَنادَى الإِمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

---

(١) فَلَجَ يَفْلِجُ أَيْ فازَ وظَفِرَ بِما طَلَبَ وفَلَجَ عَلَى خِصْمِهِ غَلَبَهُ كَما فِي المُخْتار .

مُحَمَّدَ بنَ الحَنَفِيَّة : ما يَقُولُون ؟

فَقالَ : يَقُولُونَ يا ثارات عُثْمان ، فَرَفَعَ عَلِيٌّ يَدَهُ فَقالَ : ((اللهُمَّ كُبَّ اليَوْمَ قَتَلَةَ عُثْمانَ لِوُجُوهِهِمْ)) .

وَعَنْ مُحَمَّدِ بنِ عُمَرَ بنِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ لَمْ يُقاتِلْ يَوْمَ الجَمَلِ حَتَّى دَعا النَّاسَ ثَلاثًا ، حَتَّى إِذا كانَ اليَوْمُ الثَّالِثُ دَخَلَ عَلَيْهِ الحَسَنُ والحُسَيْنُ وعَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُم فَقالُوا : قَدْ أَكْثَرُوا فِينا الجِراحَ ، فَقالَ لِعَبْدِ اللهِ : يا ابنَ أَخِي واللهِ ما جَهِلْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِمْ إِلَّا ما كانُوا فِيه ، وقالَ : صُبَّ لِي ماءً ، فَصَبَبْتُ لَهُ ماءً فَتَوَضَّأَ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ حَتَّى إِذا فَرَغَ رَفَعَ يَدَهُ ودَعا رَبَّهُ ، وقالَ لَهُمْ : إِنْ ظَهَرْتُمْ عَلَى القَوْمِ فَلا تَطْلُبُوا مُدْبِرًا ، ولا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ [1] ، وانْظُرُوا ما حَضَرُوا بِهِ الحَرْبَ مِنْ آلَتِهِ فاقْبِضُوهُ ، وما كانَ سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ .

وَعَنْ بِشْرٍ الشَّيْبانِي فِي قِصَّةِ حَرْبِ الجَمَلِ قالَ : فاجْتَمَعُوا بِالبَصْرَةِ فَقالَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((مَنْ يَأْخُذُ المُصْحَفَ ثُمَّ يَقُولُ لَهُمْ ماذا تَنْقِمُون ؟ تُرِيقُونَ دِماءَنا ودِماءَكُمْ)) .

---

(١) جَهَزَ وأَجْهَزَ عَلَى الجَرِيحِ : شَدَّ عَلَيْهِ وأَتَمَّ قَتْلَهُ .

فَقالَ رَجُلٌ : أَنا يا أَمِيرَ المُؤْمِنين ، قالَ : إِنَّكَ مَقْتُول ، قالَ : لا أُبالِي ، قالَ : فَأَخَذَ المُصْحَفَ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ قالَ مِنَ الغَدِ مِثْلَ ما قالَ بِالأَمْسِ ، فَقالَ رَجُلٌ أَنا ، فَقالَ إِنَّكَ مَقْتُولٌ مِثْلَ ما قُتِلَ صاحِبُكَ ، قالَ لا أُبالِي فَذَهَبَ فَقُتِلَ ، ثُمَّ قالَ : آخِرُ كُلِّ يَوْم واحِدٍ ؟ قَدْ حَلَّ لَكُمْ قِتالُهُمُ الآنَ ، فَبَرَزَ هَؤُلاءِ وهَؤُلاءِ فاقْتَتَلُوا قِتالاً شَدِيدًا ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ ما كانَ فِي المُعَسْكَرِ حَتَّى القِدْر[1] .

وأَرْسَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابنَ عَبَّاسٍ إِلَى الزُّبَيْرِ يَوْمَ الجَمَلِ فَقالَ لَهُ ابنُ عَبَّاس : يَقُولُ لَكَ ابنُ خالِكَ عَرَفْتَنِي بِالحِجازِ وأَنْكَرْتَنِي بِالعِراق ، فَما عَدا مِمَّا بَدا[2] .

فَوَقَعَ مِنْهُ هَذا الكَلامُ مَوْقِعًا بَلِيغًا ، فَلَمَّا كانَ مِنَ الغَدِ والْتَحَمَ الحَرْبُ ، بَرَزَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ونادَى يا زُبَيْرُ يا عَبْدَ اللهِ مِرارًا ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ الزُّبَيْرُ فَتَقارَبا حَتَّى اخْتَلَفَتْ أَعْناقُ دَوابِّهِما ، فَقالَ لَهُ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ : إِنِّي دَعَوْتُكَ لأُذَكِّرَكَ حَدِيثًا قالَهُ لِي ولَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؛ أَتَذْكُرُ يَوْمَ رَآكَ وأَنْتَ مُعْتَنِقِي فَقالَ لَكَ : (أَتُحِبُّهُ ؟) ، فَقُلْتَ : وما لِي لا أُحِبُّهُ وهُوَ أَخِي وابنُ خالِي ، فَقالَ ﷺ : (أَما إِنَّكَ سَتُحارِبُهُ

(١) ذَكَرَ هَذِهِ الأَحادِيثَ الثَّلاثَةَ السُّيُوطِي .
(٢) أَيْ ما مَنَعَ مِمَّا ظَهَرَ .

وأَنْتَ ظالِمٌ لَهُ)(١) .

فاسْتَرْجَعَ الزُّبَيْرُ وقالَ : ((أَذْكَرْتَنِي ما أَنْسانِي الدَّهْرُ)) ، ورَجَعَ إِلَى صُفُوفِهِ ، فَقالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ ابْنُهُ : لَقَدْ رَجَعْتَ إِلَيْنا بِغَيْرِ الوَجْهِ الَّذي فارَقْتَنا بِهِ ، فَقالَ : ((أَذْكَرَنِي عَلِيٌّ حَدِيثًا أَنْسانِيهُ الدَّهْرُ فَلا أُحارِبُهُ أَبَدًا وإِنِّي تارِكُكُمْ وراجِعٌ مُنْذُ اليَوْمِ)) ، إِلَى أَنْ قالَ : ورَجَعَ الزُّبَيْرُ .

قالَ العَلَّامَةُ القُرْطُبِي فِي التَّذْكِرَةِ ما لَفْظُهُ : فَقالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللّٰه : كَلَّا ولَكِنَّكَ رَأَيْتَ سُيُوفَ بَنِي هاشِم حِدادًا تَحْمِلُها أَيْدٍ شِدادٌ فَقالَ لَهُ : ((وَيْلَكَ ، مِثْلِي يُعَيَّرُ بِالجُبْنِ ؟ هَلُمَّ بِالرُّمْحِ)) ، فَأَخَذَ الرُّمْحَ وحَمَلَ فِي أَصْحابِ عَلِيٍّ ، فَقالَ عَلِيٌّ : ((أَفْرِجُوا للشَّيْخِ فَإِنَّهُ مُحْرَجٌ)) ، فَشَقَّ المَيْمَنَةَ والمَيْسَرَةَ ثُمَّ رَجَعَ فَقالَ لابْنِهِ : وَيْلَكَ أَيَفْعَلُ هَذا جَبانٌ ؟ ثُمَّ انْصَرَفَ وقالَ :

نَادَى عَلِيٌّ بِأَمْرٍ لَسْتُ أُنْكِرُهُ ۞ وَكَانَ عُمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرَ مُذْحِينِي

فَقُلْتُ حَسْبُكَ مِنْ عَذْلٍ أَبَا حَسَنٍ ۞ بَعْضُ الَّذِي قُلْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ يَكْفِينِي

تَرْكُ الأُمُورِ الَّتِي تُخْشَى عَوَاقِبُهَا ۞ لِلّٰهِ أَسْلَمُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ

فَاخْتَرْتُ عَارًا عَلَى نَارٍ مُؤَجَّجَةٍ ۞ أَنَّى يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ مِنَ الطِّينِ

---

(١) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ مِنْ طُرُقٍ بِأَلْفاظٍ ، وصَحَّحَهُ وأَقَرَّهُ الذَّهَبِي أَيْضًا ، وأَخْرَجَهُ البَيْهَقِي وابنُ عَساكِرٍ وغَيْرُهُمْ .

ولَمَّا انْصَرَفَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِوادِي السِّباعِ وكانَ فِيهِ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ فِي جَمْعٍ مُعْتَزِلًا فِيهِ عَنِ الفَرِيقَيْنِ وكانَ مِنْ أَصْحابِهِ ابنُ جُرْمُوزٍ فَسَمِعَ الأَحْنَفَ يَقُولُ لَمَّا مَرَّ بِهِمُ الزُّبَيْرُ إِنَّهُ لَخَلِيقٌ بِالقَتْلِ ، فَتَبِعَهُ ابنُ جُرْمُوزٍ وكانَ فاتِكًا فَسايَرَهُ حَتَّى إِذا قامَ الزُّبَيْرُ إِلَى الصَّلاةِ شَدَّ عَلَيْهِ فَقَتَلَهُ وأَخَذَ سَيْفَهُ ورَجَعَ إِلَى الأَحْنَفِ فَأَخْبَرَهُ فقالَ ما أَدْرِي أَسَأْتَ أَمْ أَحْسَنْتَ ؟!

اذْهَبْ إِلَى عَلِيٍّ فَأَخْبِرْهُ ، فَجاءَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَقالَ لَهُ : أَنْتَ قَتَلْتَهُ ؟ قالَ : نعَمْ ، قالَ عَلِيٌّ : "واللهِ ما كانَ ابنُ صَفِيَّةَ جبانًا ولا لَئِيمًا لَكِنْ الحَيْنُ ومَصْرَعُ السُّوءِ" ، ثُمَّ قالَ : "ناوِلْنِي سَيْفَهُ" ، فَناوَلَهُ ، فَهَزَّهُ ثُمَّ قالَ : "سَيْفٌ طالَما جَلَّى بِهِ الكَرْبَ عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" ، فَقالَ ابنُ جُرْمُوزٍ : الجائِزَةَ يا أَمِيرَ المُؤْمِنِين ، فَقالَ عَلِيٌّ : أَما إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : "بَشِّرْ قاتِلَ ابنِ صَفِيَّةَ بِالنَّارِ" ، ثُمَّ خَرَجَ ابنُ جُرْمُوزٍ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَوْمَ النَّهْرَوانِ فَقَتَلَهُ مَعَهُمْ .

[انْتَهَى بِتَلْخِيصٍ كَثِيرٍ ومِثْلُهُ فِي الجامِعِ الكَبِيرِ لِلسُّيُوطِي ؛ أَعْنِي تَذْكِيرَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ لِلزُّبَيْرِ ورُجُوعَهُ عَنِ القِتالِ ، ومِثْلُهُ فِي الرِّياضِ المُسْتَطابَةِ فِي تَرْجَمَةِ الزُّبَيْرِ] .

وأَمَّا طَلْحَةُ فَعِنْدَما رَجَعَ الزُّبَيْرُ ، ناداهُ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ قائِلًا : ((يا أَبا مُحَمَّد ، ما الَّذي أَخْرَجَكَ ؟)) .

قالَ طَلْحَةُ : الطَّلَبُ بِدَمِ عُثْمان ، قالَ عَلِيٌّ : قاتَلَ اللّٰهُ أَوْلانا بِدَمِ عُثْمان ، أَما سَمِعْتَ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ [أَيْ فِي حَقِّ الإمامِ عَلِيٍّ] : (اللهُمَّ والِ مَنْ والاهُ وعادِ مَنْ عاداهُ) ، وأَنْتَ أَوَّلُ مَنْ بايَعَنِي ثُمَّ نَكَثَ ، وَقَدْ قالَ عَزَّ وجَلَّ : ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ (١) .

فَقالَ طَلْحَةُ : أَسْتَغْفِرُ اللّٰه ، ثُمَّ رَجَعَ ، فَقالَ أَحَدُ السَّبَئِيَّة : رَجَعَ الزُّبَيْرُ ويَرْجِعُ طَلْحَةُ ، ما أُبالِي رَمَيْتُ هاهُنا أَوْ هاهُنا فَرَماهُ فِي أَكْحَلِهِ فَقَتَلَهُ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بَعْدَ المَعْرَكَةِ فَوَجَدَهُ مَقْتُولًا ، فَنَفَضَ التُّرابَ عَنْ وَجْهِهِ ، وبَكَى حَتَّى اخْضَلَّتْ لِحْيَتُهُ ، وقالَ : أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنا وأَنْتَ مِمَّنْ قالَ اللّٰهُ فِيهِمْ :

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ (٢) .

وفِي الجامِعِ عَنْ ثَوْرِ بنِ مُجْزَأَةَ قالَ : مَرَرْتُ بِطَلْحَةَ بن عُبَيْدِ اللّٰهِ يَوْمَ الجَمَلِ وهُوَ صَرِيعٌ فِي آخِرِ رَمَق ، فَوَقَفْتُ عَلَيْهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ وقالَ : إِنِّي لأَرَى وَجْهَ رَجُلٍ كَأَنَّهُ القَمَرُ فَمَنْ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : مِنْ أَصْحابِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنه فَقالَ : ابْسُطْ يَدَكَ أَنا أُبايِعُكَ لَهُ ، فَبَسَطْتُ يَدِي

---

(١) سُورَةُ الفَتْح : مِنَ الآيَة ١٠ . (٢) سُورَةُ الحِجْر : الآيَة ٤٧ .

فَبايَعَنِي وفاضَتْ نَفْسُهُ ، فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَأَخْبَرْتُه بقَوْلِ طَلْحَةَ فقالَ : اللّٰهُ أَكْبَرُ اللّٰهُ أَكْبَر ، صَدَقَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ ، أَبى اللّٰهُ أَنْ يُدْخِلَ طَلْحَةَ الجَنَّةَ إِلَّا وبَيْعَتِي فِي عُنُقِه[1] .

واعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ فِي تِلْكَ الحُروبِ هُوَ المُحِقُّ[2] وأَنَّهُ الخَلِيفَةُ فِي وَقْتِهِ ، لا خِلافَةَ لِغَيْرِهِ ، ولَهُمْ دَلائِلُ عَلَى ذَلِكَ كَثِيرَة .

وأَمَّا السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْها فَأَحاطَ الشُّجْعانُ مِنَ العَرَبِ بِجَمَلِها أَثْناءَ القِتالِ يَحْمُونَهُ خَوْفًا مِنْ أَنْ يُصِيبَها شَيْءٌ ، والإمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ يَقُولُ لِلنَّاس : ((احْذَرُوا أَنْ يُصِيبَ أُمَّ المُؤْمِنِينَ شَيْءٌ)) ، وقُطِعَتْ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ عِنْدَ خِطامِ الجَمَلِ ، وقُتِلَ كَثِيرٌ ، ثُمَّ نادَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ : ((اعْقِرُوا الجَمَلَ قَبْلَ أَنْ تُصابَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّهُ إِنْ عُقِرَ تَفَرَّقُوا عَنْهُ)) .

فَضَرَبَهُ رَجُلٌ فَسَقَطَ .

فَقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ لِلنَّاس : أَنْتُمْ آمِنُونَ ، واجْتَمَعَ القَعْقاعُ بنُ عَمْرٍو هُوَ ومَنْ يَلِيهِ ثُمَّ حَمَلُوا الهَوْدَجَ فَوَضَعُوهُ وإِنَّهُ كالقُنْفُذِ لِما فِيهِ مِنَ السِّهامِ وأَطافُوا بِهِ ، وفَرَّ مَنْ وَراءَ ذَلِكَ مِنَ النَّاس .

---

(١) أَخْرَجَهُ الحاكِمُ .

(٢) وصَرَّحَ بِهَذا الحافِظُ فِي الإِصابَة وصاحِبُ العَواصِم وصاحِبُ وابِلِ الغَمام .

فَلَمَّا انْهَزَمُوا أَمَرَ عَلِيٌّ مُنادِيًا فَنادَى : ((ألا لا تَتْبَعُوا مُدْبِرًا ، ولا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيح ، ولا تَدْخُلُوا الدُّورَ)) .

وأَمَرَ أَخاها مُحَمَّدَ بنَ أَبِي بَكْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ يَضْرِبَ لَها قُبَّةً ، وكانَ أَخُوها مُحَمَّدٌ مِنْ أَصْحابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لأَنَّهُ كانَ رَبِيبًا لَهُ ؛ لأَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تَزَوَّجَ أُمَّهُ أَسْماءَ بِنْتَ عُمَيْس رَضِيَ اللهُ عَنْها بَعْدَ وَفاةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وكانَتْ قَبْلَ أَبِي بَكْرٍ مُتَزَوِّجَةً بِجَعْفَرِ بنِ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

ثُمَّ قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِمُحَمَّدِ بنِ أَبِي بَكْرٍ : انْظُرْ هَلْ وَصَلَ إِلَيْها شَيْءٌ مِنْ جِراحَة ؟ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي هَوْدَجِها ، فَقالَتْ مَنْ هَذا الَّذِي يُدْخِلُ يَدَهُ عَلَى حَرَمِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَحْرَقَهُ اللهُ بالنَّار .

فَقالَ : يا أُخْتاهُ قُولِي نارُ الدُّنْيا ، فَقالَتْ : نارُ الدُّنْيا .

[ولَقَدِ اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَها ؛ فَإِنَّ مُحَمَّدَ بنَ أَبِي بَكْرٍ قُتِلَ بِمِصْرَ وأُحْرِقَ بِالنَّار] ، ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّدًا قالَ لَها : يا أُخْتاهُ هَلْ أَصابَكِ شَيْءٌ ؟ قالَتْ : لا .

ثُمَّ لَمَّا كانَ اللَّيْلُ أَدْخَلَها أَخُوها مُحَمَّدُ بنُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البَصْرَةَ ، فَأَنْزَلَها فِي دارِ عَبْدِ اللهِ بنِ خَلَفِ الخُزاعِي عِنْدَ صَفِيَّةَ بِنْتِ الحَرْثِ العَبْدَرِيَّة .

وَلَمَّا دَخَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ البَصْرَةَ بايَعَهُ أَهْلُها حَتَّى الجَرْحَى والمُتَأَمِّنَةُ ، وجَعَلَ ابنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما أَمِيرًا عَلَى البَصْرَة ، وزِيادًا عَلَى الخَراجِ وبَيْتِ المالِ ، وأَتاهُ الأَحْنَفُ بنُ قَيْسٍ ومَنْ كانَ مَعَهُ مِنَ المُعْتَزِلِينَ فَبايَعُوهُ وكانُوا عَشَرَةَ آلافٍ واخْتَفَى عَبْدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ بِدارِ رَجُلٍ مِنَ الأَزْدِ ، فَعَلِمَتْ بِهِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَخاها مُحَمَّدًا وقالَتْ : ائْتِنِي بِابنِ أُخْتِكَ ، فَجاءَ بِهِ إِلَى عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها فَبايَعَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، واخْتَفَى كَثِيرٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ ، واسْتَجارُوا بِبَعْضِ العَرَبِ ثُمَّ لَحِقُوا بِالشَّام ، ثُمَّ جَهَّزَ الإِمامُ عَلِيٌّ السَّيِّدَةَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها فِي سَفَرِها بِكُلِّ ما يَنْبَغِي لَها مِنْ مَرْكَبٍ وزادٍ ومَتاعٍ وغَيْرِ ذَلِكَ ، وبَعَثَ مَعَها كُلَّ مَنْ نَجا مِمَّنْ خَرَجَ مَعَها إِلَّا مَنْ أَحَبَّ المُقامَ .

فَلَمَّا كانَ اليَوْمُ الَّذِي ارْتَحَلَتْ فِيهِ أَتاها الإِمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَوَقَفَ لَها وحَضَرَ النَّاسُ فَوَدَّعَتْهُمْ ووَدَّعُوها رَضِيَ اللهُ عَنْها ، وقالَتْ لَهُمْ : يا بَنِيَّ لا يَعْتِبْ بَعْضُنا عَلَى بَعْضٍ .

وقالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَهُمْ : «إِنَّها لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ» .

وبَعَثَ الإِمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ السَّيِّدَةَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها مَعَ أَخِيها مُحَمَّد بنِ أَبِي بَكْرٍ وثَلاثِينَ رَجُلًا وعِشْرِينَ امْرَأَةً مِنْ ذَواتِ الدِّينِ وأَلْبَسَهُنَّ العَمائِمَ

وَقَلَّدَهُنَّ السُّيُوفَ وقالَ لَهُنَّ : لا تُعْلِمْنَ عائِشَةَ أَنَّكُنَّ نِسْوَةٌ ، فَتَلَثَّمْنَ كَأَنَّهُنَّ الرِّجال ، وقالَ لَهُنَّ : كُنَّ أَنْتُنَّ اللاتِي تَلِينَ جَمَلَها وخِدْمَتَها .

وشَيَّعَها عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَمْيالًا ، وسَرَّحَ بَنِيهِ مَعَها يَوْمًا .

فَلَمَّا أَتَتِ السَّيِّدَةُ عائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْها المَدِينَةَ قِيلَ لَها كَيْفَ رَأَيْتِ مَسِيرَكِ قالَتْ : كُنْتُ بِخَيْرٍ واللهِ لَقَدْ أَعْطَى فَأَكْثَرَ لَكِنَّهُ بَعَثَ مَعِي رِجالًا أَنْكَرْتُهُمْ ، فَعَرَّفَها النِّسْوَةُ أَمْرَهُنَّ ، فَسَجَدَتْ شُكْرًا لِلّهِ وقالَتْ : ما ازْدَدْتُ واللهِ بِابنِ أَبِي طالِبٍ إِلَّا تَكَرُّمًا ووَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَخْرُجْ هَذا المَخْرَجَ ، ولَكِنَّهُ قِيلَ لِي تَخْرُجِينَ فَتُصْلِحِينَ بَيْنَ النَّاسِ فَكانَ ما كانَ .

ثُمَّ إِنَّ السَّيِّدَةَ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها نَدِمَتْ عَلَى مَسِيرِها لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وعَرَفَتْ أَنَّ الحَقَّ كانَ مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وأَنَّ الصَّوابَ تَأْخِيرُ الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ .

تَنْوِيه .. وتَوْجِيه :

• إِنَّ **جِهادَ الكُفَّارِ** قَدْ كانَ مَعْرُوفًا لِكُلِّ أَحَدٍ مِنْ زَمَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصارَتْ أَحْكامُهُ مَعْلُومَةً مِنْ دِينِ الإِسْلامِ بِخِلافِ **جِهادِ البُغاةِ** : فَإِنَّ هَذا أَوَّلُ بَغْيٍ اتَّفَقَ وأَوَّلُ دَمٍ أُرِيقَ عَلَى بَغْيٍ الْتَقَتْ فِيهِ الجُيُوشُ الإِسْلامِيَّة ، ولِذَلِكَ اتَّفَقَ المُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ تَفاصِيلَ أَحْكامِ الجِهادِ

لِلبُغاةِ لا تُعْرَفُ إلَّا مِنْ سِيرَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه فِيمَنْ بَغَى عَلَيْهِ ؛ فَهُوَ كالتَّشْرِيعِ فِي ذَلِكَ ، ولَمَّا كانَتْ أَحْكامُهُمْ مُخالِفَةً لأَحْكامِ جِهادِ الكُفَّارِ فِي الغَنائِمِ ، وفِي أَنَّهُ لا يُجْهَزُ عَلَى جَرِيحٍ ولا يُتَّبَعُ مَهْزُومٌ ، وكانَ النَّاسُ لا يَعْرِفُونَ هَذِهِ الأَحْكامَ ولِهَذا اسْتَنْكَرُوا قِسْمَةَ السِّلاحِ والكُراعِ وتَرْكَ ما عَداها حَتَّى جادَلُوا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فِي ذَلِكَ ، وأَجابَ رضي الله عنه بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ إلَّا ما حَوَى مُعَسْكَرُهُمْ ، وما كانَ فِي دُورِهِمْ مِيراثٌ لأَوْلادِهِمْ ، وقالَ : إنَّا لا نَأْخُذُ الصَّغِيرَ بِذَنْبِ الكَبِيرِ ، وإِنَّ الأَمْوالَ كانَتْ لَهُمْ قَبْلَ الفُرْقَةِ ، وتَزَوَّجُوا عَلَى رِشْدَةٍ ، ووُلِدُوا عَلَى الفِطْرَة ، وإنَّما لَكُمْ ما حَوَى مُعَسْكَرُهُمْ إلَى آخِرِ كَلامِهِ رضي الله عنه ، وهُوَ كَلامٌ طَوِيلٌ فِي خُطْبَةٍ شَهِيرَةٍ ذَكَرَها الحافِظُ السُّيُوطِي وغَيْرُهُ .

ومِنْ أَجْوِبَتِهِ رضي الله عنه عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ : ((فَأَيُّكُمْ يَأْخُذُ عائِشَةَ فِي قِسْمَةٍ)) ؛ يَعْنِي مِنَ السَّبْيِ لَوْ جازَ ، ثُمَّ رَجَعُوا إلَى حُكْمِهِ ورَضُوا بِهِ بَعْدَ اخْتِلافٍ شَدِيدٍ ، وأَنْشَدَ ابنُ يَسافٍ الأَنْصارِيُّ أَبْياتَهُ الَّتِي فِيها :

فَاقْبَلُوا الْيَوْمَ مَا يَقُولُ عَلِيٌّ ۞ لا تَنَاجَوْا بِالإِثْمِ فِي الإِسْرَارِ
لَيْسَ مَا ضَمَّتِ الْبُيُوتُ بِفَيْءٍ ۞ إِنَّمَا الْفَيْءُ مَا تَضُمُّ الأَوَارِي[1]

---

(١) الأَوارِي : جَمْعُ آرٍ ، والآرِي عُرْوَةٌ تُثَبَّتُ فِي وَتَدٍ ، تُشَدُّ بِها الدَّابَّة .

مِـنْ كُـراعٍ فِـي عَسْكَـرٍ وَسِـلاحٍ ۞ وَمَـتَاعٍ مِـنْ بَيْـعِ أَيْـدِي التِّجَـارِ
ذَاكَ هُـو فَيْئُكُـمْ خُـذُوهُ وَقُـولُـوا ۞ قَـدْ رَضِـينَا لا خَـيْرَ فِـي الإِكْـثَارِ
لَيْسَ فِي الْبَغْي قَسْمُ ذَاتِ نِطَاقٍ ۞ لا وَلا أَخْـذُكُـمْ لِـذَاتِ خِـمَارِ
إنَّـهَا أُمُّكُـمْ وَإِنْ عَظُـمَ الْخَـطْـ ۞ ـبُ وَجَـاءَتْ بِـزَلَّـةٍ وَعَـثَارِ
فَلَـهَا حُـرْمَـةُ الـرَّسُـولِ وَحَـقًّا ۞ نِ عَلَـيْنَا مِـنْ سَـتْرِهَـا وَوَقَـارِ
فَهَذِهِ الأَحْكامُ لَمَّا لَمْ يَعْرِفْها سِواهُ باشَرَها بِنَفْسِهِ رضي الله عنه .

• كانَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ رضي الله عنهما مِنَ المُبَشَّرينَ بِالجَنَّة ، وكَم اسْتَماتُوا فِي القِتالِ بَيْنَ يَدَي رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم وفِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ وعُمَرَ وعُثْمانَ رضي الله عنهم ، وكَمْ فَتَحُوا مِنْ أَمْصارٍ ، وكَمْ لَهُمْ مِنْ دَيْنٍ عَلَى المُسْلِمِين ، وقَدْ صَرَّحَ أَكابِرُ أَهْلِ السُّنَّةِ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ نُؤَوِّلَ ما صَدَرَ مِنْهُمْ بِأَحْسَنِ التَّأْوِيلاتِ ونَحْمِلَهُ عَلَى أَحْسَنِ المَحامِلِ ، والمُصِيبُ مِنْهُمْ لَهُ أَجْرانِ ، والمُخْطِئُ لَهُ أَجْرٌ واحِدٌ ، ولا نُسِيءُ الظَّنَّ بِأَحَدٍ مِنْهُمْ صِيانَةً لِحِفْظِ الشَّرِيعَةِ الَّتِي نَقَلُوها لَنا عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ويُقاسُ عَلَى هَذا كُلُّ ما أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ .

وبَعْضُ المُؤَرِّخِينَ والمُغْرِضِينَ يَنْقُلُونَ أَشْياءَ لَمْ تَثْبُتْ بِأَسانِيدَ صَحِيحَة ، وفِيها مُبالَغاتٌ كَثِيرَةٌ فِي حِكاياتِ تِلْكَ الوَقائِع ، فَلا يَنْبَغِي

الالْتِفاتُ إِلَى تِلْكَ المُبالَغاتِ ولا الاعْتِمادُ عَلَيْها ، بَلْ ما ثَبَتَ نَقْلُهُ بِالأَسانِيدِ الصَّحِيحَةِ يُحْمَلُ عَلَى أَحْسَنِ المَحامِلِ ويُطْلَبُ لَهُ أَحْسَنُ التَّأْوِيلاتِ تَحْسِينًا للظَّنِّ بِهِمْ .

وقالَ الإِمامُ اللَّقَّانِي فِي شَرْحِ جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ قَوْلِ صاحِبِ الجَوْهَرَة :

وَأَوِّلِ التَّشَاجُرَ الَّذِي وَرَدْ ۞ إِنْ خُضْتَ فِيهِ وَاجْتَنِبْ دَاءَ الْحَسَدْ

إِنَّ البَحْثَ عمَّا جَرَى بَيْنَ الصَّحابَةِ رضي الله عنهم مِنَ المُوافَقَةِ والمُخالَفَةِ لَيْسَ مِنَ العَقائِدِ الدِّينِيَّةِ ، ولا مِنَ القَواعِدِ الكَلامِيَّةِ ، ولَيْسَ مِمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي الدِّين ، بَلْ رُبَّما أَضَرَّ بِاليَقِين ، لا يُباحُ الخَوْضُ فِيهِ إِلَّا للتَّعْلِيم أَوِ الرَّدِّ عَلَى المُتَعَصِّبِينَ أَوْ فِي تَدْرِيسِ كُتُبٍ تَشْتَمِلُ عَلَى تِلْكَ الآثار ، وأَمَّا العَوامُّ فَلا يَجُوزُ لَهُمُ الخَوْضُ فِيهِ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ وعَدَمِ مَعْرِفَتِهِمْ بِالتَّأْوِيل[1] .

• ويَقُولُ إِمامُ الحَرَمَيْنِ الجُوينِي : إِنَّ مُعاوِيَةَ وإِنْ قاتَلَ عَلِيًّا ؛ فَإِنَّهُ لا يُنْكِرُ إِمامَتَهُ (أَيْ : لا يُنْكِرُ مُعاوِيَةُ إِمامَةَ عَلِيٍّ ولا يَدَّعِيها لِنَفْسِهِ) ، وإِنَّما كانَ يَطْلُبُ قَتَلَةَ عُثْمانَ ظَنًّا مِنْهُ أَنَّهُ مُصِيبٌ ، وكانَ

(١) إِتْحافُ المُرِيد شَرْحُ تُحْفَةِ التَّوْحِيد : اللَّقَّانِي .

مُعاوِيَةُ مُخْطِئًا[1] .

• إنْ قِيلَ قَدْ عَلِمَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِإعْلامِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّ طَلْحَةَ والزُّبَيْرَ يَخْرُجانِ بَعْدَ البَيْعَةِ وتَكُونُ الفِتْنَةُ ويُقْتَلانِ كَما قالَ لأَصْحابِهِ لا تَرَوْنَهُما إلَّا فِي فِتْنَةٍ يُقْتَلانِ فِيها ! فَهَلَّا مَنَعَهُما عَنِ الخُرُوجِ كَما قالَ لَهُ أَصْحابُهُ : مُرْ مَنْ يَرُدُّهُما عَلَيْكَ ؟!

العِقابُ قَبْلَ الفِعْلِ لا يَجُوزُ ، وما طَلَبا إلَّا الخُرُوجَ إلَى العُمْرَة ، والعِقابُ بِالعِلْمِ أَنَّها سَتَكُونُ المَعْصِيَةَ لَمْ يَجُزْ فِي شَرْعِ اللهِ تَعالَى ، ولا فِي قَدَرِهِ العُقُوبَةُ بِالعِلْمِ بَلْ رَتَّبَ اللهُ العُقُوبَةَ (عُقُوبَتَهُ) للعُصاةِ عَلَى أَعْمالِهِمْ لا عَلَى عِلْمِهِ تَعالَى فِيهِمْ فَقالَ : ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ ، وكَذَلِكَ رُسُلُهُ عَلَيْهِمُ السَّلامُ لَمْ يُعاقِبُوا إلَّا عَلَى عَمَلٍ ، وكَذَلِكَ مَنْ مَشَى عَلَى نَهْجِ الرُّسُلِ مِثْلُ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَإنَّهُ هُنا قَدْ عَلِمَ بِإعْلامِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم لَهُ ما يَؤُولُ إلَيْهِ الحالُ ، فَلَمْ يُرَتِّبْ عَلَى عِلْمِهِ حُكْمًا .

ونَظِيرُ فِعْلِهِ هَذا قَوْلُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ (لَمَّا قِيلَ لَهُ عِنْدَما أُخْبِرَ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَٰنِ ابنَ مُلْجَمٍ الشَّقِيَّ قاتِلُهُ أَلا تَقْتُلُهُ) : إنَّهُ لَمْ يَقْتُلْنِي بَعْدُ .

وانْظُرْ كَمْ بَيْنَ هَذِهِ السِّيرَةِ العَلَوِيَّةِ وسِيرَةِ مُلُوكِ الدُّنْيا مِنْ بَعْدِ أَنْ

---

(١) لُمَعُ الأَدِلَّة فِي عَقائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَة : الجُوينِي .

دُفِنَ أَميرُ المُؤْمِنينَ إِلَى يَوْمِ النَّاسِ ؛ لا تَزالُ المُلُوكُ تُنْزِلُ العُقُوباتِ وتُخَلِّدُ فِي سُجُونِها مَنْ تَتَّهِمُ وتَتَخَيَّلُ مِنْهُ أَنَّهُ يَخْرُجُ عَلَيْها ، وإِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَى ذَلِكَ دَلِيلٌ ولا قامَ للظَّنِّ أَمارَةٌ ، وكَمْ عاقَبَتِ الأُمَوِيَّةُ والعَبَّاسِيَّةُ عَوالِمَ مِنَ الأُمَّةِ بِهَذا التَّخَيُّلِ ، وكَمْ هَلَكَتْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ مِنْ أَعْيانِ آلِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِالأَوْهامِ كَما تَحْكِيها كُتُبُ سِيرَةِ الآلِ عَلَيْهِمُ السَّلام ، ثُمَّ اسْتَنَّ الحِراصُ[1] عَلَى المُلْكِ مِنَ المُتَغَلِّبِينَ عَلَيْهِ بِهَذِهِ السُّنَّةِ فِي جَمِيعِ العُصُورِ فِي عامَّةِ البِلاد .

وأَميرُ المُؤْمِنينَ رضي الله عنه اقْتَدَى بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَمَّا وَفَدَ عَلَيْهِ عامِرُ ابنُ الطُّفَيْلِ وقالَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : واللهِ لأَمْلأَنَّها عَلَيْكَ خَيْلًا ورَجِلًا[2] ، وفِي رِوايَةٍ لأَرْبُطَنَّ بِكُلِّ نَخْلَةٍ فَرَسًا ، لَمْ يَفْعَلْ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا .

• بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَ النَّصْرُ لأَميرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ فِي مَوْقِعَةِ الجَمَلِ ، وقَبْلَ أَنْ تَبْدَأَ مَوْقِعَةُ صِفِّين ، وكانَ لا يَزالُ يَرْجُو أَنْ يَفِيءَ مُعاوِيَةُ إِلَى الحَقِّ ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ الشَّواهِدِ الَّتي كانَتْ تُنْبِئُ بِإِصْرارِهِ

---

(١) الحِراصُ : جَمْعُ حَرِيص ؛ كَكَرِيم وكِرام ، وظَرِيفٍ وظِراف .

(٢) وقَدْ كانَ أَرادَ الفَتْكَ بِالنَّبِيِّ فَعَصَمَهُ اللهُ مِنْهُ ورَجَعَ مَعَ قَوْمِهِ حَتَّى إِذا كانَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ قَتَلَهُ اللهُ بِالطَّاعُونِ فِي عُنُقِهِ فَماتَ كافِرًا .

عَلَى مَوْقِفِهِ ، وإعْدادِهِ العَرِيضِ للحَرْبِ والقِتالِ ؛ يَوْمَئِذٍ عَلِمَ الإمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ اثْنَيْنِ مِنْ كِبارِ أَنْصارِهِ يَجْهَرانِ بِشَتْمِ مُعاوِيَةَ ولَعْنِ أَهْلِ الشَّامِ ، هُما : حُجْرُ بنُ عَدِيٍّ ، وعُمَرُ بنُ الحَمْقِ ، فَأَرْسَلَ إلَيْهِما آمِرًا أَنْ يَكُفَّا عَنْ هَذا الشَّتْمِ وهَذا اللَّعْنِ ، فَقَدِما عَلَيْهِ وسَأَلاهُ :

يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، أَلَسْنا عَلَى الحَقِّ وهُمْ عَلَى الباطِلِ ؟

أَجابَهُما الإمامُ : بَلَى ورَبِّ الكَعْبَةِ ، قالا : فَلِمَ تَمْنَعُنا مِنْ شَتْمِهِمْ ولَعْنِهِمْ ؟ قالَ الإمامُ : كَرِهْتُ لَكُما أَنْ تَكُونا شَتَّامَيْنِ لَعَّانَيْنِ ؛ ولَكِنْ قُولا :

«اللهُمَّ احْقِنْ دِماءَنا ودِماءَهُمْ ، وأَصْلِحْ ذاتَ بَيْنِنا وبَيْنِهِمْ ، واهْدِهِمْ مِنْ ضَلالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ ، ويَرْعَوِيَ عَنِ الغَيِّ مَنْ لَجَّ بِهِ» .

• رَوَى ابنُ أَبِي شَيْبَةَ والبَيْهَقِيُّ أَنَّهُ سُئِلَ الإمامُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ أَهْلِ الجَمَلِ : أَمُشْرِكُونَ هُمْ ؟ قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا ، قِيلَ : أَمُنافِقُونَ هُمْ ؟ قالَ : إنَّ المُنافِقِينَ لا يَذْكُرُونَ اللهَ إلَّا قَلِيلًا ، قِيلَ : فَما هُمْ ؟ قالَ : إخْوانُنا بَغَوْا عَلَيْنا ، فَقاتَلْناهُمْ ، وقَدْ فاؤُوا ، وقَدْ قَبِلْنا مِنْهُمْ .

وَقْـعَةُ صِفِّـين

و(صِفِّين) مَوْضِعٌ قُرْبَ الرَّقَّةِ بِسُورِيَّةَ بِشاطِئِ الفُراتِ عَلَى الحُدُودِ السُّورِيَّةِ العِراقِيَّةِ ، وكانَتْ فِيهِ الوَقْعَةُ العُظْمَى بَيْنَ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ ومُعاوِيَةَ فِي شَهْرِ صَفَرٍ سَنَةَ ٣٧ هِجْرِيَّة .

وخُلاصَةُ ما وَقَعَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَرَغَ مِنْ حَرْبِ الجَمَلِ ورَجَعَ إِلَى الكُوفَةِ كَتَبَ إِلَى مُعاوِيَةَ كِتابًا يَدْعُوهُ إِلَى طاعَتِهِ وبَيْعَتِهِ ، وأَرْسَلَ إِلَيْهِ جَرِيرَ بنَ عَبْدِ اللهِ البَجَلِي ، فَلَمَّا قَرَأَهُ مُعاوِيَةُ اغْتَمَّ لِما فِيهِ وذَهَبَتْ بِهِ أَفْكارُهُ كُلَّ مَذْهَبٍ وطاوَلَ جَرِيرًا فِي الجَوابِ ، وخاضَ مَعَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فِي الطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمانَ[1] فَأَجابُوهُ ، وعاضَدَهُ عَلَى ذَلِكَ عَمْرُو بنُ العاصِ بِرَأْيِهِ ودَهائِهِ حَتَّى جَمَعَ مُعاوِيَةُ أَهْلَ الشَّامِ وخَرَجَ إِلَى ((صِفِّين)) ، وخَرَجَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الكُوفَةِ ، وكانَ مِنْ أَمْرِ القِتالِ وما اتَّفَقَ مِنَ المَعارِكِ والقِتالِ ما مُلِئَتْ بِهِ كُتُبُ التَّوارِيخِ وكانَ أَعْظَمُهُ لَيْلَةَ الهَرِيرِ ويَوْمَهُ : فَإِنَّهُ كانَ فِيهِ مِنَ القِتالِ ما لَمْ يَتَّفِقْ مِثْلُهُ مِنْ قَبْلُ ؛ وذَلِكَ أَنَّهُ زَحَفَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ فارْتَمَوْا بِالنَّبْلِ والحِجارَةِ حَتَّى فَنِيَتْ ، ثُمَّ تَطاعَنُوا بِالرِّماحِ حَتَّى تَكَسَّرَتْ

---

(١) وهُنا يُذْكَرُ المَثَلُ العَلَوِي : ((كَلِمَةُ حَقٍّ أُرِيدَ بِها باطِلٌ)) ، وقَوْلُ الشَّاعِرِ : ((وأَقُولُ شامٌ والمُرادُ عِراقٌ)) ، وقَوْلُ اللهِ تَعالَى : ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ﴾ .

وانْدَقَّتْ ، ثُمَّ مَشَى القَوْمُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بالسُّيُوفِ وعُمُدِ الحَدِيدِ ، فَلَمْ يَسْمَعِ السَّامِعُونَ إِلَّا وَقْعَ الحَدِيدِ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ لَهُوَ أَشَدُّ هَوْلاً فِي صُدُورِ الرِّجالِ مِنَ الصَّواعِقِ فِي جِبالِ تِهامَةَ يَدُكُّ بَعْضُها بَعْضًا ، وانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ بِالنَّقْعِ(١) ، وثارَ القَتامُ(٢) والقَسْطَلُ(٣) ، وضَلَّتِ الأَلْوِيَةُ والأَعْلامُ ، واجْتَلَدُوا بالسُّيُوفِ وعُمُدِ الحَدِيدِ مِنْ صَلاةِ الغَداةِ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ ، وافْتَرَقُوا عَنْ آلافِ القَتْلَى فِي ذَلِكَ اليَوْمِ وتِلْكَ اللَّيْلَةِ وهِيَ لَيْلَةُ الهَرِيرِ المَشْهُورَةُ ، وكانَ الأَشْتَرُ رَحِمَهُ اللهُ فِي مَيْمَنَةِ جَيْشِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ وأَمِيرُ المُؤْمِنِينَ فِي القَلْبِ .

ولَمَّا كادَ الفَتْحُ أَنْ يَتِمَّ لأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنه ، نَصَبَ مُعاوِيَةُ وأَهْلُ الشَّامِ المَصاحِفَ عَلَى رُؤُوسِ الرِّماحِ وهُمْ يُنادُونَ : كِتابُ اللهِ بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ ، ونادَى النَّاسُ مِنْ كُلِّ جانِبٍ : المُوادَعَة ، المُوادَعَة .

وقالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ : أَنا أَحَقُّ مَنْ أَجابَ الكِتاب ، وَيْحَكُمْ إِنَّها كَلِمَةُ حَقٍّ يُرادُ بِها باطِلٌ ، ما رَفَعُوها أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَها ويَعْلَمُونَ ما فِيها ، لَكِنَّها المَكِيدَةُ والخَدِيعَةُ والوَهَنُ ، فَأَعِيرُونِي سَواعِدَكُمْ ساعَةً واحِدَةً فَقَدْ بَلَغَ الحَقُّ مَقْطَعَهُ ولَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يُقْطَعَ دابِرُ الظَّالِمِين .

ثُمَّ جاءَ إِلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ زُهاءُ عِشْرِينَ أَلْفًا مِنْ أَصْحابِهِ بِصِفِّينَ

---

(١) ، (٢) ، (٣) : الغُبارُ بِأَشْكالِهِ المُخْتَلِفَة .

مُقَنَّعِينَ بِالحَدِيدِ يَحْمِلُونَ سُيُوفَهُمْ عَلَى عَواتِقِهِمْ قَدِ اسْوَدَّتْ جِباهُهُمْ مِنَ السُّجُود ، وهُمُ الَّذينَ صارُوا المَوارِقَ ، وقالُوا : يا أَمِيرَ المُؤْمِنينَ أَجِبِ اليَوْمَ كِتابَ اللهِ إذا دُعِيتَ إِلَيْهِ وإِلَّا قاتَلْناكَ كَما قاتَلْنا عُثْمانَ (وبِذا يَتَّضِحُ أَنَّ المُتَحَزِّبِينَ لِقَتْلِ الخَلِيفَةِ عُثْمانَ رضي الله عنه هُمُ المُتَحَزِّبُونَ أَخِيرًا لِقِتالِ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ رضي الله عنه ، وهُمُ الخَوارِجُ ، وبِهَذا نَعْلَمُ أَنَّ الخَوارِجَ أَصْلُ الفِتَنِ الثَّلاثِ بَلِ الأَرْبَعِ : قَتْلُ عُثْمانَ ، ثُمَّ أَهْلُ الجَمَلِ ، ثُمَّ مَنْعُ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ مِنِ اسْتِئْصالِ أَهْلِ صِفِّينَ ، ثُمَّ تَأَلُّبُهُمْ عَلَى قِتالِهِ بَعْدَ أَنْ أَكْرَهُوهُ عَلَى قَبُولِ تِلْكَ الخَدِيعَةِ ، والخامِسَةُ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهِمْ حَيْثُ باشَرُوا قَتْلَهُ رضي الله عنه عَنِ اتِّفاقٍ مِنْ جَمِيعِهِمْ كَما تَحْكِيهِ كُتُبُ السِّيَرِ) .

واخْتَلَفَتْ كَلِمَةُ أَصْحابِ عَلِيٍّ رضي الله عنه وأَحَبُّوا الإِجابَةَ فَكانَ مِنْ أَمْرِ التَّحْكِيمِ ما كانَ ، وأَمِيرُ المُؤْمِنينَ كانَ كارِهًا لِذَلِكَ لَكِنْ أَطْبَقَ عَلَيْهِ عامَّةُ مَنْ لَدَيْهِ واخْتارُوا أَبا مُوسَى الأَشْعَرِي واخْتارَ مُعاوِيَةُ عَمْرَو بنَ العاص ، فَتَمَّ مِنْ خَدِيعَةِ عَمْرٍو لأَبِي مُوسَى ما تَمَّ مِمَّا هُوَ مَعْرُوفٌ ، ورَجَعَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ عَلِيٌّ إِلَى العِراقِ ومُعاوِيَةُ إِلَى الشَّام ، ودَخَلَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ رضي الله عنه الكُوفَة ، واشْتَغَلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَمْرِ الخَوارِج .

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾

• **إِخْبارُهُ ﷺ عَمَّارَ بنَ ياسِر بِقَتْلِه عَلَى يَدِ الفِئَةِ الباغِيَة** : جاءَ فِي صَحِيحِ البُخارِي عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قالَ : كُنَّا فِي بِناءِ المَسْجِدِ نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً ، وعَمَّارُ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَفَضَ التُّرابَ عَنْهُ ، وهُوَ يَقُولُ : (وَيْحَ عَمَّار ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ الباغِيَة ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ ويَدْعُونَهُ إِلَى النَّار) ، وقَدِ اسْتُشْهِدَ عَمَّارٌ رضي الله عنه وهُو يُقاتِلُ فِي صَفِّ الإمامِ عَلِيٍّ فِي صِفِّين .

• نادَى رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ يَوْمَ صِفِّينَ ، فَقالَ : أَفِيكُمْ أُوَيْسٌ القَرَنِيُّ ، قالُوا : نَعَمْ ، قالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (إِنَّ مِنْ خَيْرِ التَّابِعِينَ أُوَيْسًا القَرَنِيَّ) ؛ وقَدْ كانَ أُوَيْسٌ خَرَجَ مَعَ الإمامِ عَلِيٍّ فِي مَوْقِعَةِ صِفِّينَ وتَمَنَّى الشَّهادَةَ ودَعا اللهَ قائِلًا : اللهُمَّ ارْزُقْنِي شَهادَةً تُوجِبُ لِي الحَياةَ والرِّزْق .

والحَمْدُ للهِ قَدْ يَسَّرَ اللهُ لِي الذَّهابَ إِلَى ((مَدِينَةِ الرَّقَّةِ بِسُورِيَّا)) وزِيارَةَ مَرْقَدِ سَيِّدِنا عَمَّارِ بنِ ياسر ، ومَرْقَدَ سَيِّدِنا أُوَيْسٍ بِتَوْجِيهٍ ودَعْمٍ مِنْ (سَيِّدِي مَحْرُوس المَدِينَة مَحْسُوب نَبِينا) وَسَّعَ اللهُ مَدَدَهُ وأَطالَ مُدَدَهُ وأَيَّدَ مَعَ العِزَّةِ عَدَدَهُ ووَلَدَهُ .. آمِين .

أَمْرُ الخَوارِجِ وصِفَةُ الفِرْقَةِ المارِقَة

قالَ العَلَّامَةُ مُحَمَّدُ بنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِي رَحِمَهُ اللّهُ تَعالَى : لَمَّا انْقَضَى أَمْرُ صِفِّينَ والتَّحْكِيمُ دَخَلَ الإمامُ عَلِيٌّ رضي الله عنه الكُوفَةَ ودَخَلَ مَعَهُ خَلْقٌ مِنَ الخَوارِجِ كَثِيرٌ ، وتَخَلَّفَ ناسٌ مِنْهُمْ بِالنُّخَيْلَةِ[1] وغَيْرِها ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه فِي الكُوفَةِ رُؤَساءُ الخَوارِجِ وقالُوا لَهُ : تُبْ مِنْ خَطِيئَتِك واخْرُجْ بِنا إِلَى مُعاوِيَةَ نُجاهِدْهُ ، فَقالَ لَهُمْ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ((إِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنِ الحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ ثُمَّ الآنَ تَجْعَلُونَها ذَنْبًا ؟ أَما إِنَّها لَيْسَتْ بِمَعْصِيَةٍ ولَكِنَّها عَجْزٌ مِنَ الرَّأْيِ وضَعْفٌ فِي التَّدْبِيرِ وقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ)) .

فَقالَ لَهُ زَرْعَةُ (مِنْ رُؤَسائِهِمْ) : أَما واللّهِ لَئِنْ لَمْ تَتُبْ مِنْ تَحْكِيمِكَ الرِّجالَ لأُقاتِلَنَّكَ أَطْلُبُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللّهِ ورِضْوانَهُ .

قالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ رضي الله عنه : ((بُؤْسًا لَكَ ما أَشْقاكَ كَأَنِّي بِكَ قَتِيلًا تَسْفِي عَلَيْكَ الرِّياحُ)) .

قالَ زَرْعَة : وَدِدْتُ لَوْ أَنَّهُ كانَ ذَلِكَ .

وخَرَجَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يَخْطُبُ النَّاسَ فَصاحُوا بِهِ مِنْ جَوانِبِ المَسْجِدِ لا

---

(١) مَوْضِعٌ بالعِراقِ فِيهِ كانَ قِتالُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ للخَوارِج .

حُكْمَ إِلَّا لله ، وصاحَ رَجُلٌ : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ .

فَقالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه : ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ .

[انْظُرِ احْتجاجَ أَهْلِ اللَّجاجِ كَما يُقالُ : بَلْهاءُ تُطْلِعُنِي عَلَى أَسْرارِها ، وأَيْنَ الآيَةُ مِنْ مَحَلِّ النِّزاعِ وقَدْ كانُوا إِلَى التَّوْبَةِ أَحْوَجَ عَلَى زَعْمِهِمْ لأَنَّهُمْ هُمُ الَّذينَ اخْتارُوا قَبُولَ الهُدْنَةِ والتَّحْكِيمَ أَوَّلًا ، وهَكَذا يَكُونُ ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ ﴿كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾] .

وذَكَرَ أَبو العَبَّاسِ المُبَرِّدُ فِي كِتابِهِ (الكامِل) وغَيْرُهُ : أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنينَ عَلِيًّا رضي الله عنه وَجَّهَ إِلَيْهِمْ ابنَ عَبَّاسٍ لِيُناظِرَهُمْ ، فَقالَ لَهُمْ : ما الَّذِي نَقَمْتُمْ عَلَى أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ؟

قالُوا : قَدْ كانَ للمُؤْمِنينَ أَمِيرًا فَلَمَّا حَكَّمَ فِي دِينِ اللهِ خَرَجَ عَنِ الإيمانِ فَلْيَتُبْ بَعْدَ إِقْرارِهِ بالكُفْرِ نَعُدْ لَهُ .

قالَ ابنُ عَبَّاس : ما يَنْبَغِي لِمُؤْمِنٍ لَمْ يَشُبْ (يَخْلِط) إيمانَهُ بشَكٍّ أَنْ يُقِرَّ عَلَى نَفْسِهِ بِالكُفْرِ ، قالُوا : إِنَّهُ حَكَّمَ ، قالَ : إِنَّ اللهَ أَمَرَ بِالتَّحْكِيمِ

فِي قَتْلِ صَيْدٍ فَقالَ : ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ ، فَكَيْفَ فِي إمامَةٍ قَدْ أَشْكَلَتْ عَلَى المُسْلِمِينَ ، فَقالُوا : إِنَّهُ حُكِّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرْضَ .

قالَ : إِنَّ الحُكُومَةَ كالإِمامَةِ ومَتَى فَسَقَ الإِمامُ وَجَبَتْ مَعْصِيَتُه .

[وجَعَلَ اللهُ الحُكُومَةَ فِي أَمْرِ امْرَأَةٍ فَقالَ تَعالَى : ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ وقَدِ احْتَجَّ بِالآيَةِ فِي ذَلِكَ المَقامِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] .

وكَذَلِكَ الحَكَمانِ لَمَّا خالَفا نُبِذَتْ أَقْوالُهُما ، فَقالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : اجْعَلُوا احْتِجاجَ قُرَيْشٍ حُجَّةً عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ هَذا مِنَ الَّذينَ قالَ اللهُ فِيهِمْ : ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ ، وقالَ جَلَّ ثَناؤُهُ : ﴿وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ .

قالَ أَبو العَبَّاسِ المُبَرِّد : ولَمَّا لَمْ تَنْفَعْ فِيهِمُ المُناظَرَةُ وخَرَجُوا ، وافَقَهُمْ (واجَهَهُمْ) عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالنَّهْرَوان ، قالَ : لا تَبْدَأُوهُمْ بِقِتالٍ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ ، فَحَمَلَ مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَى صَفِّ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلاثَةَ أَنْفارٍ وهُوَ يَقُولُ :

أَقْتُلُـهُمْ وَلا أَرَى عَلِـيًّا ۞ وَلَوْ بَدَا أَوْجَرْتُهُ الْخَطِّيَّا[1]

فَخَرَجَ إِلَيْه عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَضَرَبَهُ فَقَتَلَهُ ، فَلَمَّا خالَطَهُ السَّيْفُ قالَ : يا حَبَّذا الرَّوْحَةُ إِلَى الجَنَّة .

---

(١) هُوَ مِنْ أَسْماءِ الرُّمْحِ مَنْسُوبٌ إِلَى الخَطِّ (مَوْضِعٌ بِاليَمامَة) ؛ وهُوَ خَطُّ هَجَر ، تُنْسَبُ إِلَيْهِ الرِّماحُ الخَطِّيَّة ، وأَوْجَرْتُهُ : أَلْقَمْتُهُ .

وكانَ عَلَى مَيْمَنَةِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ أبو أَيُّوبَ الأَنْصارِي رَضِيَ اللهُ عَنهُ ، فَقالَ عَلِيٌّ : ((احْمِلْ عَلَيْهِمْ ، فَواللهِ لا يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ ولا يَسْلَمُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ)) فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ رَضِيَ اللهُ عَنهُ فَطَحَنَهُمْ طَحْنًا وقُتِلَ مِنْ أَصْحابِهِ تِسْعَةٌ ، وأَفْلَتَ مِنَ الخَوارِجِ ثَمانِيَةٌ .

وفِي الجامِعِ الكَبِيرِ عَنْ أَبِي وائِلٍ قالَ : لَمَّا كُنَّا بِصِفِّينَ اشْتَجَرَ (اشْتَدَّ) القَتْلُ بِأَهْلِ الشَّامِ ، فَرَجَعَ عَلِيٌّ إِلَى الكُوفَةِ وقالَ فِيهِ الخَوارِجُ ما قالُوا ونَزَلُوا (حَرُوراءَ)[1] وهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ إِلَيْهِمْ يُناشِدُهُمُ اللهَ : ((ارْجِعُوا إِلَى خَلِيفَتِكُمْ فِيمَ نَقَمْتُمْ عَلَيْهِ أَفِي قِسْمَةٍ أَوْ قَضاءٍ ؟)) .

قالُوا : نَخافُ أَنْ نَدْخُلَ فِي فِتْنَةٍ ، قالُوا : فَلا تُعَجِّلُوا ضَلالَةَ العامِ مَخافَةَ فِتْنَةِ عامٍ قابِلٍ ، قالَ : فَرَجَعُوا ؛ فَقالُوا : نَكُونُ عَلَى ناحِيَتِنا فَإِنْ قَبِلَ القَضِيَّةَ قاتَلْناهُ عَلَى ما قاتَلْنا عَلَيْهِ أَهْلَ الشَّامِ بِصِفِّينَ وإِنْ نَقَضَها قاتَلْنا مَعَهُ فَسارُوا حَتَّى قَطَعُوا نَهْرَوان[2] ، وافْتَرَقَتْ مِنْهُمْ فِرْقَةٌ يَقْتُلُونَ النَّاسَ ، فَقالَ أَصْحابُهُمْ : ما عَلَى هَذا فارَقْنا عَلِيًّا . فَلَمَّا بَلَغَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنهُ صَنِيعُهُمْ قامَ فَقالَ : تَسِيرُونَ إِلَى عَدُوِّكُمْ أَوْ تَرْجِعُونَ

---

(١) قَرْيَةٌ بِالكُوفَةِ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْها .

(٢) النَّهْرَوان : ثَلاثُ قُرًى بَيْنَ واسِط وبَغْداد .

إِلَى هَؤُلاءِ الَّذِينَ خَلَفُوكُمْ فِي دِيارِكُمْ ؟

قالُوا : بَلْ نَرْجِعُ إِلَيهِمْ ، قالَ : فَحَدَّثَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : (إِنَّ طائِفَةً تَخْرُجُ مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ عِنْدَ اخْتِلافِ النَّاسِ لا تَرَوْنَ جِهادَكُمْ مَعَ جِهادِهِمْ شَيْئًا ولا صَلاتَكُمْ مَعَ صَلاتِهِمْ شَيْئًا ولا صِيامَكُمْ مَعَ صِيامِهِمْ شَيْئًا ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، عَلامَتُهُمْ رَجُلٌ عَضُدُهُ كَثَدْيِ المَرْأَة ، يَقْتُلُهُمْ أَقْرَبُ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الحَقِّ)) ، فَسارَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَيْهِمْ فاقْتَتَلُوا قِتالًا شَدِيدًا فَجَعَلَتْ خَيْلُ عَلِيٍّ[1] تَقُومُ لَهُمْ ، فَقالَ لَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((يا أَيُّها النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ إِنَّما تُقاتِلُونَهُمْ فِيَّ فَوَاللهِ ما عِنْدِي ما أَجْزِيكُمْ بِهِ ، وإِنْ كُنْتُمْ إِنَّما تُقاتِلُونَهُمْ للهِ تَعالَى فَلا يَكُونَنَّ هَذا قِتالَكُمْ ، فَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ فَقَتَلُوهُمْ كُلَّهُمْ ، فَقالَ : ابْتَغُوهُ ؛ يَعْنِي صاحِبَ الثُّدَيَّةِ ، فَطَلَبُوهُ فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَرَكِبَ عَلِيٌّ دابَّتَهُ وانْتَهَى إِلَى وَهْدَةٍ مِنَ الأَرْضِ ، وقَلَّبَ المَوْتَى ظَهْرًا لِبَطْنٍ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ فَساءَهُ ذَلِكَ وجَعَلَ يَقُولُ : ((واللهِ ما كُذِبْتُ ولا كَذَبْتُ اطْلُبُوا الرَّجُلَ فَإِنَّهُ لَفِي القَوْمِ)) ، فَلَمْ يَزَلْ يَطْلُبُهُ حَتَّى وَجَدَهُ وهُوَ رَجُلٌ مُخْدَجُ[2] اليَدِ كَأَنَّها ثَدْيٌ فِي صَدْرِهِ وكانَ رَجُلًا أَسْوَدَ

---

(١) أَيْ أَصْحابُ خَيْلِهِ عَلَى حَدِّ يا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي .

(٢) المُخْدَجُ : النَّاقِص .

مُنْتِنَ الرِّيحِ لَهُ يَدٌ كَثَدْيِ المَرْأَةِ إذا مُدَّتْ كانَتْ بِطُولِ اليَدِ الأُخْرَى وإِنْ تُرِكَتْ اجْتَمَعَتْ وتَقَلَّصَتْ وصارَتْ كَثَدْيِ المَرْأَةِ عَلَيْها شَعَراتٌ مِثْلَ شَعَراتِ الهِرَّةِ ، فَلَمَّا وَجَدُوهُ قَطَعُوا يَدَهُ ونَصَبُوها عَلَى رُمْحٍ ، ثُمَّ جَعَلَ عَلِيٌّ رضي الله عنه يُنادِي : ((صَدَقَ اللهُ وبَلَّغَ رَسُولُهُ)) ، لَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ هُوَ وأَصْحابُهُ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ أَوْ كادَتْ .

وذَكَرَ المُحَدِّثُ أَبو البَرَكاتِ ابنُ تَيْمِيَة (تُوفِّيَ فِي القَرْنِ السَّابِعِ مِنَ الهِجْرَة) فِي المُنْتَقَى ؛ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بنِ وَهْبٍ وكانَ فِي الجَيْشِ الَّذِينَ سارُوا إِلَى الخَوارِجِ مَعَ عَلِيٍّ رضي الله عنه فَقالَ عَلِيٌّ : يا أَيُّها النَّاسُ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي يَقْرَأُونَ القُرْآنَ لَيْسَتْ قِراءَتُكُمْ إِلَى قِراءَتِهِمْ شَيْئًا ولا صَلاتُكُمْ إِلَى صَلاتِهِمْ شَيْئًا[1] ، ولا صِيامُكُمْ إِلَى صِيامِهِمْ شَيْئًا ، يَقْرَأُونَ القُرْآنَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُ لَهُمْ وهُوَ عَلَيْهِمْ ، لا تُجاوِزُ صَلاتُهُمْ تَراقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلامِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ، لَوْ يَعْلَمُ الجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ ما قَضَى لَهُمْ عَلَى لِسانِ نَبِيِّهِمْ لاتَّكَلُوا عَلَى العَمَلِ ، وآيَةُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهِمْ رَجُلًا لَهُ عَضُدٌ لَيْسَ لَهُ ذِراعٌ ، عَلَى عَضُدِهِ مِثْلُ حَلَمَةِ الثَّدْيِ عَلَيْهِ شَعَراتٌ بِيضٌ) .

---

(١) بِشَيْءٍ فِي رِوايَةِ مُسْلِم ، وفِي كَنْزِ العُمَّالِ كَما هُنا .

وعَنْ أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : بَيْنَما نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ وهُوَ يُقَسِّمُ قَسْمًا أَتاهُ ذُو الخُوَيْصِرَةِ[1] ، وهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيم قالَ : يا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ ، فَقالَ : (وَيْلَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ ؛ قَدْ خِبْتُ وخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ) .

فَقالَ عُمَرُ : يا رَسُولَ اللهِ ائْذَنْ لِي فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ .

قالَ : (دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ مَعَ صَلاتِهِمْ وصِيامَهُ مَعَ صِيامِهِمْ ، يَقْرَأُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ) إِلَى قَوْلِهِ (وفِيهِمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ أَحَدُ عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ المَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ البَضْعَةِ تُدَرْدِرُ[2] ، يَخْرُجُونَ عَلى خَيْرِ فِرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ)[3] .

قالَ أَبو سَعِيدٍ : فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، وأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بنَ أَبِي طالِبٍ قاتَلَهُمْ وأَنا مَعَهُ ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ فالْتُمِسَ فَأُتِيَ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذي نَعَتَهُ .

وفِي الجامِعِ الكَبِيرِ للحافِظِ السُّيُوطِي رَحِمَهُ اللهُ ، عَنْ جُنْدُب ، قالَ : لَمَّا فارَقَتِ الخَوارِجُ عَلِيًّا خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ وخَرَجْنا مَعَهُ فانْتَهَيْنا إِلَى

---

(١) واسْمُهُ حُرْقُوص بنُ زُهَيْرٍ البَجَلِي . (٢) تُرَجْرِجُ : تَجِيءُ وتَذْهَبُ .
(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ ومُسْلِم .

مُعَسْكَرِ القَوْمِ فإِذا لَهُمْ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ مِنْ قِراءَةِ القُرْآنِ ، وإِذا فِيهِمْ أَصْحابُ النِّقابِ وأَصْحابُ لبَرانِس ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ داخَلَنِي مِنْ ذَلِكَ شِدَّةٌ ، فَتَنَحَّيْتُ فَرَكَزْتُ رُمْحِي ونَزَلْتُ عَنْ فَرَسِي ووَضَعْتُ بُرْدَتِي ونَشَرْتُ عَلَيْهِ دِرْعِي ، فَأَخَذْتُ بِمِقْوَدِ فَرَسِي فَقُمْتُ أُصَلِّي إِلَى رُمْحِي وأَنا أَقُولُ فِي صَلاتِي : اللهُمَّ إِنْ كانَ قِتالُ هَؤُلاءِ القَوْمِ لَكَ طاعَةً فَأْذَنْ لِي فِيهِ وإِنْ كانَ مَعْصِيَةً فَأَرِنِي بِرَأْيِك ، فَبَيْنا أَنا كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ عَلِيُّ ابنُ أَبِي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَلَمَّا جاءَ إِلَيَّ قالَ : تَعَوَّذْ بِاللهِ يا جُنْدُبُ مِنْ شَرِّ السَّخَط .

فَجِئْتُ أَسْعَى إِلَيْهِ ونَزَلَ فَقامَ يُصَلِّي إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ فَقالَ : يا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَلَكَ حاجَةٌ فِي القَوْمِ ؟ قالَ : وما ذاكَ ؟ قالَ : قَطَعُوا النَّهْرَ فَذَهَبُوا ، قالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «ما قَطَعُوهُ» ، قالَ : سُبْحانَ اللهِ !

ثُمَّ جاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقالَ : قَدْقَطَعُوا النَّهْرَ ، فَقالَ عَلِيٌّ : ما قَطَعُوهُ ، قالَ : سُبْحانَ اللهِ ، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فَقالَ : قَدْ قَطَعُوا النَّهْرَ فَذَهَبُوا ، فَقالَ عَلِيٌّ : ما قَطَعُوهُ ، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فَقالَ : قَدْ قَطَعُوا النَّهْرَ فَذَهَبُوا ، فَقالَ عَلِيٌّ : ما قَطَعُوهُ ولا يَقْطَعُونَهُ ولَيُقْتَلُنَّ دُونَهُ ، عَهْدٌ مِنَ اللهِ تَعالَى ورَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ رَكِبَ فَقالَ لِي : «يا جُنْدُبُ ، أَمَّا أَنا فَأَبْعَثُ

إِلَيْهِمْ رَجُلًا يَقْرَأُ الْمُصْحَفَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتابِ رَبِّهِمْ وسُنَّةِ نَبِيِّهِمْ ، فَلا يُقْبِلُ عَلَيْنا بِوَجْهِهِ حَتَّى يَرْشُقُوهُ بِالنَّبْلِ ؛ يا جُنْدُبُ أَما إِنَّهُ لا يُقْتَلُ مِنَّا عَشَرَةٌ ولا يَنْجُو مِنْهُم عَشَرَةٌ ثُمَّ قالَ : مَنْ يَأْخُذُ هَذا الْمُصْحَفَ فَيَمْشِي بِهِ إِلَى هَؤُلاءِ الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ إِلَى كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ وهُوَ مَقْتُولٌ ولَهُ الْجَنَّةُ؟)) .

فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَّا شابٌّ مِنْ بَنِي عامِرِ بنِ صَعْصَعَةَ ، فَلَمَّا رَأَى عَلِيٌّ حَداثَةَ سِنِّهِ قالَ لَهُ : ((ارْجِعْ إِلَى مَوْقِفِكَ)) ، ثُمَّ نادَى ثانِيَةً فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّابُّ ، ثُمَّ نادَى الثَّالِثَةَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِ إِلَّا ذَلِكَ الشَّابُّ ، فَقالَ لَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه : خُذْ هَذا الْمُصْحَفَ ، أَما إِنَّكَ مَقْتُولٌ ولَسْتَ مُقْبِلًا عَلَيْنا بِوَجْهِكَ حَتَّى يَرْشُقُوكَ بِالنَّبْلِ ، فَخَرَجَ الشَّابُّ بِالْمُصْحَفِ إِلَى الْقَوْمِ فَلَمَّا دَنا مِنْهُمْ حَيْثُ يَسْمَعُونَ قامُوا ونَشَبُوا الْفَتَى قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ فَرُمِيَ الشَّابُّ فَأَقْبَلَ عَلَيْنا بِوَجْهِهِ فَقَعَدَ ، فَقالَ عَلِيٌّ : دُونَكُمُ الْقَوْمَ ، قالَ جُنْدُب : فَقَتَلْتُ بِكَفِّي هَذِهِ ثَمانِيَةً قَبْلَ أَنْ أُصَلِّيَ الظُّهْرَ ، وما قُتِلَ مِنَّا عَشَرَةٌ ولا نَجا مِنْهُمْ عَشَرَةٌ كَما قالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه [1] .

وذَكَرَ الْفَقِيهُ حُمَيْدٌ رَحِمَهُ اللهُ تَعالَى فِي شَرْحِهِ بَعْضًا مِنَ الرِّواياتِ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرانِي فِي الأَوْسَط .

فِي الخَوارِجِ ، ولَمْ يَسْتَوْفِ كَما سُقْناهُ إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ ما لَمْ نَذْكُرْهُ فِيما مَضَى ، فَذَكَرَ سَنَدَهُ إِلَى ابنِ عَبَّاس ، قالَ : كانَ ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جالِسًا بِمَكَّةَ يُحَدِّثُ النَّاسَ عَلَى شَفِيرِ زَمْزَمَ فَلَمَّا انْقَضَى حَدِيثُهُ ، نَهَضَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ فَقالَ : يا ابنَ عَبَّاس ، إِنِّي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام .

قالَ ابنُ عَبَّاس : أَهْلُ الشَّامِ أَعْوانٌ لِكُلِّ ظالِمٍ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللهُ مِنْكُمْ ، سَلْ عَمَّا بَدا لَكَ .

قالَ : يا ابنَ عَبَّاس ، إِنِّي جِئْتُكَ أَسْأَلُكَ عَنْ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ وقَتْلِهِ أَهْلَ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَمْ يَكْفُروا بِقِبْلَةٍ ولا حَجٍّ ولا صِيامِ رَمَضانَ ، فَقالَ لَهُ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ ، سَلْ عَمَّا يَعْنِيكَ ، فَقالَ : يا عَبْدَ اللهِ ما جِئْتُ إِلَيْكَ أَضْرِبُ مِنْ حِمْصٍ لِحَجٍّ ولا عُمْرَة ، ولَكِنْ أَتَيْتُكَ لِتُخْرِجَ لِي أَمْرَ عَلِيٍّ وفِعالَهُ .

فَقالَ لَهُ : وَيْحَكَ إِنَّ عِلْمَ العالِمِ صَعْبٌ لا يُحْتَمَلُ ولا تَقْرَبُهُ القُلُوبُ ؛ أُخْبِرُكَ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مَثَلُهُ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَثَلِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ والعالِمِ (الخَضِر) وذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعالَى ذَكَرَهُ فَقالَ فِي كِتابِهِ : ﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ﴾ .

فَكانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَرَى أَنَّ جَمِيعَ الأَشْياءِ كَما أُثْبِتَتْ لَهُ ؛ كَما تَرَوْنَ

أَنْتُمْ أَنَّ عُلَماءَكُمْ أَثْبَتُوا لَكُمْ جَمِيعَ الأَشْياء ، وكانَ مُوسَى عليه السلام لا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْهُ فِي زَمانِهِ ، فَلَمَّا انْتَهَى مُوسَى عليه السلام إِلَى شاطِئِ البَحْرِ لَقِيَ العالِمَ الَّذي قالَ اللّٰهُ تَعالَى فِيهِ : ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ ، فاسْتَنْطَقَهُ فَأَقَرَّ لَهُ مُوسَى عليه السلام بِفَضْلِ عِلْمِهِ ولَمْ يَحْسِدْهُ كَما حَسَدْتُمْ أَنْتُمْ عَلِيًّا ؛ فَقالَ لَهُ مُوسَى عليه السلام ورَغِبَ إِلَيْهِ : ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ، فَعَلِمَ العالِمُ أَنَّ مُوسَى عليه السلام لا يُطِيقُ صُحْبَتَهُ ولا يُطِيقُ عَلَى عِلْمِهِ فَقالَ لَهُ : ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ ، فَقالَ مُوسَى عليه السلام وهُوَ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ : ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ، ورَكِبا فِي السَّفِينَةِ فَخَرَقَها فَكانَ خَرْقُها لِلّٰهِ رِضًا وسَخَطًا لِمُوسَى عليه السلام ، ولَقِيَ الغُلامَ فَقَتَلَهُ وأَسْخَطَ ذَلِكَ مُوسَى عليه السلام ، فَكانَ قَتْلُهُ لِلّٰهِ رِضًا ، وأَمَّا الجِدارُ فَكانَ إِقامَتُهُ لِلّٰهِ رِضًا وكانَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ خَطَأً .

❁❁❁❁❁

اسْتِشْهادُهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

لازَمَ الْمِحْرَابَ وَالْحَرْبَ إِلَى ۞ أَنْ أَتَى أَشْقَى الْوَرَىٰ الْأَمْرَ الْفَرِيَّا

وَمَضَى نَحْوَ جِوَارِ الْمُصْطَفَىٰ ۞ حَبَّذَا دَارٌ وَجَارٌ قَدْ تَهَيَّا

قَائِلاتٌ حُورُهَا حِينَ أَتَى ۞ مَرْحَبًا أَهْلًا بِذَا الرُّوحِ وَحَيَّا

لَمَّا خَرَجَ الإِمامُ عَلِيٌّ لِصَلاةِ الفَجْرِ بِالكُوفَةِ لَقِيَهُ ابنُ مُلْجَمٍ وكانَ مُتَرَصِّدًا لَهُ ، فَضَرَبَهُ عَلَى قَرْنِهِ بِالسَّيْفِ ، وكانَ ذَلِكَ يَوْمَ الجُمُعَةِ لِثَلاثَ عَشْرَةَ بَقِيَتْ مِنْ رَمَضان (١٧ رَمَضان) سَنَةَ ٤٠ هـ ، فَبَقِيَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الجُمُعَةَ والسَّبْتَ ، وقُبِضَ الأَحَدَ ، وغَسَّلَهُ ابْناهُ الحَسَنُ والحُسَيْنُ ومَعَهُما عَبْدُ اللّهِ بنُ جَعْفَرِ بنِ أَبي طالِب ، وصَلَّى عَلَيْهِ ابْنُهُ الإِمامُ الحَسَنُ ودُفِنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي السَّحَر .

وَلا عَجَبًا لِلأُسْدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا ۞ كِلابُ الأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

فَحَرْبَةُ وَحْشِيٍّ سَقَتْ حَمْزَةَ الرَّدَىٰ ۞ وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حُسَام ابْنِ مُلْجَمِ

أَخْرَجَ أَحْمَدُ بنُ حَنْبَل فِي المَناقِبِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رَسُولُ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يا عَلِيُّ أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِين ؟) ، قُلْتُ : اللّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَم ، قالَ : (عاقِرُ ناقَةِ ثَمُود ، أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الآخِرين ؟) ، قُلْتُ : اللّهُ ورَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قالَ : (قاتِلُك) .

وخَرَّجَهُ ابنُ الضَّحَّاكِ وقالَ : (أَشْقَى الآخِرِينَ الَّذي يَضْرِبُكَ عَلى هَذِهِ ، فَيَبِلُّ مِنْها هَذِهِ وأَخَذَ بِلِحْيَتِه) .

وأَخْرَجَ أَبو حاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ صُهَيْبٍ قالَ : قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِعَلِيٍّ : (مَنْ أَشْقَى الأَوَّلِينَ يا عَلِيُّ ؟) ، قالَ : الَّذي عَقَرَ ناقَةَ صالِح .

قالَ : (صَدَقْتَ ، فَمَنْ أَشْقَى الآخِرِين ؟) ، قالَ : اللهُ ورَسُولُهُ أَعْلَم .

قالَ : (أَشْقَى الآخِرِينَ الَّذي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذا) وأَشارَ إِلَى يافُوخِه .

وقَدْ أَخْبَرَ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَنَّهُ يُقْتَلُ كَما أَخْرَجَ الضَّحَّاكُ عَنْ فَضالَةَ ابنِ أَبي فَضالَةَ ، قالَ : خَرَجْتُ مَعَ أَبِي إِلَى ((يَنْبُع)) عائِدًا لِعَلِيٍّ رضي الله عنه وكانَ مَرِيضًا ، فَقالَ لَهُ أَبي : ما أَسْكَنَكَ بِهَذا المَنْزِل ؟ لَوْ هَلَكْتَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الأَعْرابُ أَعْرابُ جُهَيْنَة ، احْتَمِلْ إِلَى المَدِينَةِ فَإِنْ أَصابَكَ بِها قَدَرٌ وَلِيَكَ أَصْحابُكَ وَصَلُّوا عَلَيْكَ (وفَضالَة مِنْ أَهْلِ بَدْر) .

فَقالَ لَهُ عَلِيٌّ رضي الله عنه : إِنِّي لَسْتُ بِمَيِّتٍ مِنْ وَجَعِي هَذا ؛ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ أَنِّي لا أَمُوتُ حَتَّى تُخْضَبَ هَذِهِ (يَعْنِي لِحْيَتَهُ) مِنْ هَذِهِ (يَعْنِي هامَتَهُ) ، فَقُتِلَ أَبُو فَضالَةَ وهُو يُحارِبُ فِي صَفِّ عَلِيٍّ بِصِفِّين .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ زَيْدِ بنِ وَهْبٍ ، قالَ : قَدِمَ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ البَصْرَةِ مِنَ الخَوارِجِ فِيهِمْ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ الجَعْدُ بنُ نَعْجَةَ فَقالَ

لَهُ : اتَّقِ اللَّهَ يا عَلِيُّ فَأَنْتَ مَيِّتٌ ، فَقالَ : ((بَلْ مَقْتُولٌ ؛ ضَرْبَةٌ عَلى هَذِهِ تَخْضِبُ هَذِهِ (يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ رَأْسِهِ) ، عَهْدٌ مَعْهُودٌ وقَضاءٌ مَقْضِيٌّ ، وقَدْ خابَ مَنِ افْتَرَى)) .

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ ، قالَ : عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بنِ سَبُعٍ قالَ : خَطَبَنا عَلِيٌّ فَقالَ : ((والَّذي فَلَقَ الحَبَّةَ وبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لَتُخْضَبَنَّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ)) ، فَقالَ النَّاسُ : فَأَعْلِمْنا مَنْ هُوَ ؟ لَنُبَتِّرَنَّهُ بَتْرًا ، قالَ : ((أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ أَنْ يُقْتَلَ بي غَيْرُ قاتِلِي)) ، وكَأَنَّهُ قَدْ عَرَفَ رضي الله عنه أَنَّ قاتِلَهُ ابنُ مُلْجَم .

وأَخْرَجَ ابنُ عَساكِرَ عَنْ مِسْكِينِ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ العَبْدِي أَنَّهُ سَمِعَ أَباهُ يَقُولُ : جاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُلْجَمٍ إِلَى عَلِيٍّ يَسْتَحْمِلُهُ فَحَمَلَهُ ، ثُمَّ قالَ : ((أَما إِنَّ هَذا قاتِلِي)) ، فَقِيلَ لَهُ : فَما يَمْنَعُكَ مِنْهُ ؟ قالَ : ((لَمْ يَقْتُلْنِي بَعْدُ)) ، وقِيلَ لَهُ : إِنَّ ابنَ مُلْجَم قَدْ سَمَّ سَيْفًا ويَقُولُ : إِنَّهُ سَيَقْتُلُكَ بِهِ قِتْلَةً تَتَحَدَّثُ بِها العَرَبُ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ وقالَ لَهُ : ((لِمَ تَسُمُّ سَيْفَكَ ؟)) قالَ : لِعَدُوِّي وعَدُوِّكَ ، فَخَلَّى عَنْهُ فَقالَ : ((ما قَتَلَنِي بَعْدُ)) .

قالَ أَبُو الفَرَجِ الأَصْبَهانِي : ورُوِيَ لَنا مِنْ طُرُقٍ أَنَّ عَلِيًّا أَعْطَى النَّاسَ فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى ابنِ مُلْجَم أَعْطاهُ وقالَ :

أُرِيـدُ حَـيَاتَـهُ وَيُـرِيـدُ قَتْلِي ❁ عَذِيرُكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

• وأَمَّا ما حَمَلَ الأَشْقَى عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَهُوَ ما ذَكَرَهُ الزُّبَيْرُ بنُ بَكَّارٍ قالَ : كانَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الخَوارِجِ تَعاقَدُوا عَلَى قَتْلِ عَلِيٍّ ومُعاوِيَةَ وعَمْرِو بنِ العاص ، فَخَرَجَ لِذَلِكَ ثَلاثَةٌ فَكانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ مُلْجَم هُوَ الَّذي الْتَزَمَ قَتْلَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَدَخَلَ الكُوفَةَ عازِمًا عَلَى قَتْلِهِ فَشَرَى سَيْفًا بِأَلْفٍ وسَقاهُ السُّمَّ فِيما زَعِمُوا حَتَّى لَفَظَهُ ، وكانَ فِي خِلالِ ذَلِكَ يَأْتِي عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَسْأَلُهُ ويَسْتَحْمِلُهُ فَيَحْمِلُهُ إِلَى أَنْ وَقَعَتْ عَيْنُ ابنِ مُلْجَم عَلَى قَطام (امْرَأَةٌ رائِعَةٌ جَمِيلَةٌ كانَتْ تَرَى رَأْيَ الخَوارِجِ وكانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَدْ قَتَلَ أَباها وإِخْوَتَها بِالنَّهْرَوان) فَأَعْجَبَتْهُ ووَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ ، فَخَطَبَها ابنُ مُلْجَم اللَّعِينُ ، فَقالَتْ : آلَيْتُ أَلَّا أَتَزَوَّجَ إِلَّا عَلَى مَهْرٍ لا أُرِيدُ سِواهُ ، فَقالَ : ما هُوَ ؟ فَقالَتْ : ثَلاثَةُ آلافِ دِينارٍ وقَتْلُ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب ، قالَ : واللهِ لَقَدْ قَصَدْتُ لِقَتْلِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِبٍ والفَتْكِ بِهِ وما أَقْدَمَنِي هَذا المِصْرَ غَيْرُ ذَلِكَ ولَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكِ آثَرْتُ زَواجَكِ ، فَقالَتْ : لَيْسَ إِلَّا الَّذي قُلْتُ لَكَ ، فَقالَ لَها : وماذا يُغْنِيكِ وما يُغْنِينِي مِنْكِ قَتْلُ عَلِيٍّ وأَنا أَعْلَمُ أَنِّي إِنْ قَتَلْتُهُ لَمْ أَفُتْ ، فَقالَتْ : إِنْ قَتَلْتَهُ ونَجَوْتَ فَهُوَ الَّذي أَرَدْتَ تَبْلُغُ شِفاءَ نَفْسِي ويَهْنَؤُكَ العَيْشُ مَعِي ، وإِنْ قُتِلْتَ فَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيا وما فِيها ، فَقالَ لَها : لَكِ ما

اشْتَرَطْتِ ، قالَتْ : وسَأَلْتَمِسُ لَكَ مَنْ يَشُدُّ ظَهْرَكَ ، فَبَعَثَتْ إِلَى ابنِ عَمٍّ لَها يُسَمَّى وِرْدانَ بنَ مُجالِدٍ فَأَجابَها إِلَى ذَلِكَ .

ولَقِيَ ابنُ مُلْجَم شَبِيبَ بنَ نَجْدَةَ الأَشْجَعِيَّ فَقالَ لَهُ : يا شَبِيبُ ، هَلْ لَكَ فِي شَرَفِ الدُّنْيا والآخِرَة ؟

قالَ : وما هُوَ ؟ قالَ : تُساعِدُنِي عَلَى قَتْلِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب ؟

قالَ : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِدًّا ! كَيْفَ تَقْدِرُ عَلَى ذَلِك ؟

قالَ : إِنَّهُ رَجُلٌ لا حَرَسَ لَهُ ويَخْرُجُ إِلَى المَسْجِدِ مُنْفَرِدًا دُونَ مَنْ يَحْرُسُهُ ، فَنَكْمُنُ لَهُ فِي المَسْجِدِ فَإِذا خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ قَتَلْناهُ ، فَإِنْ نَحْنُ نَجَوْنا نَجَوْنا ، وإِنْ قُتِلْنا سَعِدْنا بِالذِّكْرِ فِي الدُّنْيا وبِالجَنَّةِ فِي الآخِرَة .

فَقالَ لَهُ : وَيْحَكَ إِنَّ عَلِيًّا ذُو سابِقَةٍ فِي الإِسْلامِ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ واللهِ ما تَنْشَرِحُ نَفْسِي لِقَتْلِهِ .

قالَ : وَيْحَكَ ! إِنَّهُ حَكَّمَ الرِّجالَ فِي دِينِ اللهِ وقَتَلَ إِخْوانَنا الصَّالِحِينَ فَنَقْتُلُهُ بِبَعْضِ مَنْ قَتَلَ فَلا تَشُكَّنَّ فِي دِينِكَ ، فَأَجابَهُ وأَقْبَلا حَتَّى دَخَلا عَلَى «قَطام» وهِيَ مُعْتَكِفَةٌ فِي المَسْجِدِ الأَعْظَمِ فِي قُبَّةٍ ضَرَبَتْها لِنَفْسِها فَدَعَتْ لَهُمْ ، وأَخَذُوا أَسْيافَهُمْ وجَلَسُوا قُبالَةَ السُّدَّةِ

الَّتي يَخْرُجُ مِنْها عَلِيٌّ ، فَخَرَجَ عَلِيٌّ إِلَى الصَّلاةِ (صَلاةِ الصُّبْحِ) فَبَدَرَهُ شَبِيبٌ فَضَرَبَهُ فَأَخْطأَهُ ، وضَرَبَهُ ابنُ مُلْجَم عَلَى رَأْسِهِ ، وقالَ : الحُكْمُ للهِ يا عَلِيُّ لا لَكَ ولا لأَصْحابِكَ .

فَقالَ عَلِيٌّ عليه السلام : فُزْتُ وربِّ الكَعْبَة ، لا يَفُوتَنَّكُمُ الكَلْبُ ، فَشَدَّ النَّاسُ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ جانِبٍ فَأَخَذُوهُ ، وهَرَبَ شَبِيبٌ خارِجًا مِنْ بابِ كِنْدَةَ ، فَلَمَّا أُخِذَ ابنُ مُلْجَم ، قالَ عَلِيٌّ : احْبِسُوهُ فَإِنْ مِتُّ فاقْتُلُوهُ ولا تُمَثِّلوا بِهِ ، وإِنْ لَمْ أَمُتْ فالأَمْرُ إِلَيَّ فِي العَفْوِ أَو القِصاص[1] .

وماتَ شَهِيدُ المِحْرابِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالِبٍ رضي الله عنه .

وأَمَّا اللَّعِينُ ابنُ مُلْجَم فَتَمَّ القِصاصُ مِنْهُ بقَتْلِهِ .

وَمَضَى الأَشْقَى إِلَى قَعْرِ لَظًى ۞ يَتَصَلَّاهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا

عَاقِرُ النَّاقَةِ فِيهَا جَارُهُ ۞ لَيْسَ جَارُ الأَشْقِيا إِلَّا شَقِيًّا

وفِي الجامِعِ الكَبِيرِ قالَ : لَمَّا كانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتي أُصِيبَ فِيها أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ رضي الله عنه أَتاهُ ابنُ التِّياحِ حِينَ طَلَعَ الفَجْرُ يُؤْذِنُهُ بِصَلاةِ الفَجْرِ وهُوَ مُضْطَجِعٌ فَتَثاقَلَ فَعادَ إِلَيْهِ الثَّانِيَةَ وهُوَ كَذَلِكَ ، ثُمَّ عادَ الثَّالِثَةَ ، فَقامَ وهُوَ يَقُولُ :

---

(١) أَخْرَجَهُ أَبو عُمَرَ ابنُ عَبْدِ البَرِّ .

أُشْدُدْ حَيازِيمَكَ لِلْمَوْتِ ۞ فَإِنَّ المَوْتَ لاقِيكَ[1]

وَلا تَجْزَعْ مِنَ الْمَوْتِ ۞ إذا جَاءَ يُنَادِيكَ

وأَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي المَناقِبِ عَنِ الحُسَيْنِ بنِ كَثِيرٍ عَنْ أَبِيهِ (وكانَ قَدْ أَدْرَكَ عَلِيًّا) قالَ : خَرَجَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ إِلَى الفَجْرِ فَأَقْبَلَ الإِوَزُّ يَصِحْنَ فِي وَجْهِهِ ، فَطَرَدُوهُنَّ ، فَقالَ : دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوائِحُ ... إِلَى آخِرِهِ .

وأَخْرَجَ أَبو داوودَ فِي القَدَرِ مِنْ حَدِيثِ قَتادَةَ أَنَّ آخِرَ لَيْلَةٍ أَتَتْ عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام جَعَلَ لا يَسْتَقِرُّ ، فارْتابَ أَهْلُهُ فَجَعَلَ يَدُسُّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَناشَدُوهُ فَقالَ : «لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ إِلَّا ومَعَهُ مَلَكانِ يَدْفَعانِ عَنْهُ ما لَمْ يَأْتِ القَدَرُ ، فَإِذا أَتَى القَدَرُ خَلَّيا بَيْنَهُ وبَيْنَ المُقَدَّرِ» ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى المَسْجِدِ فَقُتِلَ .

غَسَّلَهُ رضي الله عنه الحَسَنُ والحُسَيْنُ وعَبْدُ اللهِ بنُ جَعْفَر رضي الله عنهم وصَلَّى عَلَيْهِ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ وكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرات .

وأَمَّا سِنُّهُ يَوْمَ اسْتِشْهادِهِ فَقالَ أَكْثَرُ الرُّواةِ : ثَلاثٌ وسِتُّون .

وكانَتْ مُدَّةُ خِلافَتِهِ رضي الله عنه : أَرْبَعَ سِنِينَ وسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وسِتَّةَ أَيَّام .

---

(١) الحَيازِيم : جَمْعُ حَيْزَم وَسَطُ الصَّدْرِ وما يَنْضَمُّ عَلَيْهِ الحِزام .

ورَثاهُ حبْرُ الأُمَّة عبْدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رضي الله عنه بقوْلِه :

وَهَـزَّ عَلِـيٌّ بِالْعِـرَاقَـيْنِ لِحْيَةً ❁ مُصِيبَتُهَا جلَّتْ علَى كُلِّ مُسْلِمِ

وَقَـالَ سَيأْتِيهَا مِنَ اللهِ نَـازِلٌ ❁ وَيَخْضِبُهَا أَشْقَى الْبَرِيَّةِ بِالدَّمِ

فَعَاجَلَهُ بِالسَّيْفِ شُلَّتْ يَمِينُهُ ❁ لِشُؤْمِ قَطَامِ عِنْدَ ذاكَ ابْنُ مُلْجَمِ

فَيَا ضَرْبَةً مِنْ خَاسِرٍ ضَلَّ سَعْيُهُ ❁ تبَـوَّأَ مِنْـهَا مَقْعَـدًا فِي جَهَنَّمِ

فَـفَازَ أَمِـيرُ الْمُؤْمِـنِينَ بِحَظِّهِ ❁ وَإِنْ طَرَقَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

أَلا إِنَّـمَا الدُّنْيـا بَـلاءٌ وَمِحْـنَةٌ ❁ حَلاوَتُهَا شِيبَتْ بِصَابٍ وَعَلْقَمِ

ولِلهِ دَرُّ العالِمِ النِّحْرِيرِ وارِثِ القُطْبِ الشَّهِيرِ سَيِّدِي أَحْمَدَ الرِّفاعِيِّ الكَبِيرِ سَيِّدِي مُحَمَّد أَبِي الْهُدَى الصَّيَّادِي فِي قَوْلِهِ :

يَبْكِي عَلِـيًّا كُلُّ ذِي حِكْمَةٍ ❁ فَـرَّقَ بَيْنَ اللَّغْوِ وَالْوَاجِبِ

فَحُـبُّهُ دِيـنٌ وَآيَـاتُـهُ ❁ مُعْجِـزَةٌ لِلْكَاتِبِ الْحَاسِبِ

حُبُّ عَلِيٍّ إِرْثُ أَهْلِ الْهُدَىٰ ❁ يَدُورُ فِي الْقَادِمِ وَالذَّاهِبِ

❁❁❁❁❁

وَصِيَّةُ أَمِيرِ المُؤْمِنينَ عَلِيٍّ عليه السلام

قالَ سَيِّدُنا عَلِيٌّ رضي الله عنه للحَسَنِ والحُسَيْنِ رضي الله عنهما :

• أُوصِيكُما بِتَقْوَى اللّه ، وأَلَّا تَبْغِيا الدُّنْيا وإِنْ بَغَتْكُما ، ولا تَأْسَفا عَلَى شَيْءٍ مِنْها زُوِيَ عَنْكُما ، وقُولا بِالحَقِّ ، واعْمَلا للأَجْرِ ، وكُونا للظَّالِمِ خَصْمًا ، وللمَظْلُومِ ناصِرًا ، وأَعِينا الضَّائِعَ واصْنَعا للآخِرَة .

• أُوصِيكُما وجَمِيعَ وَلَدِي وأَهْلِي ومَنْ بَلَغَهُ كِتابِي : بِتَقْوَى اللّهِ ، ونَظْمِ أَمْرِكُم ، وصَلاحِ ذاتِ بَيْنِكُم ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُما صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : (صَلاحُ ذاتِ البَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عامَّةِ الصَّلاةِ والصِّيام) .

• اللّهَ اللّهَ فِي الأَيْتام ، فَلا تُغِبُّوا أَفْواهَهُمْ (صِلُوا أَفْواهُهُمْ بِالطَّعامِ ولا تَقْطَعُوهُ عَنْهُمْ) ، ولا يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ .

• اللّهَ اللّهَ فِي جِيرانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ، ما زالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ .

• اللّهَ اللّهَ فِي القُرْآن ، لا يَسْبِقْكُمْ بِالعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ .

• اللّهَ اللّهَ فِي الصَّلاة ، فَإِنَّها عَمُودُ دِينِكُمْ ، وفِي حُسْنِ الوُضُوءِ فَإِنَّهُ لا صَلاةَ إِلَّا بِطَهُور .

• اللّهَ اللّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ، لا تُخْلُوهُ ما بَقِيتُمْ ، فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ

تُنْظَرُوا (لَمْ يُنْظَرْ إِلَيْكُمْ بِالكَرامَةِ) .

• اللّهَ اللّهَ فِي الجِهادِ بِأَمْوالِكُمْ وأَنفُسِكُمْ وأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّه .

• وعَلَيْكُمْ بِالتَّواصُلِ والتَّباذُل ، وإِيَّاكُمْ والتَّدابُرَ والتَّقاطُعَ ، لا تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيَ عَنِ المُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرارُكُمْ ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلا يُسْتَجابُ لَكُمْ .

ثُمَّ نَظَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى أَخِيهِما مُحَمَّدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ فَقالَ : هَلْ حَفِظْتَ ما أَوْصَيْتُ بِهِ أَخَوَيْكَ ؟ قالَ : نَعَم ، قالَ : فَإِنِّي أُوصِيكَ بِمِثْلِهِ ، وأُوصِيكَ بِتَوْقِيرِ أَخَوَيْكَ لِعَظِيمِ حَقِّهِما عَلَيْكَ ، ولا تَقْطَعْ أَمْرًا دُونَهُما ، ثُمَّ قالَ لَهُما : أُوصِيكُما بِهِ فَإِنَّهُ ابنُ أَبِيكُما ، وقَدْ عَلِمْتُما أَنَّ أَباكُما كانَ يُحِبُّهُ .

• ثُمَّ قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : يا بَنِي عَبْدِ المُطَّلِب ، لا أُلْفِيَنَّكُمْ تَخُوضُونَ فِي دِماءِ المُسْلِمِينَ خَوْضًا ، تَقُولُونَ : قُتِلَ أَمِيرُ المُؤْمِنِين ، أَلا لا تَقْتُلُنَّ بِي إِلَّا قاتِلِي .

• انْظُروا إِذا أَنا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هَذِهِ ، فاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَة ، ولا تُمَثِّلُوا بِالرَّجُلِ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِيَّاكُمْ والمُثْلَةَ[1] ولَوْ بِالكَلْبِ العَقُور) .

---

(١) المُثْلَة : تَشْوِيهُ أَجْزاءِ جِسْمِ القَتِيلِ والعَبَثِ بِها .

خُطْبَةُ الإمامِ الحَسَنِ يَوْمَ وَفاةِ أَبيهِ أَميرِ المُؤْمِنين

أَخْرَجَ الدُّولابي عَنْ زَيْدِ بنِ الحَسَنِ قالَ : خَطَبَ الحَسَنُ النَّاسَ يَوْمَ قَتْلِ عَلِيِّ بنِ أَبي طالِبٍ الْسَّلِيْلاً ، فَحَمِدَ اللّهَ وأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قالَ : ((لَقَدْ قُبِضَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ رَجُلٌ لَمْ يَسْبِقْهُ الأَوَّلُونَ ولا يُدْرِكُهُ الآخِرُونَ ، لَقَدْ كانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُعْطِيهِ رايَتَهُ فَيُقاتِلُ جِبْرِيلُ عَنْ يَمِينِهِ ومِيكائِيلُ عَنْ شِمالِهِ وما يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللّهُ عَلَيْهِ ، وما تَرَكَ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ صَفْراءَ ولا بَيْضاءَ إِلَّا سَبْعَمِئَةِ دِرْهَمٍ فَضَلَتْ مِنْ عَطائِهِ أَرادَ أَنْ يَبْتاعَ بِها خادِمًا لأَهْلِهِ)) .

ثُمَّ قالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : ((أَيُّها النَّاسُ مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي ، ومَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنا الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ ، وأَنا ابنُ البَشِيرِ ، وأَنا ابنُ النَّذِيرِ ، وأَنا ابنُ الدَّاعِي إِلَى اللّهِ والسِّراجِ المُنِيرِ ، وأَنا مِنْ أَهْلِ البَيْتِ الَّذِينَ كانَ جِبْرِيلُ الْسَّلِيْلاً يَنْزِلُ فِينا ويَصْعَدُ مِنْ عِنْدِنا ، وأَنا مِنْ أَهْلِ البَيْتِ الَّذِينَ أَذْهَبَ اللّهُ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهَّرَهُمْ تَطْهِيرًا ، وأَنا مِنْ أَهْلِ البَيْتِ الَّذِينَ فَرَضَ اللّهُ مَوَدَّتَهُمْ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَقالَ تَعالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ﴾ فاقْتِرافُ الحَسَنَةِ مَوَدَّتُنا أَهْلَ البَيْت .

ذِكْرُ خِلافَةِ الحَسَنِ وتَنازُلِه لِمُعاوِيَة

وَلِيَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ الخِلافَةَ بَعْدَ اسْتِشْهادِ أَبِيهِ ، وبايَعَهُ بالكُوفَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفًا كانُوا قَدْ بايَعُوا أَباهُ عَلَى المَوْتِ ، فَأَقامَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وأَيَّامًا خَلِيفَةَ حَقٍّ وإمامَ عَدْلٍ وصِدْقٍ تَحْقِيقًا لِما أَخْبَرَ بِهِ جَدُّهُ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ ﷺ بِقَوْلِهِ : (الخِلافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً)[1] ؛ فَإِنَّ تِلْكَ السِّتَّةَ الأَشْهُرِ هِيَ المُكَمِّلَةُ لِتِلْكَ الثَّلاثِينَ ، فَكانَتْ خِلافَتُهُ مَنْصُوصًا عَلَيْها وقامَ عَلَيْها الإجْماع .

• أَخْرَجَ البُخارِيُّ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، قالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى المِنْبَرِ والحَسَنُ إلى جَنْبِهِ يَنْظُرُ إلَى النَّاسِ مَرَّةً وإلَيْهِ مَرَّةً ، ويَقُولُ : (إنَّ ابْنِي هَذا سَيِّدٌ ولَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ)[2] .

وفِي رِوايَةٍ : (بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ) .

وخَبَرُ تَنازُلِ الحَسَنِ لِمُعاوِيَةَ هُوَ أَنَّهُ سارَ إلَى مُعاوِيَةَ وسارَ مُعاوِيَةُ إلَيْهِ ، فَلَمَّا تَراءَا الجَمْعانِ بِمَوْضِعٍ يُقالُ لَهُ مَسْكِن (مَوْضِعٌ فِي الكُوفَة) فِي ناحِيَةِ الأَنْبارِ مِنْ أَرْضِ السَّوْداء ، عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يَغْلِبَ أَحَدُ الفِئَتَيْنِ حَتَّى

---

(١) أَخْرَجَهُ الهَيْثَمِي فِي مَوارِدِ الظَّمْآن ، وابنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ البارِي ، والزَّبِيدِي فِي إتْحافِ السَّادَةِ المُتَّقِين ، والطَّحاوِي فِي مُشْكَلِ الآثار .

(٢) أَخْرَجَهُ البُخارِي فِي صَحِيحِهِ ، وأَحْمَدُ فِي المُسْنَد ، والطَّبَرانِي فِي المُعْجَم الكَبِير .

يَذْهَبَ أَكْثَرُ الأُخْرى ، فَكَتَبَ إِلَى مُعاوِيَةَ أَنَّهُ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ يَصِيرُ الأَمْرُ إِلَيْهِ عَلَى أَنْ يَشْتَرِطَ عَلَيْهِ أَلَّا يَطْلُبَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ والحِجازِ والعِراقِ بِشَيْءٍ مِمَّا كانَ مِنْ أَيَّام أَبِيهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَجابَهُ مُعاوِيَةُ إِلَّا أَنَّهُ قالَ : عَشَرَةُ أَنْفُس فَلا أُؤَمِّنُهُمْ ، فَراجَعَهُ الحَسَنُ فِيهِمْ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ مُعاوِيَةُ يَقُولُ : إِنِّي قَدْ آلَيْتُ أَنِّي مَتَى ظَفِرْتُ بِقَيْسِ بنِ سَعْدٍ أَنْ أَقْطَعَ لِسانَهُ ويَدَهُ ، فَراجَعَهُ الحَسَنُ أَنِّي لا أُبايِعُكَ أَبَدًا وأَنْتَ تَطْلُبُ قَيْسًا أَوْ غَيْرَهُ بِتَبِعَةٍ قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ مُعاوِيَةُ حِينَئِذٍ بِرَقٍّ أَبْيَضَ وقالَ لَهُ : اكْتُبْ ما شِئْتَ فِيهِ فَأَنا أَلْتَزِمُهُ ، فاصْطَلَحا عَلَى ذَلِكَ واشْتَرَطَ عَلَيْهِ الحَسَنُ أَنْ يَكُونَ لَهُ الأَمْرُ مِنْ بَعْدِهِ ، فالْتَزَمَ ذَلِكَ كُلَّهُ مُعاوِيَةُ واصْطَلَحا عَلَى ذَلِكَ وكانَ كَما قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللهَ سَيُصْلِحُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِين .

وكانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ : ما أَحْبَبْتُ مُنْذُ عَلِمْتُ بِما يَنْفَعُنِي ويَضُرُّنِي أَنْ أَلِيَ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَنْ يُهْراقَ فِي ذَلِكَ مَحْجَمَةُ دَم .

ورُوِيَ أَنَّهُ كانَ أُناسٌ مِنْ أَصْحابِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُونَ لَهُ : يا عارَ المُؤْمِنِينَ ، فَيَقُولُ : العارُ خَيْرٌ مِنَ النَّار .

وعَنْ أَبِي العَرِّيفِ قالَ : كُنَّا فِي مُقَدِّمَةِ الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اثْنا عَشَرَ

أَلْفًا مُسْتَمِيتِينَ حِرْصًا عَلَى قِتالِ أَهْلِ الشَّامِ فَلَمَّا جاءَ بِالصُّلْحِ الحَسَنُ ابنُ عَلِيٍّ فَكَأَنَّما كُسِرَتْ ظُهُورُنا مِنَ الغَيْظِ والحُزْنِ ، فَلَمَّا جاءَ الحَسَنُ الكُوفَةَ أَتاهُ شَيْخٌ مِنَّا يُكَنَّى أَبا عامِرٍ سُفْيانُ بنُ أَبِي لَيْلَى فَقالَ : السَّلامُ عَلَيْكَ يا مُذِلَّ رِقابِ المُؤْمِنِينَ ، فَقالَ : لا تَقُلْ يا أَبا عامِرٍ ؛ فَإِنِّي لَمْ أُذِلَّ المُؤْمِنِينَ ولَكِنْ كَرِهْتُ أَنْ أَقْتُلَهُمْ فِي طَلَبِ المُلْك .

يَمِّمْ ذَوِي الْحَقِّ وَاعْرِفْ قَدْرَ رُتْبَتِهِمْ ۞ لَمْ يُدْمَجِ الْعِطْرُ فِي كُلِّ الرَّياحِينِ
فِي الْخَلْقِ كَالنَّاسِ لَكِنْ فِي خَلائِقِهِمْ ۞ طَوْرُ الْمَلائِكِ عَنْ آثارِ تَمْكِينِ
لِلّهِ ذَلُّوا وَقَدْ عَزُّوا يُشَامُ بِهِمْ ۞ ذُلُّ الْمَسَاكِينِ فِي عِزِّ السَّلاطِينِ

والحاصِلُ : أَنَّ نُزُولَ الحَسَنِ عَنِ الخِلافَةِ كانَ بِاجْتِهادٍ مِنْهُ ، وكانَ ذَلِكَ الاجْتِهادُ مُظْهِرًا لِمُعْجِزَةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ : (إِنَّ ابْنِي هَذا سَيِّدٌ وَسَيُصْلِحُ اللّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ المُسْلِمِينَ) ، وقَوْلُهُ ﷺ : (الخِلافَةُ بَعْدِي ثَلاثُونَ سَنَةً) ؛ فَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّ ذَلِكَ كانَ خَطَأً يَلْزَمُهُ أَنْ يُخَطِّئَ الحَسَنَ وجَمِيعَ الصَّحابَةِ الَّذِينَ كانُوا فِي زَمَنِهِ ، بَلْ يَلْزَمُهُ تَخْطِئَةُ جَمِيعِ المُسْلِمِينَ الَّذِينَ وافَقُوهُ وبايَعُوا مُعاوِيَةَ ، وتَخْطِئَتُهُمْ أَجْمَعِينَ لا تَجُوزُ ؛ إِذْ لا تَجْتَمِعُ الأُمَّةُ عَلَى ضَلالَة .

۞۞۞۞۞

خَاتِمَةٌ فاتِحَة

قالَ رَجُلٌ لِسَيِّدِنا أَمِيرِ المُؤْمِنينَ ، إمامِ الدِّينِ والمُسْلِمينَ ، رابعِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ عَلِيٍّ (كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ ورَضِيَ عَنْهُ وعَنَّا بِهِ وأَكْرَمَهُ بتَحِيَّاتِهِ وسَلامِهِ) أَخْبِرْنِي :

عَنْ واجِبٍ وأَوْجَب ، وعَجِيبٍ وأَعْجَب ، وصَعْبٍ وأَصْعَب ، وقَرِيبٍ وأَقْرَب .

فَما خَنَسَ لِسانُه رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ حَتَّى أَجابَهُ قائِلًا :

تَـوْبُ الْـوَرَىٰ وَاجِـبٌ عَلَيْـهِمْ ۞ وَتَـرْكُـهُـمْ لِلـذُّنُـوب أَوْجَـبْ

وَالدَّهْـرُ فِي صَـرْفِهِ عَجِـيبٌ ۞ وَغَفْلَةُ النَّـاسِ عَـنْهُ أَعْجَـبْ

وَالصَّبْرُ فِي النَّائِبَاتِ صَعْبٌ ۞ لَـكِـنَّ فَـوْتَ الثَّـوَابِ أَصْعَـبْ

وَكُلُّ مَـا يُـرْتَجَـى قَـرِيـبٌ ۞ وَالْمَوْتُ مِنْ كُلِّ ذَاكَ أَقْرَبْ

وتَشَرَّفَ وتَعَطَّرَ وافْتَخَرَ العارِفُ الرَّبَّانِي سَيِّدِي مُحَمَّد أَبو الهُدَى الصَّيَّادِي بإِلْحاقِ قَوْلِهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ بقَوْلِهِ :

لَيْلُ النَّـوَى شَـأْنُـهُ غَرِيبٌ ۞ وَصُحْبَةُ الْخَائِنِينَ أَغْرَبْ

وَالْقَطْعُ لِلْكَاذِبِينَ عَذْبٌ ۞ وَالْـوُدُّ لِلصَّالِحِـينَ أَعْذَبْ

وَحُبُّ أَهْـلِ التُّـقَى ثَـوَابٌ ۞ وَحُـبُّ آلِ النَّـبِـيِّ أَثْـوَبْ

وَمَـنْ زَكَا أَصْـلُـهُ نَجِـيبٌ ۞ لَكِنْ فُرُوعُ النَّبِـيِّ أَنْجَـبْ

فَهْرَسُ المَراجِعِ والمَصادِرِ

۞ الْقُرْآنُ الكَرِيمُ
۞ البَحْرُ المُحِيطُ فِى التَّفْسِير : أَبُو حَيَّانَ الأَنْدَلُسِي .
۞ التَّفْسِيرُ الكَبِيرُ : فَخْرُ الدِّين الرَّازِي .
۞ البَحْرُ المَدِيدُ فِى تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ المَجِيد : ابْنُ عَجِيبَة .
۞ تَفاسِيرُ : ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِي ، والزَّمَخْشَرِي ، والبَغَوِي ، والقُرْطُبِي ، والأَلُوسِي ، وأَبِي السُّعُود .
۞ الإِتْقانُ فِى عُلُومِ الْقُرْآن : جَلالُ الدِّينِ السُّيُوطِي .
۞ تَفْسِيرُ ابنِ كَثِير . ۞ أَسْبابُ النُّزُول : السُّيُوطِي .
۞ الصَّحِيحان : صَحِيحُ البُخارِي ، وصَحِيحُ مُسْلِم .
۞ المُوَطَّأ : الإِمامُ مالِك . ۞ الأُمّ : الإِمامُ الشَّافِعِي .
۞ مُسْنَدُ الإِمامِ أَحْمَد بن حَنْبَل . ۞ المُسْتَدْرَكُ عَلَى الصَّحِيحَيْنِ : الحاكِم .
۞ سُنَنُ أَبِي داوود ، والتِّرْمِذِي ، والنَّسائِي ، وابْنِ ماجَه .
۞ سُنَنُ الدَّارَقُطْنِي . ۞ مُسْنَدُ الدَّارِمِي .
۞ سُنَنُ البَيْهَقِي الكُبْرَى . ۞ المُعْجَمُ الكَبِيرُ : الطَّبَرانِي .
۞ مُصَنَّفُ ابنِ أَبِي شَيْبَة . ۞ مِيزانُ الاعْتِدال : الذَّهَبِي .
۞ فَتْحُ البارِي : ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِي . ۞ مُسْنَدُ البَزَّار .
۞ مُسْنَدُ زَيْدِ بنِ عَلِيٍّ . ۞ فَيْضُ القَدِير : المُناوِي .
۞ لِسانُ الميزان : ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِي . ۞ مَجْمَعُ الزَّوائِد : الهَيْثَمِي .
۞ السُّنَّة : ابْنُ أَبِي عاصِم . ۞ تَهْذِيبُ الكَمال : المُزِّي
۞ الدُّرُّ المَنْثُور : السُّيُوطِي . ۞ عِلَلُ الحَدِيث : عَبْدُ الرَّحْمَن الرَّازِي .
۞ كَنْزُ العُمَّال : المُتَّقِي الهِنْدِي . ۞ صَحِيحُ ابْنِ حِبَّان .
۞ إِتْحافُ السَّادَة المُتَّقِين : الزَّبِيدِي . ۞ صَحِيحُ ابْنِ خُزَيْمَة .

۞ جامعُ العُلومِ والحِكَمِ فِي شَرْحِ خَمْسِينَ حَدِيثاً مِنْ جَوامِعِ الكَلِمِ : ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِي .
۞ نَصْبُ الرَّايَة لِأَحادِيثِ الهِدايَة : جَمالُ الدِّينِ الزَّيْلَعِي .
۞ مِشْكاةُ المَصابِيح : التَّبرِيزِي . ۞ كَشْفُ الخَفاء : العَجْلُونِي .
۞ مُشْكِلُ الآثار : الطَّحاوِي . ۞ نَوادِرُ الأُصُول : الحَكِيمُ التِّرمِذِي .
۞ التَّرْغِيبُ والتَّرهِيب : المُنْذرِي . ۞ رِياضُ الصَّالِحِين : النَّوَوِي .
۞ السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة : ابْنُ هِشام .
۞ السِّيرَةُ الشَّامِيَّة (سُبُلُ الهُدَى والرَّشادِ فِي سِيرَةِ خَيرِ العِبادِ) : مُحَمَّد بنُ يُوسُف الصَّالِحِي .
۞ السِّيرَةُ الحَلَبِيَّة (إِنْسانُ العُيُونِ فِي سِيرَةِ الأَمِينِ المَأْمُونِ) : عَلِيُّ بنُ بُرْهانِ الدِّينِ الحَلَبِي .
۞ السِّيرَةُ المِصْرِيَّة (إِيناسُ الإِنْسانِ فِي سِيرَةِ المَبْعُوثِ رَحْمَةً لِبَنِي الإِنْسانِ) د. سعيد أبو الأسعاد .
المَواهِبُ اللَّدُنِيَّة : القَسْطَلَّانِي ۞ شَرْحُ المَواهِب اللَّدُنِيَّة : الزُّرْقانِي .
۞ الطَّبَقاتُ الكُبْرَى : ابْنُ سَعْد (مُحَمَّد بنُ سَعْدٍ كاتِبُ الواقِدِي) .
۞ أُسْدُ الغابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحابَةِ : ابْنُ الأَثِير (عِزُّ الدِّين عَلِيُّ بنُ مُحَمَّدٍ الجَزَرِي) .
۞ الإِصابَةُ فِي تَمْيِيزِ الصَّحابَة : ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِي .
۞ الاسْتِيعابُ فِي مَعْرِفَةِ الأَصْحاب : ابْنُ عَبْدِ البَرِّ (أَبُو عُمَر يُوسُف) .
۞ الرِّياضُ النَّضِرَةُ فِي مَناقِبِ العَشَرَة : المُحِبُّ الطَّبَرِي .
۞ سِيَرُ أَعْلام النُّبَلاء : الذَّهَبِي . ۞ صِفَةُ الصَّفْوَة : عَبْدُ الرَّحْمَن بنُ الجَوْزِي .
۞ الكامِلُ : ابْنُ الأَثِير . ۞ تَهْذِيبُ الأَسْماءِ واللُّغات : النَّوَوِي .
۞ حِلْيَةُ الأَوْلِياءِ وطَبَقاتُ الأَصْفِياءِ : أَبُو نُعَيْمٍ الأَصْفَهانِي .

۞ شَذَراتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبارِ مَنْ ذَهَبَ : ابْنُ العِمادِ الحَنْبَلِي .
۞ الأَعْلامُ : خَيْرُ الدِّينِ الزِّرِكْلِي .   ۞ مَناقِبُ عُمَرَ بنِ الخَطَّاب : ابْنُ الجَوْزِي .
۞ النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ فِي أَخْبارِ مِصْرَ والقاهِرَةِ : ابْنُ تَغْرِي بَرْدِي .
۞ الإِجابَةُ لِما اسْتَدْرَكَتْهُ عائِشَةُ عَلَى الصَّحابَةِ : الزَّرْكَشِي .
۞ أَبو هُرَيْرَةَ راوِيَةُ الإِسْلام : د. مُحَمَّد عَجَّاج الخَطِيب .
۞ أُصُولُ الحَدِيث : د. مُحَمَّد عَجَّاج الخَطِيب . ۞ مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُون .
۞ إِحْياءُ عُلُومِ الدِّين : أَبو حامِد الغَزالِي . ۞ تارِيخُ الخُلَفاء : السُّيُوطِي .
۞ وَفَياتُ الأَعْيان : ابْنُ خَلِّكان .   ۞ البَيانُ والتَّبْيِين : الجاحِظ .
۞ عَيْنُ العِلْمِ وزَيْنُ الحِلْم : عَلِي القارِي . ۞ الْكُنَى والأَسْماء : الدُّولابِي .
۞ إِتْحافُ المُرِيدِ شَرْحُ تُحْفَةِ التَّوْحِيدِ : اللَّقَّانِي .
۞ لُمَعُ الأَدِلَّةِ فِي عَقائِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَماعَةِ : الجُوينِي .
۞ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصارِي عِنْدَ العَرَبِ والتُّرْكِ : د. حُسَيْن مُجِيب المِصْرِي .
۞ حَياةُ الصَّحابَةِ : مُحَمَّد يُوسُف الكانْدَهْلَوِي .
۞ الفَتْحُ المُبِينُ فِي فَضائِلِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدِينَ : أَحْمَد بنُ زَيْنِي دَحْلان .
۞ إِتْمامُ الوَفاءِ فِي سِيرَةِ الخُلَفاءِ : مُحَمَّد الخُضَرِي بك .
۞ أَهْلُ البَيْت : تَوفيق أَبو عَلَم .   ۞ المُنْيَةُ والأَمَلُ : القاضِي عَبْدُ الجَبَّار .
۞ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد : د. مُحَمَّد عبده يَمانِي .
۞ قَصَصُ الصَّحابِيَّات : د. مُصْطَفَى مُراد . ۞ الحَسَنُ بنُ عَلِيّ : د. مُصْطَفى مُراد .
۞ صُوَرٌ مِنْ حَياةِ الصَّحابَةِ : د. عَبْدُ الرَّحْمَن رَأْفَت الباشا .
۞ صُوَرٌ مِنْ حَياةِ الصَّحابِيَّات : د. عَبْدُ الرَّحْمَن رَأْفَت الباشا .
۞ صُوَرٌ مِنْ حَياةِ التَّابِعِينَ : د. عَبْدُ الرَّحْمَن رَأْفَت الباشا .
۞ تارِيخُ الطَّبَرِي (تارِيخُ الأُمَمِ والمُلُوك) .
۞ البِدايَةُ والنِّهايَةُ : ابْنُ كَثِير .   ۞ أَصْحابُ النَّبِيِّ : فُؤاد شاكِر .

۞ الشَّقائِقُ النُّعْمانِيَّة فِى عُلَماءِ الدَّوْلَةِ العُثْمانِيَّة : طاشْكَبْرِي زادَه .
۞ الأَنْباءُ المُسْتَطابَةُ فِي مَناقِبِ الصَّحابَةِ والقَرابَة : ابْنُ سَيِّدِ الكُلِّ القَفْطِي .
۞ آدابُ الصُّحْبَة : أَبو عَبْدِ الرَّحْمَن السُّلَمِي .
۞ الإِحْكامُ فِى أُصولِ الأَحْكام : الآمِدِي . ۞ مُعْجَمُ البُلْدان : ياقُوت الحَمَوِي .
۞ تَهْذِيبُ تارِيخِ دِمَشْق : ابْنُ عَساكِر . ۞ أَنْسابُ الأَشْراف : البَلاذُرِي .
۞ تارِيخُ بَغْداد : الخَطِيبُ البَغْدادِي . ۞ الصَّواعِقُ المُحْرِقَة : ابْنُ حَجَر .
۞ الرَّوْضَةُ النَّدِيَّة فِي شَرْحِ التُّحْفَةِ العَلَوِيَّة : مُحَمَّدُ بنُ إِسْماعِيلَ الأَمِير .
۞ أَزْهارُ الحَدِيقَة : السَّيِّد / مُحَمَّد أَبو الهُدَى الصَّيَّادِي الرِّفاعِي بِعِنايَةِ ناشِرِ تُراثِ واسِط / الشَّيْخ عَبْدِ الحَكِيم عَبْدِ الباسِط .
۞ سَيِّدُنا مُحَمَّد رَسُولُ الله : عَبْدُ الله سِراجُ الدِّين الحُسَيْنِـي الحَلَبِـي .
۞ خَصائِصُ الأُمَّة المُحَمَّدِيَّة : مُحَمَّدُ بنُ عَلَوِي المالِكِي .
۞ مَفاهِيمُ يَجِبُ أَنْ تُصَحَّح : مُحَمَّدُ بنُ عَلَوِي المالِكِي .
۞ سِيرَةُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالِب : عَلِي مَحْمُود (حَفِيد المُؤَرِّخ حَسَن قاسِم) .
۞ كُتُبُ اللُّغَة : القامُوس المُحِيط ، والمِصْباحُ المُنِير

۞۞۞۞۞

الفَهْرَسُ المَوْضُوعِي لِلْكِتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

لا تَلُمْـنِي عَلَـى اجْـتِهَادٍ تَـرَاهُ

فِـي كِـتَابٍ أَخُـطُّهُ أَوْ قَـرِيضِ

فَأَعَـزُّ الأَشْـيَاءِ عِـنْدِي وُجُـودًا

صِحَّةُ الْقَوْلِ فِي الزَّمَانِ الْمَرِيضِ

شركة الفتح للطباعة والنشر والتوزيع

محمد حسني متولي وشركاه

الإدارة : ٩٢ ش التحرير ـ ميدان الدقي ـ برج ساريدار ـ القاهرة
ت : ٢٢٢٨٨١١٩

المطابع : ١٠٥ ش داير الناحية ـ الدقي ـ القاهرة ت : ٢٣٣٨٤١١٦

الفرع : مدينة السادس من أكتوبر ـ حي حدائق أكتوبر ت : ٠١٠١٥٢٩٣٩٢٢

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٤٥٥٧ - ٢٠٢٢

الترقيم الدولي : ٩٨٧٩٧٧٥٨٤٢٤٣٥

يَا وَلِيُّ يَا مُعْطِي يَا رَبَّ العَالَمِين
أَسْكِنَّا فِي مَعِيَّةِ العَارِفِين
غَيْرَ خَزَايَا وَلا مَفْتُونِين